

تاريخ الشرق الأوسط الحديث والمعاصر

د. هادي محمد

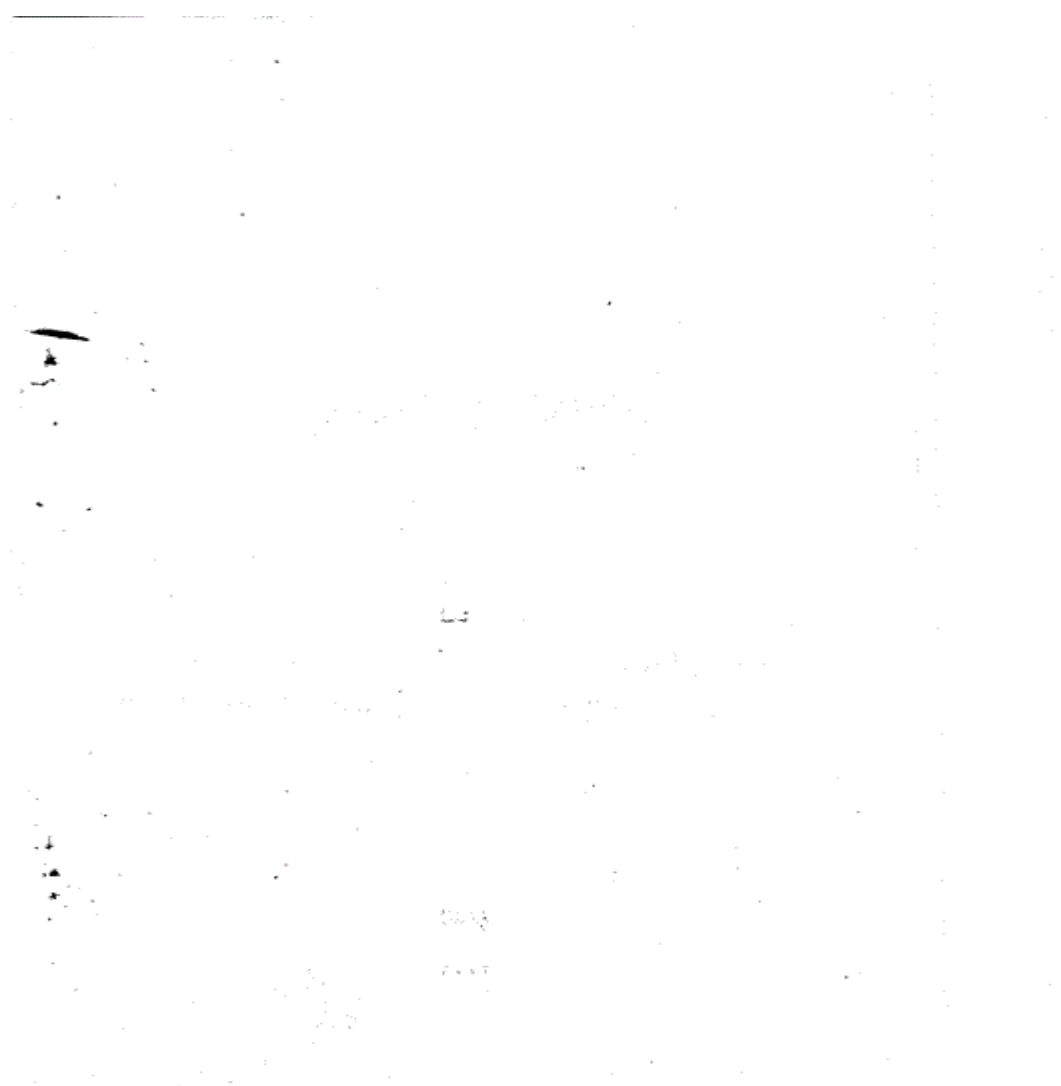
المعير والاسم الكلية والآداب - جامعة حبيش

د. إبراهيم جلال

قسم التاريخ - آداب - جامعة حبيش

الطبعة

٢٠٠٦



المواضيع

٢	تقديم
٥	الفصل الأول
١٣	الفصل الثاني
٥٦	الفصل الثالث
٩٤	الفصل الرابع
١٢٩	الفصل الخامس
١٤٢	الفصل السادس
١٧٨	الفصل السابع
٢٠٥	الفصل الثامن
٢١٨	الفصل التاسع
٢٢٨	الفصل العاشر
٢٢٩	المحور الأخير

تقديم

إن تاريخ الشرق الأقصى لم يجد اهتماماً كبيراً من طرف المؤرخين العرب ، وبالتالي فلكتاب عن هذا الموضوع قليلة جداً ولا تفي بالمطلوب ، ومن هذا المنطلق قمنا بإعداد هذا الكتاب عن " تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر " كي يسد فراغاً في المكتبة العربية بالنسبة لهذا الموضوع .

وقد تناولنا في الفصل الأول موضوع " العلاقات الأوروبية بالشرق الأقصى في مطلع العصور الحديثة " وقد اهتم هذا الفصل بدراسة التطورات التي شهدتها القارة الأوروبية بعد اكتشاف الجغرافية وعصر النهضة والإصلاح الديني والبروتستنتي ، والحركات الاستعمارية الأولى على يد البرتغاليين والهولنديين والبريطانيين والفرنسيين في مناطق الشرق الأقصى . ومحاولاتهم لتأسيس موانئ لها في هذه المناطق .

وتحدثنا في الفصل الثاني عن تطور تاريخ الهند الحديث والمعاصر منذ تأسيس دولة المغول الإسلامية في شمال غرب الهند ، ووجود الإمبراطورية الهندوسية " الغوجا باناجار " في وسط وجنوب الهند . ثم المحاولات البريطانية على يد شركة الهند الشرقية البريطانية للسيطرة على شبه القارة الهندية في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ، ثم اندلاع الثورة الهندية عام ١٨٥٧ ، وقيام حزب المؤتمر الهندي عام ١٨٨٥ والرابطة الإسلامية عام ١٩٠٦ واستقلال الهند وباكستان عام ١٩٤٧ ، ومشكلة كشمير التي ما تزال تترك صفو للعلاقات الهندية الباكستانية .

وتطرقنا في الفصل الثالث إلى تطور تاريخ الصين الحديث والمعاصر منذ عصر الأباطرة وانتشار الكونفوشيوسية ، إلى احتكاك الصين بالغرب ، وخوض الانجليز حربيين شهيرتين مع الصين فيما عرف بحرب الأفيون الأولى وحرب الأفيون الثانية ، وذلك كي تفرض الإدارة الاستعمارية البريطانية بيع الأفيون من أجل تحقيق مصالح اقتصادية للخزينة البريطانية ، رغم النتائج الوخيمة من بيع هذا العقار السام للشعب الصيني .

كما أشرنا في هذا الفصل إلى مراحل النزاع الياباني الصيني ، ومحاولات اليابان السيطرة على مقدرات الصين ، وكذلك محاولات الدول الكبرى فتح أبواب الصين ذات الإمكانيات التسويقية الهائلة للتجارة الغربية .

وفي الفصل الرابع "تطور تاريخ اليابان الحديث والمعاصر" بدأنا بتاريخ اليابان منذ فجر التاريخ ، مروراً بعلاقات اليابان بالغرب ، وكيف رحب اليابانيون بالأسلوب الغربي بدلاً من موجهته ، وكيف نقل اليابانيون عن الغرب فنونه وعلومه ، مما أدى إلى طفرة علمية كبيرة ، وخاصة عندما تمكنت اليابان من هزيمة روسيا عام ١٩٠٥ ، ثم ما كان من حوزها على مكاسب إقليمية في الحرب العالمية الأولى ، ولكنها في الحرب العالمية الثانية تعرضت للهزيمة خطيرة بعد تحالفها مع النازي وهزيمة النازي في الحرب العالمية الثانية ، ثم ما كان من تعرض اليابان لإلقاء القنبتين الذريتين عليها في نهاية الحرب ، وانتهاء الأمر بالاحتلال العسكري الأمريكي لها ، وكذلك تحول اليابان رويداً رويداً إلى قوة صناعية واقتصادية كبيرة.

ولبرزنا في الفصل الخامس "تطور تاريخ كوريا الحديث والمعاصر" وكيف أن موقع كوريا سبب لها الكثير من المشكلات ، وكانت هدفاً للأطماع اليابانية والصينية ، ثم كان الاستعمار لكوريا ومعااناة الشعب الكوري من هذا الاحتلال ، الذي انتهى بهزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية ، وما كان من تقسام كوريا إلى شمالية شيوعية وجنوبية رأسمالية تمسوش في كنف الاحتلال الأمريكي ، وللتأكيد على صعوبة تحقيق الوحدة الكورية مع تولد القوات الأمريكية في جنوب كوريا ، وتمسك كوريا الشمالية بالنظام الشيوعي .

وتناولنا في الفصل السادس "تطور تاريخ إندونيسيا الحديث والمعاصر" من خلال التركيز على فترة الاستعمار الهولندي ، وكيف حول الهولنديون إندونيسيا إلى مزرعة أو اقتصادية كبيرة خاضعة للهولنديين ، مع تحويل الشعب الإندونيسي إلى مجموعة من لقنان الأرض .

ولكن الحركة الوطنية الإندونيسية هبت من أجل الدفاع عن الوطن ، مستمدة من روح الإسلام القوية لئلا لهذه الحركة الاستقلالية ، حتى تم استقلال إندونيسيا .

وتحدثنا في الفصل السابع عن "تطور تاريخ فيتنام الحديث والمعاصر" من خلال الإشارة إلى العلاقات الأولى بين فيتنام والغرب ، ثم للسيطرة الفرنسية على مقدرات الهند الصينية ككل ، ثم ما كان من هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية ، ومحاولتها بعد الحرب إعادة سيطرتها على فيتنام ، ولكن لثوار الفيتناميين حققوا الاستقلال ، وهزموا القوات الفرنسية ، ولكن تم تقسيم فيتنام إلى شمالية شيوعية وجنوبية رأسمالية وهكذا اندلعت الحرب الأهلية وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية للحفاظ على فيتنام الجنوبية منذ عام ١٩٥٤ ،

ولكنها لاقت مواجهات صعبة نتيجة للتدخل السوفيتي والصيني إلى جانب فيتنام الشمالية ، مما أدى إلى المفاوضات منذ عام ١٩٧٢ ، وتحقيق معاهدة سلمية عام ١٩٧٥ ، لقد كانت حرب فيتنام مرحلة من مراحل الحرب الباردة .

وفي الفصل الثامن الذي جاء بعنوان " تطور تاريخ ماليزيا الحديث والمعاصر " تطرقنا إلى الحديث عن تاريخ ماليزيا قبيل الفترة الاستعمارية ، ثم بيّنا علاقات ماليزيا بالغرب الأوروبي ، والسياسة الاستعمارية التي تعرضت لها سواء من القوى الغربية أو على أيدي اليابان ، ثم تحدثنا عن الحركة الوطنية الماليزية من خلال إبراز الأحزاب والجماعات التي قادت الحركة الوطنية ووقفت بالمرصاد للمستعمر ، وموقف العالم من الاستقلال الماليزي ، وعلاقتها بدول جنوب شرق آسيا وبصفة خاصة إندونيسيا والفلبين .

أما الفصل التاسع وهو " تطور تاريخ بورما الحديث والمعاصر " فقد أشرنا فيه إلى أهم المراحل التي قادت في بورما قبيل الاستعمار الأوروبي وعلاقة بورما بجنوب شرق آسيا ، ثم سياسة الاستعمار في بورما ، وخاصة الاستعمار البريطاني ، ولقينا الفصل بالحديث عن كفاح الشعب البورمي من أجل الاستقلال .

وفي الفصل العاشر والأخير بعنوانه " تطور تاريخ تايلاند الحديث والمعاصر " أبرزنا أهمية تاريخ تايلاند مقارنة بتاريخ دول جنوب شرق آسيا ، وعلاقتها بالمناطق المجاورة ، وموقفها من الوجود الغربي في تايلاند ، والمناخ الانجليزية الفرنسية من أجل اقتناصها ، والنهضة الإصلاحية التي قادت بها تايلاند ، وموقفها من الحرب العالمية الثانية ، وسوء أوضاعها في كافة المجالات الاقتصادية عقب الحرب العالمية الثانية . وانضمامها إلى حلف جنوب شرق آسيا ، ونتائج هذا الانضمام على أوجه الحياة المختلفة في تايلاند وبصفة خاصة العسكرية .

وفي النهاية نرجو من القارئ أن نكون قد وفقنا في إعداد هذا الكتاب ، كي يفي بالغرض منه ، وهو تقديم دروسات عن تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر باللغة العربية .

والله ولي التوفيق

والتي كانت بمثابة مقدمة لدراسة الحالة، حيث كانت تهدف إلى توضيح أهمية الموضوع الذي سيتم دراسته، وذلك من خلال عرض بعض الحقائق والأرقام التي تدعم أهمية الموضوع.

فيما يلي بعض النقاط التي تم تناولها في المقدمة:

- أهمية الموضوع الذي سيتم دراسته.
- أهداف الدراسة.
- نطاق الدراسة.
- منهجية الدراسة.

وبعد ذلك، تم الانتقال إلى الجزء الثاني من الدراسة، والذي يتناول النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة.

النتائج

العلاقات الاقتصادية مع الشرق الأوسط في مطلع القرن العشرين

في مطلع القرن العشرين، كانت العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأوسط والعالم الغربي تتسم بالضعف، حيث كانت معظم التجارة الخارجية للشرق الأوسط تتم مع بريطانيا العظمى، وذلك بفضل موقعها الاستراتيجي كقوة بحرية.

ومع ذلك، فإن العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأوسط والعالم الغربي شهدت تطوراً هاماً في مطلع القرن العشرين، وذلك بفضل عدة عوامل، من بينها:

- التوسع في التجارة الخارجية للشرق الأوسط مع القوى الغربية.
- زيادة الاستثمارات الأجنبية في الشرق الأوسط.
- تطور البنية التحتية في الشرق الأوسط.

وكانت هذه العوامل جميعاً تساهم في تعزيز العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأوسط والعالم الغربي، مما مهد الطريق لمرحلة جديدة من النمو الاقتصادي في الشرق الأوسط.

وفيما يلي، سيتم تناول بعض النقاط التي تم تناولها في هذا الجزء من الدراسة:

لا يخفى أن فترة الأربعمئة والخمسين عاما التي بدأت بوصول البرتغاليين إلى الهند في عام ١٤٩٨ ، وانتهت بانسحاب القوات البريطانية من الهند في عام ١٩٤٧ ، وإنسحاب الاساطيل الأوربية من الصين سنة ١٩٤٩ ، إنما تكون حقبة تاريخية واضحة المعالم والحدود. وقد زلزل من الوجود أحد الخيوط الكبرى في الفكرة الأساسية، وهو القيام بحرب صليبية على الإسلام، والقيام بحركة النفوذ الاستراتيجية حول جنتح الأمة الإسلامية، فيعد الثورة الصناعية في أوروبا، والحاجة إلى الأسواق والمواد الخام، غلبت المصالح التجارية على ما عداها من أهداف. وفي غضون تلك الفترة تغيرت الموازين بالنسبة لزعامة الشعوب الأوربية، فانتزع الهولنديون السيادة التجارية قسرا من البرتغاليين، وتنازع عليها حينما من السهر كل من بريطانيا وفرنسا في أواسط القرن الثامن عشر، ومنذ تلك الفترة ارتفع شأن بريطانيا ولم يتعرض بعد ذلك أبدا لأى تحد خطير حتى بداية الحرب العالمية الثانية.

وهكذا تمت سيادة الدول البحرية الأوربية على الكتل الضخمة من الأرض الآسيوية في الشرق الأقصى، ثم فرض اقتصاد تجارى على مجتمعات لم تكن حياتها الاقتصادية في الماضي مؤسسة على التجارة الدولية، ولذا كان معنى التحكم في المحيط الأطلسي السيادة على المحيط الهندي، فالسيطرة في النهاية على المحيط الهادئ. وفي أثناء المائة سنة الأولى من هذه الحقبة (١٤٩٨ - ١٩٤٩) كانت للبرتغال وإسبانيا السيادة على الأطلسي، على أن هذه السيادة ما لبثت أن أخذت تتناقص وتضمحل رويدا رويدا.

ولا يصدق هذا فقط على مناطق مثل الهند وسيلان واندونيسيا، بل وينطبق أيضا على الصين وبلاد اليابان^(١).

وعلى أن نحاول تسليط الضوء على ارمصاصات العمليات الأوربية للسيطرة على الاصقاع الآسيوية منذ العقود الأولى من بداية التاريخ الأوربي الحديث.

أولاً: البرتغاليون

وصل فاسكو داجاما إلى ميناء كاليقوت على الشاطئ الجنوبي الغربي للهند في ٢٧ مايو ١٤٩٨، وكان وصوله إيذاناً بعلاقات جديدة بين الهند وأوروبا. حقيقة كانت الهند معروفة لدى أوروبا منذ أقدم أيام التاريخ. وقد زار الهند في أثناء القرن الثالث عشر كثير من الرحالة الأوروبيين.

وقبل وصول فاسكو داجاما بيض ستين إلى كاليقوت، وصل إلى الهند مبعوث لملك البرتغال الدوم جواو الثاني، هو بيرودا كوفلهام. الذي وصل إلى الهند سنة ١٤٨٨ وزار كاليقوت في نفس السنة وقبل وصول فاسكو داجاما بعشر سنين.^(٢)

والواقع أن تجارة التوابل مع الشرق كانت من أعظم العوامل الدافعة في التاريخ، كما أنها كانت تدر على التجار أعظم الأرباح بوصفها سلعة يشتد عليها الطلب من الناس جميعاً. ولقد كانت دولة المماليك في مصر والشام تتقاضى نحو ٣٠٠% من قيمة البضائع المارة بمصر والشام والآية من الشرق الأقصى أساساً ثم العابرة إما للخليج العربي أو البحر الأحمر فمصر أو الشام ثم البحر المتوسط وأوروبا، وهذا يفسر سر عظمة وقوة الدولة المملوكية في مصر والشام، واستطاعتها بهذه القوة الاقتصادية هزيمة الصليبيين والمغول.

ولم تكن التوابل مجرد مواد لتحسين مذاق الطعام، بل كانت بمثابة ثلاجات العصور الوسطى، لأنه في أوقات الجفاف كانت تذبح للماشية والأغنام، ويتم حفظها باستخدام توابل معينة لتعيش شهوراً وشهوراً صالحة للاستهلاك، فالتوابل كانت سلعة استراتيجية في ذلك الوقت. هذا بالإضافة إلى السلع الأخرى الآتية من الشرق الأقصى كالشاي والحرير والبوسلين وغيرها.^(٣)

وإذا كانت البرتغال قد أصبحت رائدة في الكشوف الجغرافية منذ القرن الخامس عشر، فقد أصبحت راعية للمسيحية... فكان روح الحروب الصليبية لم

تبقى متقدمة فقط، بل لقد ازدهرت مكتسبة قوة على قوتها بشبه الجزيرة الأيبيرية إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وبينما لم يكن الإسلام في نظر دول غرب أوروبا الأخرى إلا شيئا بعيدا التهديد شاسع، فإنه في أيبيريا كان يمثل قوة على الأبواب تهدد بالويل وبالجور.

ومرت حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية في البحار الهندية بعدة أطوار، غير أن انتقال مملكة البرتغال إلى التاج الأسباني في عام ١٥٨٠، لم يلبث أن أفقد البرتغال أهميتها، لأن الأسبان أحملوا شأن الممتلكات البرتغالية، واعتبروها ثانوية بالنسبة لممتلكاتهم الأخرى، واستمر الحال كذلك مدة خضوع البرتغال لاسبانيا أي إلى عام ١٦٤٠^(١)

ثانياً: الهولنديون

كان لانتشار المذهب البروتستانتي بأوروبا نتائج أعظم أهمية وأبعد مدى بالنسبة للقارة الآسيوية. فإن ذلك الانتشار أبطل فيما يتعلق بالدول البروتستنتية منحة البابا للبرتغال باحتكار التجارة في المشرق، وصار في إمكان دول أوروبا البحرية اقتحام المياه الهندية، ومن الأمور الهامة، أن مركز تجارة التوابل قد انتقل من لشبونة إلى الموانئ العظيمة في هولندا، ذلك أن الإقبال على التوابل كان أعظم في مناطق أوروبا الشمالية، كما أن أهمية لشبونة كانت ترجع بوجه رئيسي إلى أنها المستودع لتلك السلع الاستراتيجية. وأصبح التجار الهولنديون الذين كانوا يصرفون هذه السلع غير راضين بأي حال على أن يدفعوا أسعار الاحتكار التي كان يطلبها البرتغاليون، وخاصة وقد اتضح أن تحدى قوة البرتغاليين في البحار الشرقية كان من السهولة بمكان.

وفي عام ١٥٩٢ عقد كبار التجار الهولنديين في أمستردام اجتماعاً قرروا فيه إنشاء شركة للتجارة مع الهند. ورتبة في إعداد المعلومات الضرورية للرحلة، أرسلت الشركة كورنيليس دي هوتمان إلى لشبونة للحصول على كل

التفصيلات. وينبغي ألا يفوتنا أن البرتغاليين حتى في عهد الدوم مانويل اتخذوا كل الاحتياطات للاحتفاظ بسرية الطريق إلى الهند. فأصدر مانويل في سنة ١٥٠٤ مرسوما يحظر أن توضع على الخرائط أية إشارات تدل على الطريق إلى الهند. وكان لزاما على الهولنديين أن يجمعوا بصعوبة المعلومات والتقارير عن الرحلة إلى الهند.

وقد خرج أول أسطول هولندي للتجارة مع آسيا في ١٥٩٥ من مرفأ تكسل، وكان يتكون من أربع سفن بقيادة هوثمان، قبط الجزر الأندونيسية؛ ثم عاد إلى هولندا بعد غيبة دامت سنتين ونصف، ولم يعد من ملاحى السفن الذين خرجوا معه والبالغ عددهم ٢٥٩ رجلا سوى تسعة وثمانين، بيد أن المكاسب كانت وافية، فإن بيع البضاعة جلب مكسبا مقداره ثمانون ألف فلورن.

وكانت تلك الرحلة استهلالا لرحلات منتظمة تلتها، كما أنها أدت إلى تأسيس شركة الهند الشرقية المتحدة التي نظمت بإيعاء من السياسى الكبير أولدن بارنفلت، فيمقتضى مرسوم صدر في ٢٠ مارس ١٦٠٢ منح مجلس طبقات الأمة تلك الشركة احتكار التجارة، ولم يكتف بذلك، بل حولها سلطات سيادة عليا واسعة لعقد المعاهدات والمخالفات، وبضم ما تشاء من الأراضى، ولبناء الحصون وغير ذلك. وكانت أول معاهدة عقدتها الشركة مع الزامورين إمبراطور ملبار في جنوب الهند، وتقرر دياجة تلك المعاهدة أن الهدف من المفاوضات بشأنها هو طرد البرتغاليين من أرض عظمته وسائر الهند. ولكن كيف السبيل إلى ذلك مادامت أسس الدفاع البرتغالية لازالت قوية، ومن أجل ذلك كانت أول محاولة بهذا الهولنديون هى للحلول محل البرتغاليين في الجزر الاندونيسية، والتي كانت قبضة البرتغاليين عليها لا تزال ضعيفة.

وأعلنت الشركة المتحدة في ١٦١٠ أول تقرير لأرباحها وقدره ١٣٢,٥%. وكانت قد استولت من قبل في ١٦٠٥ على أمبونا من البرتغاليين،

ومع ذلك لا يمكن القول بأن مركز الشركة قد توطد تماما إلا بعد غزو جاكرتا واحتلالها في ٣٠ مايو ١٦١٩ على يد جان بيترز كوين. ولكن انطوى فنان ديمين - الذي عين جاكما عاما في ١٦٣٣ هو الذي أقام صرح الامبراطورية الهولندية، وقضى ثمانيا على البرتغاليين. وفي سنة ١٦٤١ انتزع من البرتغاليين ملقا صولجان عظمتهم في الشرق، وأمكن للهولنديين من هذه القاعدة أن يوجهوا التفاهم إلى تجارة الهند ذاتها. فمن ملقا شرع الهولنديون في مساعدة القوى الوطنية ضد البرتغاليين، ومن ثم كان سقوط الامبراطورية التجارية البرتغالية سريعا، ولم يبق بعد جوا وجزيرتي دامان وديو الصغيرتين أى أثر للامبراطورية البرتغالية في البحار الهندية.

واتخذ الهولنديون جزر المحيط الهادى أساسا رئيسيا لنشاطهم، وبذا كانوا في موقع متميز طوع لهم تنمية تجارتهم مع الصين واليابان. واحتل أسطولهم فورموزا حينما من الدهر، وبفضل تجارتهم مع الصين أدخل الشاي إلى بلاد الغرب، كما كان لأتصالهم باليابانيين شيء في إثارة الرغبة لدى الغرب في التعرف بتلك الامبراطورية الجزرية. (٥)

ثالثا: الانجليز

قبل إنشاء الشركة الهولندية بعام واحد، كانت شركة الهند الشرقية البريطانية قد تلقت من الملكة إليزابيث المرسوم بمنحها حق احتكار التجارة في الشرق. وكانت التوابل شديدة الأهمية للانجليز في ذلك الحين. وأقلعت أول سفينة للشركة إلى بلاد الشرق بقيادة الرهبان لانكستر في ٢٤ يناير ١٦٠١، فوصلت إلى أنشون بسومطرة، وعادت بعد سنتين ونصف في أبريل ١٦٠٣ تحمل حمولة وزنها ١,٠٣٠,٠٠٠ رطل من الفلفل. وأعقبت هذه الرحلة رحلات أخرى جعلت وجهتها جزر التوابل بوجه خاص. ولكن أمور الشركة لم تسر على مايرام، إذ لم يكن لدى إنجلترا ما تبيعه بدلا مما تأخذ، وكان اقتصاديو

ذلك الزمان يكرهون تصدير العملة الفضية أو الذهبية أشد الكراهية، على أن وكلاء الشركة بالجزر اكتشفوا مع ذلك طريقة مناسبة ومرضية، فسلّمهم قدموا تقارير مفادها أن تلك الجزر يشتد بها الطلب على المنسوجات الهندية، فإذا أمكن جلب هذه المنسوجات وبيعها في بانتام وملكا أمكن تمويل تجارة التوابل من الأرباح. وهكذا كان الهدف من إنشاء الشركة البريطانية من إنشاء مركز تجارى في الهند هو شراء المنسوجات، وكان المكان الذى اختير لهذا الغرض هو سورات سنة ١٦١٢.

وفي سنة ١٦١٥ أقتنع الملك جيمس بأن يرسل سفيرا له إلى دولة المغول في شمال الهند، وكان الإنجليز قد طردوا من إندونيسيا في تلك الفترة، وتركز اهتمامهم التجارى بأرض الهند الرئيسية، وهنا عادت مشكلة الشركة الإنجليزية إلى الظهور مرة ثانية.... فكيف السبيل إلى دفع أثمان التجارة الهندية؟ وهنا شرعت شركة الهند الشرقية البريطانية تتخذ سياسة زيادة عدد مراكزها التجارية في الهند بحدّ، حتى إذا ولّغت سنة ١٦٤٧ صار لها ثلاثة وعشرون مركزا تجاريا. وتغير الموقف قليلا بوقوع بومباي على حوزة الشركة البريطانية في عام ١٦٦٥، ونقل المركز الرئيسى للشركة من سورات إلى بومباي، التى كان في إمكان مدافع الأسطول أن تدافع عنها بسهولة. وكان لتولى السير جوشيا تشايلد مديرا للشركة أثره في تطور الأمور، فإنه كان يحس في داخله بأعظم احتقار وأعظمه لكل ماهو آسيوى، بل لقد أعلن الحرب على الامبراطورية المغولية، وكانت نتيجة ذلك شائعة مجاما، فقد هزم الإنجليز بكل المعايير، وتم فرض غرامة كبيرة على تجارهم المغوريين.

فلما عاد وكلاء الشركة البريطانية إلى البنغال سنة ١٦٩٠ استقروا في قرية على نهر هوجلى (كلكتا) وسمح لهم بتحسينها بعد ذلك بست سنوات، ثم تدعم

الوجود البريطاني في بومباي ومدراس وكلكتا ، وهي المراكز الثلاثة التي استطاعت منها السلطات البريطانية أن تنفذ إلى داخل الهند بعد ذلك بمائة سنة.

رابعاً: الفرنسيون

أدرك الملك الفرنسي هنري الرابع أهمية السير على قدم المساواة مع الدول الأوروبية الأخرى في المحيط الهندي. فحاول أن يؤسس شركة فرنسية للهند الشرقية في سنة ١٦٠١، ثم تمت رحلات كشفية متنوعة، بيد أن انشغال فرنسا الشديد بالتطورات الأوروبية آخر النشاط الاستعماري الفرنسي. ثم تبلورت أفكار الفرنسيين عن محاولة إقامة قاعدة لهم في جزيرة سيلان، ووجهوا إليها أسطولاً ضخماً سنة ١٦٧٠، إلا أن الهولنديين حالوا بين الفرنسيين وبين الاستقرار في هذه الجزيرة، ولم تحقق تلك الحملة أهدافها، فأنشأ بوندشيري على يد فرانسيس مارتن.

وعلى أية حال، فقد شهد القرن السابع عشر الأخير من النصف الأول من القرن الثامن عشر شبوب المنافسة الكبيرة بين إنجلترا وفرنسا في المحيط الهندي، كما تجلت الأحوال السياسية المتغيرة في أوروبا، والتي دفعت إلى الوراء كلا من البرتغال وهولندا، وانعكاس كل ذلك على القارة الآسيوية، وبالتالي لم يبق في حلبة المنازعة سوى فرنسا وإنجلترا وحدهما. (١)

الفصل الثاني

تطور تاريخ الهند الحديثة والمعاصرة

تاريخ الهند الإسلامية

كانت للهند حضارة قديمة أشع نورها شرقا وغربا، وفي عهد الأمويين بلغت الفتوحات الإسلامية مشارف الهند وكان ذلك إيذانا بفتوحات إسلامية كبرى داخل الهند، وأولى الحملات الإسلامية إلى الهند كانت بقيادة محمد بن القاسم، الذي أخضع إقليم السند للحكم الإسلامي، وأسباب هذه الحملة ترجع إلى أن القراصنة الهنود كانوا يهاجمون سفن العرب المتجهة إلى الحجاز، وذلك لأن الراهمة أيدوا الفرس ضد العرب وحملوا من كان يلجأ من الفرس إليهم، ولكن فترت بعد ذلك قوة الانتدفاع الإسلامي في الهند. ثم أخذ المسلمون في التوسع في الهند وذلك بعد أن نمت قوة الإمارات والدويلات التركية شبه المستقلة في بلاد ماوراء النهر فقد استطاع البكتكين (أسحاق بن البكتكين) وإلى السامانيين على خراسان - الذين كانوا تابعين اسميا للخلافة العباسية - أن يؤسس لنفسه إمارة في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي وكانت هذه الإمارة تضم أفغانستان وغزني وغيرها، وأخذت هذه الإمارة تتطلع إلى غزو الهند.

ولم توفى أسحاق تولى من بعده ناصر الدين سبكتكين وهو من غلمانه اشتهر بالثقل والصرامة وقامت على يده الدولة الغزنوية السبكتيكية وذلك سنة ٩٧٧ م. وقد أخذ سبكتكين بعد استقرار الأمور في إرسال جيوشه إلى أطراف الهند الغربية، وهنا قام حيال ملك الهند بمحاربته ولكنه هزم، واضطر للتعهد بدفع غرامة، ثم نكث عهده فسار إليه سبكتكين وهزمه مرة أخرى، وقد قام ابنه محمود بمشاركته في كل حروبه، وبعد وفاة سبكتكين تولى محمود الملك بعد سبعة أشهر وذلك لأن سبكتكين عهد بالملك لابنه اسماعيل وكان صغيرا، وكان محمود غائبا فدارت مناوشة بين الأخوين انتهت بتولى محمود الحكم.

اشتهر محمود بن سبكتكين (٩٧ - ١٠٣٠) بمحمود الغزنوي وقد استطاع بشجاعته تأسيس حكم إسلامي في الهند، ظل مزدهراً قوياً من بعده واستمر حوالى ثمانية قرون ونصف.

بدأ محمود الغزنوي حكمه بالانحياز نحو أمراء المسلمين الذين يخشى منهم على مملكته وانقضت عليهم بل على الدولة السامانية نفسها التي كان يتبعها تبعية إسمية، ثم لقمه بعد ذلك إلى الهند وأعلن أنه يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين وأمضى نحو خمسة وعشرين عاماً في حروب لفتح بلاد الهند.

وقد قام ابتداءً من عام ١٠٠٠م بسبعة عشر غزوة وصل في بعضها إلى قلب السهول الهندية، وتجد مقاومة عنيفة من القوى الهندية المختلفة التي كانت تقسم الهند في ذلك الوقت. واستطاع محمود الغزنوي توجيه ضربة قوية إلى الإمارة الهندوكية في كنجرات.

وقد توالى خلفاء محمود الغزنوي وساروا سيرته في التوسع في الهند وترجعوا على عرش غزنه والهند، إلا أن الخلاف دب بينهم وأدى ذلك إلى تمرد البلاد التي فتحوها فسقطت عاصمتهم غزنة سنة ١١٥٢م وكان آخر ملوكهم بهرام شاه.

الدولة الغزنوية

قامت هذه الدولة في جبال غور أو غورستان وقد قويت هذه الدولة في الوقت الذي كانت تحتضر فيه الدولة الغزنوية من جراء الخلافات، وقد ورثت هذه الدولة الفتية الدولة الغزنوية في غزنه والهند، فقد أسس الحسين بن الحسن الملقب بعلاء الدين مملكة في منطقة جبال غورستان، ومن هذه المنطقة زحف بجيشه على غزنة فاستولى عليها واستطاع الملك الغزنوي استعادة ملكه، ولكن علاء الدين استطاع استرداد غزنه مرة أخرى، وبعد وفاة علاء الدين استرد

الغزنويون ملكهم، ولكن خلفاءه قضوا نهائيا على الغزنويين واصبحت غزنة تابعة للدولة الغورية.

وقد استمرت الدولة الغورية قائمة حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، وأشهر رجال هذه الدولة هو شهاب الدين الغوري ابن أخ علاء الدين السدي توسع في الهند فاستولى على مولتان ولاهور وقلعة بتهنده، وتوجه إلى دلهي ولكن ملكها خضع له فرأى تركه في مملكته، ولكن مملوكه قطب الدين أيلك نائبه في البلاد الخاضعة في الهند ضم دلهي إلى البلاد الإسلامية وجعلها عاصمة الهند سنة ١١٩٣م.

وقد استبد المماليك بالحكم مدة قرن وخلفهم الأمراء الخلجيون (١٢٩٠-١٣٢١م) نسبة إلى جلال الدين الخلجي. وفي عهده شهدت الهند غارة كاسحة للمغول سنة ١٣٠٤، ووصلوا إلى أبواب دلهي ولكنه هزمهم، وكان آخر ملوك هذه الأسرة محسروخان، وكانت سيرته شاذة وكان ميالا للهندوس فقد كان هندوسيا وأسلم واستجار بحاكم لاهور غازي ملك "تفلق" الذي هاجمه وقضى عليه، وانتقلت السلطنة إلى تفلق الذي أسس دولة آل تفلق (١٣٢١-١٤١٢)، وآخر سلاطين هذه الدولة هو محمود تفلق وفي عهده قامت ثورات الهندوس في شرق الهند، وأخذت الهند تموج بالتحالفات والثورات، والهندوس في كل مكان يقومون بالثورة، وكذلك أمراء المسلمين. وفي ذلك الوقت هجم تيمور على الهند ليخضعها لسلطانه، فاستولى على دلهي سنة ١٣٩٨م وفر السلطان محمود إلى كجرات أولا، ولم يحسن أميرها استقباله فسار إلى مالوا وظل فيها إلى أن عاد إلى دلهي.

وكان تيمور من المغول المسلمين استطاع الاستيلاء على سمرقند وماوراء النهر وتركستان وخوارزم وخراسان والعراق وغيرها من البلاد الإسلامية حتى بلغ الشام وطلب من حاكم مصر السلطان بريقوق التسليم ولكنه رفض وتسوق

برقوق وخلفه ابنه السلطان فرح، فقام لقتاله وهزمه قرب دمشق واضطر تيمور لطلب الصلح، ولكن الفتنة قامت بين جميع المماليك فترك السلطان الشام وعاد إلى بلاده فوجد بها تيمور فرصة فدخل دمشق وضربها سنة ١٤٠٠ م.

خرج تيمور من الهند دون أن يحكمها مكثفيا بالاسلاب والغنائم من الذهب والموهرات، وعاد السلطان محمود للحكم مرة أخرى ولكن سلطته أصبحت سلطة اسمية وأخذت البلاد تموج بالاضطرابات وعموته انتهى حكم أسرة تغلق.

وقد أسس خضريخان (نائباً عن التيموريين) في دلهي سنة ١٤١٤ أسرة السلاطنت واستمرت هذه الأسرة في الحكم حتى ورثها اللودهيون الأفغان سنة ١٤٥١ وقد ظهرت هذه الأسرة في لاهور ثم زحفت إلى دلهي واستولت عليها. وإلى جانب اللودهيين الأفغان كانت توجد مجموعة من الإمارات المتفاوتة في القوة وأهمها:

- جنجور، وكانت هذه الإمارة قد استقلت عن دلهي ثم استولى عليها اللودهيون الأفغان.

- إقليم البنغال، استقل به حسين شاه، وقد دعا إلى دين جديد يجمع للمسلمين والهندوسيين ولكن البنغال وقعت في يد الأفغان بعد ذلك.

- إمارة كجرات، وهي إمارة تجارية ثرية ذات اتصالات واسعة مع مصر وشرق أفريقيا وقد استقلت في سنة ١٤٠١ م.

- مالوره، وتقع شرق كجرات، واستقلت في مطلع القرن الخامس عشر، ولكن أمير كجرات استولى عليها في سنة ١٥٣١.

- عاتلش، وقد وقعت تحت سيطرة إمارة كجرات.

- لوربا، وهي في أقصى الشرق.

أما دولة فيجايانا جارا الهندوكية القوية في أقصى الجنوب فكانت تقاثل بعنف ضد الإمارات الإسلامية وهذا يفسر تحالفها مع البرتغال فيما بعد ضد القوى الإسلامية في الهند.

والإمارة الأخيرة هي إمارة مواروهي إمارة هندوكية. لقد كانت الهند مفرقة إلى عدة دول متحاربة ولكن الإسلام كان متفوقا في شمال ووسط الهند، أما الهندوكية فكان لها الجنوب. وقد استمرت الصراعات بين رجال الأسرة الحاكمة اللوذية مما أدى إلى ثورات الأمراء الأقطاعيين، مما سهل على بامر (صاحب غزنه) الاندفاع بجيوشه على سهول الهند وتأسيس إمبراطورية مغولية حضارية في الهند^(٧).

دولة المغول

١٥٢٦ - ١٨٥٧

لقد أجمع الكتاب تقريبا على أن المغول لم يبنوا امبراطوريتهم الواسعة من حدود الصين إلى الشام إلا بسبب كثرتهم العددية، وأن انتصاراتهم ترجع بالدرجة الأولى لما كانوا يثونونه من رعب في قلوب أعدائهم مما يضعف من روح المقاومة أمامهم، فقد قام المغول بمذابح جماعية وحرقوا مدنا كاملة وأفتوا سكانها، ولكن الحقيقة أيضا أن التفكك والتصدع الذي أصاب العالم الإسلامي خلال تلك الحقبة من الزمن سهل انتصاراتهم، إلى جانب أن جيش المغول كان جيشا منظما إلى حد كبير.

أما مؤسس دولة المغول في الهند فهو بابر (بهر) ومعنى تلك الكلمة بهر في الهند (النمر) واسمه الكامل ظهير الدين محمد بابر وأبوه من سلالة تيمور لنسك وأمه من أسرة جنكيز خان.

وقد ولد بابر في سنة ١٤٨٣ وحرص أبوه على تثقيفه وتعليمه العلوم المختلفة والفنون العسكرية، وتوفي أبوه وهو صغير فجلس على عرش فرغانة وسنه اثنا عشر عاما وسط عدد كبير من الطامعين في العرش، أعنفهم عماء، ولكن القدر شاء أن توفي كل منهما.

وقد استطاع بابر بعد ذلك الاستيلاء على سمرقند من يد محمد شيباني خان الاوزبك، ولكن شيباني عاد مرة أخرى لتخليص سمرقند، ورغم استماتة بابر في الدفاع إلا أن المدينة سقطت في يد شيباني، فترك بابر سمرقند وبلاد ماوراء النهر واستطاع أن يوطد أقدامه في كابل ويؤسس مملكته في سنة ١٥٠٤ وأخذ في التوسع وتقوية حكمه، واستنجد به حاكم لاهور ضد حاكم دلهي، وهنا وجد بابر فرصة المواتية، فالهند مطمع الفاتحين، فسار في اثني عشر ألف مقاتل مزودين بأحدث الأسلحة وخاصة المدافع.. وكانت قوة حاكم دلهي مائة ألف

من الفرسان، والتقى الجيشان في بائي بت في إبريل سنة ١٥٢٦ ، وأمام قوة المدافع قتل حاكم دلهي وآلاف من جيشه ودخل بابر دلهي منتصرا، فنودي به ملكا على الهند في إبريل سنة ١٥٢٦ وبذلك انتهت الدولة اللوذية.

وقد استولى همايون (ابن بابر) على أكرا، وقد غنما من دلهي وأكرا غنائم كثيرة، وقد قام بابر بتوزيع الغنائم على جنوده.

وبعد أن توطدت أقدام بابر، خشي ملوك الهند من الهندوس منه، فهو قوة إسلامية رهيبة وربما قضى عليهم، فتجمع ملوك الهندوس، وانضم إليهم "محمود اللودي" أخو حاكم دلهي المقتول في الحرب، وكان زعيم الهندوكيين (رأاسنكا) سيطرا على معظم وسط وجنوب الهند وقد تحالف الهندوكيون مع الأمراء الأفغان على أن يتولى السلطنة واحد من الأسرة اللوذية، لأن ذلك أفضل من هذا الغازي القوي (بابر) ، فعلا أعلنوا محمود اللودي سلطانا على البلاد.

لم يهرب بابر هذا التحالف بل قام بتشجيع جنوده على القتال مستغلا العامل الديني، وأعلن أمام جنوده أنه سيظهر نفسه من شرب الخمر، وحطيم كؤوسها، ثم دعا الجنود إلى القسم بالله وكتابه ألا يروحوا مكائهم إلا بالنصر أو الخلاك ، ورفع الجند المصاحف وأقسموا ودب الخمر في القلوب وتقدموا للقتال، ودارت معركة خانوه الرهيبة ١٦ مارس سنة ١٥٢٧ التي انتصر فيها بابر انتصارا رائعا، وبدد شمل المتحالفين، قوض أركان هندوكيين والأفغانيين. وقد تعقب بابر قلوب المنهزمين وتعقب محمود اللودي السذي فر إلى البنكسال واستولى بابر على بيهار.

اتجه بابر بعد ذلك لبناء دولة إسلامية قوية، وكان يعلم تماما أن دولته تضم هندوسا ومسلمين وكان يرغب في إصلاح البلاد لذلك كان لزاما أن تكون الأمور الداخلية هادئة، ومن هناك كانت دعوته للتسامح الديني.

اتجه باير بعد ذلك للإصلاحات الداخلية، فمهدت الطرق، وكثر حفر
الترع وغرس الأشجار، كما قام أيضا بتنظيم الضرائب، وقد استطاع باير أن
يقوم بالفتوحات السالفة والإصلاحات الداخلية في مدة لم تتجاوز خمس سنوات،
فقد توفى في السابعة والأربعين، وأوصى بأن يكون ابنه همايون ولي عهده في
الهند.

لقد أسس باير دولة المغول في الهند في وقت احتلت فيه الدولة العثمانية
مصر والشام والبلاد العربية في عهد سليم الأول، أما في إيران فكانت الدولة
الصفوية، وكانت البرتغال قد غزت شواطئ الهند وأسست فيها بعض
المستعمرات بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح، كما كانت هناك دول
إسلامية مستقلة في كجرات ومالوا والدكن وجونيورويتكال والسند.

همايون شاه

ولد همايون في كابل سنة ١٥٠٦ وتربى تربية عسكرية سياسية، كما تعلم
الكثير من العلوم وكان مساعدا لأبيه في فتح الهند، وكان قائدا ناجحا، ولما اشتد
المرض بباير عهد له بالملك ولكنه عانى من قوى داخلية طامعة في ملكه ممثلة في
أخوته، وقوى خارجية تطمع في استرداد ملكها الذي أخذه باير بحمد السيف.
بدأ همايون بمحاصرة قلعة النكر، وفي ذلك الوقت قام محمود اللسودي
بمعاونة الأفغان بالاعتداء على جونيور فعاد همايون إليه وأخضع جونيور، ثم سار
إلى حاكم بيهار الذي أظهر له الخضوع، وامتد حكمه إلى البنغال، ثم سار إلى
كجرات فأخضعها، وكان ملكها يحب أعداء همايون، وفي ذلك الوقت قسام
شيرخان حاكم بيهار بالاستيلاء على كثير من بلاد همايون، فأسرع همايون إليه
ولكنه هزم، وقتل عدد كبير من جيشه.
عاد همايون إلى اكرا منهزما، وفي نفس الوقت استمر أخوته في الكيد له،
وقام همايون بإعداد جيش قوى لمحاربة شيرخان والحقيقة أنه كان صراعاً بين

الأفغان الذين يمثلهم شيرخان والمغول الذين يمثلهم همايون، وقد استمر إعداد جيشه نحو عام، وأخيرا التقى الجيشان سنة ١٥٤٠ ومرة أخرى مضى همايون هزيمة مروعة، واضطر إلى الفرار وتبعه شيرخان إلى أكرا ولاحور وقد انفض الجميع من حول همايون، كما عذله أخوته، بل عاونوا عدوه، فدخل السند لايعرف لنفسه مستقرا، وفي ذلك الوقت أنجب ولدا في سنة ١٥٤٢ فتغير حاله وأقسم على أن يقاتل وأن يترك لولده ملكا يرثه.

أما هذا الابن فهو جلال الدين محمود الشهير بأكبر.... وقد حارب همايون معارك دامية ولكنها خاسرة، ولم يأس واستمر في القتال حتى دخل كابل سنة ١٥٥٥ م. واستطاع دخول دلي، ولكنه توفي وأعداؤه الأفغان قد استولوا على أكثر البلاد، وكان ابنه أكبر في البنجاب، فتودى به سلطانا على عرش أبيه سنة ١٥٥٦ م وكان عمره ثلاث عشرة سنة وبضعة شهور.

جلال الدين أكبر

كان أكبر معتزا بشبابه وقوته وكانت له قوة عارقة، وكان منصرفا إلى الرياضة العنيفة ويعشق القتال، وقد تولى أكبر الحكم تحت وصاية بزم خان وكان قائدا قويا بصيرا بأمور الملك، اعتمد عليه همايون أثناء نفيه وعند إسترداد ملكه، وقد قام بتوطيد الملك لأكبر وقمع الثورات والفتن، وإليه يرجع الفضل في الانتصار الحاسم في موقعه بان بت الثانية سنة ١٥٥٦ م ضد آل سور في البنجاب وأورا.

لقد كان آل سور في الحقيقة أشد المغول خطرا على أكبر، ولكن أكبر عزل بزم خان من منصبه، ولاشك أن المؤامرات كانت ضد هذا الرجل إلى جانب خوف أكبر من سيطرته على البلاد. وغضب بزم خان من عزله بعد أن دعم الملك لأكبر وفكر في الخروج على أكبر، ولكنه لم يلبث أن تراجع وقبل

مغادرة البلاد منقيا إلى الحجاز، وفي الطريق عند كجرات قتل علي بن عبد الله بن عبد الله
الأفغان انتقاما منه.

وقد وقعت المشاكل أمام أكبر منذ توليه الحكم، فقد كان صغيرا، مما جعل

الحكام والقواد يشعرون بذلك فاستخفوا به وطمعوا في الخروج عليه، وثار أحد

قواده الكبار (خان زمان) وانتهاز فرصة خروج أكبر لاحتضار سورة النجاشي

فاستولى على قنوج وأوده، فعاد أكبر إلى أكراد وجمع جنوده، واستطاع هزيمة

خان زمان وقتله. كذلك كانت هناك مجموعة من الإمارات القوية تنطلق إلى

التوسع على حسابها، ولهذا شن أكبر سلسلة متلاحقة من الحملات على الهند

والملاك وكشمير وكجرات وخاندش وأوروبا والرجوت في الهند ٥٥٥/٩ ق

والحقيقة أن جميع المعارك التي خاضها أكبر كانت معارك دفاعية، فبما أنه

خاصة معركة بين بنت الثانية، وكذلك المعارك التي انتهت بسحقه لم يهزمه

الهندوس المتبعة وكان عددها ثلاثة حصون. وقد شملت هذه المعارك معظم

حكمه والذي استمر نصف قرن (١٥٥٦ - ١٦٠٥) وكان مما واجه أكبر أيضا خروج أخيه ميرزا حكيم عليه ولكن أكبر

أحضره وقتل عنه بعد ذلك. وأما ما شاع من أن أكبر قد استولى على الهند كلها

فإنه غير صحيح، بل إن أكبر قد استولى على الهند كلها باستثناء ولاية أوديسا وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

بنغال وولاية كشمير وولاية خاندش وولاية أكراد وولاية كجرات وولاية كشمير وولاية

على الهند بأسرها فإنه سيطر على أكبر أجزائها (كل شمال الهند ووسطها) ولم يبق خارجا عن سلطانه سوى دولة فيجاياناجار الهندوكية في أقصى جنوب الهند. وقد قامت سياسة أكبر في الحكم على أساس عدم التفريق بين جنس وآخر وأودين ودين ، وقد أدت هذه السياسة إلى إخلاص الهندوس له، وخاصة بعد أن أزال الفوارق بين المسلمين والهندوس في دفع الضرائب، وقد قدم المعونة للزراع وثبت ملكياتهم للأرض. أما إصلاحات أكبر الاجتماعية فمعتها أنه منع الزواج قبل سن الرشد وأباح زواج الأراذل الهندوسيات، كما منع إحراق المرأة لنفسها إذا توفى زوجها، وألغى جعل أسرى الحرب عبيدا.

أما عن موقف أكبر من العقيدة الإسلامية وخاصة لما أثر حول موقفه من الإسلام، فقد حرص أكبر في أول حكمه على تقريب العلماء ورجال الدين، بل كان يذهب بنفسه إلى منازلهم للاستماع إليهم وأن يتقرب إلى الأولياء، وظل أكبر على هذه الحال حوالى العشرين عاما الأولى من حكمه، ثم ملكه الضرور ويتصور أنه ظل الله في أرضه ومن ثم فلا يجب أن يستمع إلى العلماء بل يفرض عليهم ما يراه، ثم أنشأ مكانا سماه "عبادة خاتنه" ، أى مكان العبادة، تلك العبادة التي اخترعها ، وهي بعيدة عن الإسلام مقتبسة من كل الأديان، أى أنه ادعى ديناً جديداً وسماه "الدين الالهى" ونظريته أن الدعوة إلى الإسلام قد انتهت، وأنه لا بأس من اقتباس عبادة جديدة من الأديان كلها، وقد استقى أكبر نظريته من اتحاد اللغات المختلفة التي كوّنت لغة واحدة جديدة هي اللغة الأوردية (كانت الفارسية هي لغة الأدب في الهند والتركيب هي لغة الجيش المغولى الذى يضم عددا كبيرا من الأتراك في أول الأمر ثم أصبح يضم تركا وهنودا ومسلمين وغير مسلمين، وقد اختلطت اللغات الثلاث الفارسية والتركية والهندية، وتناج هذا الخلط لغة جديدة هي اللغة الأوردية التي أصبحت اللغة الأولى في الهند). فنظريته هي امتزاج الأديان كما امتزجت اللغة ودعا إلى المذهب الالهى.

والمذهب الالهى يدعو إلى عبادة رب واحد وأكبر ظله على الأرض مع
تحريم اللحوم والخمر، ويقوم هذا المذهب أو الدين على أساس المساواة التامة بين
الرعية.

لاشك أن أكبر أبعد عن الإسلام بدعوته هذه، وتاه في بحثه عن دين
جديد، لقد كان يرغب في توحيد الناس تحت لوائه وهذا يفسر اتخاذ الدين في
عملية التأليف بين الطوائف المختلفة في الهند. وقد وقع أكبر أيضا تحت تأثير
الاعتقاد السائد في الهند في ذلك الوقت من أنه على رأس الألف الثانية للسحرة
سيظهر المهدي المنتظر ليعيد العدل إلى الأرض بعد أن تفشى فيها الظلم والفساد
ولاشك أن أكبر قد ملأه الغرور ولذلك رأى في نفسه أنه ظل الله في أرضه وأنه
أقدر من غيره على توجيه أمور الرعية، وهذا هو أساس دعوته للمذهب الالهى.
أما علاقة أكبر بالبرتغاليين فبعد استيلائه على كميرات المطلة على المحيط
الهندي أصبح أمام الأسطول البرتغالي الذي احتكر السيطرة على المحيط الهندي
وعلى طريق رأس الرجاء الصالح إلى أوروبا، كما أغلق مداخل البحر الأحمر
والتخليج العربي ولهب كل سفينة عربية أو إسلامية بعد الاستيلاء عليها.

وترجع صلة أكبر بالبرتغاليين إلى عام ١٥٧٥ حيث رغبت إحدى
الأميرات في الحج، وخشى أكبر من سيطرة الأسطول البرتغالي على البحار
وعدوانه على السفن، فطلب من البرتغاليين عدم التعرض لهذه الأميرة ففاوضوه
على أساس أن يحصلوا على موقع على ساحل دامان في مقابل ذلك، فلما عادت
ساله هاجم جنود أكبر دامان وديو وغيرها من معاقل البرتغال، ولكن فشل
هجومهم في طرد البرتغاليين، وادعى أكبر أنه لم يأمر بهذا الهجوم، بل أرسل
رسالة ودية نمما إلى فرديناند الثاني ملك أسبانيا والبرتغال وذلك مع أحد
المنصرين الجزويت، ومعنى ذلك أن أكبر كان يخشى قوة البرتغال البحرية، وأنه لم
يقف أمام تلك القوة، والحقيقة أن عدم إدراك أكبر لخطورة التفوق البحري

البرتغالي أدى إلى عدم مواجهة هذا الخطر في بدايته، حتى انتهى الأمر بالهند إلى وقوعها تحت سيطرة الاستعمار الأوربي.

وقد أسند أكبر تعليم ابنه سليم إلى منصر برتغالي، من الجزويت وكان ذلك خطأ بلاشك من أكبر، فالبرتغال في ذلك الوقت كان تنزع حركة صليبية عسكرية نصرانية على أوسع نطاق، ولاشك أن سليم تأثر تأثيراً كبيراً بهذا المنصر، فنشأ مضطرب الفكر، مهتز العقيدة. وأدمن الخمر، وفي سنة ١٦٠٠ ثار سليم على أبيه طمعا في الملك، ولم تكن هناك ضرورة لثورة سليم، فقد توفي الأبن الثانى لأ أكبر مراد، أما الأبن الأصغر دانيال فكان شبه أبه من افراطه في الشراب، ولم يكن هناك سوى سليم لتولى هذا المنصب.

وقد اختلفت الآراء حول أسباب ثورة سليم فمنهم من يرجعها لضعف شخصيته ومحاولة إثبات ذاته، ومنهم من يرى أن بعض الأمراء المنادكة قد تأمروا على أكبر فحرضوا ابنه على الثورة.

بدأ سليم عملياته الحربية محاولا احتلال اكرا، ولكنه تحول عنها إلى اله اباد، وقد عاد أكبر مسرا من الدكن حينما علم بثورة ابنه وترك دانيال وبها القضل يحميان الدكن، وحينما وصل إلى اكرا ارسل لابنه سليم في اله اباد السقى كان يحكمها فجاء إليه معتذرا وصفح عنه، وأسباب عودة سليم إلى طاعة أبيه ترجع إلى انه كان هناك تفكير في بلاد أكبر بالمناداة بخسرو وهو ابن سليم وليا للعهد.

لقد كانت طاعة سليم غير صافية فقد كان يخشى انتقام أبيه منه، ولذلك يثور مرة أخرى، ولكن أكبر يفقد ابنه دانيال مما جعله يرسل إلى سليم مرة أخرى يدعوه للطاعة وخاصة أنه سيرث الملك ولا منافس له عليه، وعاد سليم مرة أخرى نادما، ولكن أكبر قبض عليه، ثم مرض أكبر بعد ذلك وسلم الملك لابنه سليم.

مات أكبر بعد أن أسس مملكة شملت الهند كلها تقريباً، متخذاً أسلوباً جديداً في الحكم، وقد نشطت الحياة الأدبية والفنية في الهند في عهده، فقد أدت اتاحته الحرية للعلماء إلى بعث حركة علمية رائعة، وكان مجلسه يشهد بمجادلات دينية وفلسفية عميقة وخاصة عندما كان يبحث في الأديان، ويعتبر عهد أكبر عهد ارتقاء للآداب الفارسية والهندية، وقد نشطت في عهده وبأمره حركة التأليف ومن أشهر ما كتب وترجم في عصر أكبر.

- ترجمة الأنجيل إلى الفارسية، وقد ترجمه أبو الفضل بن المبارك سنة ١٥٧٥م.

- أكبر ناقه "تاريخ أكبر" ذكر فيه تاريخ الهند في أيام ملوك المغول حتى أكبر وقد كتبه أبو الفضل أيضاً بالفارسية.

- تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين في مصر والشام وبغداد وقد ألفه عبد القادر البديوي بالفارسية.

- منتخب التواريخ للبديوي في ثلاثة أجزاء عن تاريخ الهند.

الأول: ملوك الهند من سيكتكين إلى همايون.

الثاني: أخيار أكبر إلى أربعين سنة من جلوسه على العرش (وقد هاجم فيه المؤلف عقيدة أكبر).

الثالث: في ذكر من عاصره من الشيوخ والعلماء والشعراء والأدباء.

- ترجمة "مذكرات باير" التي كتبها عن يومياته. ترجمها من التركية إلى الفارسية عبد الرحيم بن بيرم خان.

وإلى جانب هؤلاء المؤلفين كان هناك العديد من الكتاب والمترجمين والشعراء،

لقد كان أكبر أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ورغم ذلك كان يستمع إلى

الكتاب ويناقش المشكلات سواء كانت فنية أو أدبية وترك مكتبة ضمت فيما

يقال أربعة وعشرين ألف مخطوط على جانب كبير من الأهمية.

أما الفن فقد اعتنى به (أكبر) عناية فائقة وقد سار في ذلك على نهج أجداده، وإن كانت الحروب تشغلهم أحيانا عن ذلك. وكان اهتمامه بفن التصوير كبيرا، فلما أنشأ فتح بور وجعلها عاصمة له زين قصورها برسوم جميلة قام بها فنانون إيرانيون وهنود، إلى جانب أن العاصمة نفسها كانت تشهد بروعة فن المعمار في عصر أكبر، فقد كان طولها ميلين وعرضها ميل ومحاطة بأسوار من جهات ثلاثة، أما الجهة الرابعة فكانت عبارة عن بحيرة صناعية رائعة، وقد استمرت هذه العاصمة خمسة عشر عاما ثم تركها أكبر، فقلت روعتها إلى حد كبير.

وقد أنشأ أكبر معهدا حكوميا لتشجيع التصوير ألحق به مائة فنان يعملون تحت إشراف المصورين الإيرانيين، وقد أخرج هذا المعهد لوحات فنية عالمية. لقد كانت شخصية أكبر شخصية فنية إلى حد كبير، فإلى جانب الأدب والمعمار والتصوير اهتم أكبر بالموسيقى، واحتفظ لنفسه في قصره بفرقة موسيقية.. تعرف له كلما أحس بالحنين إلى الصفاء أروحي.

وقد توفي أكبر عن ثلاثة وستين عاما وذلك في عام ١٦٠٥ وموتته انتهى آخر عصر من عصور القوة الإسلامية في الشرق، وحكم بعده جهانكير، (محمد سليم تلقب بنور الدين محمد جهانكير بعد توليه العرش).

جهانكير (١٦٠٥ - ١٦٢٢)

جاء جهانكير إلى الحكم ليرث ملكا مستقرا، ولكنه رغم ذلك واجه بعض الصعوبات التي أثارها ابنه خسرو في البنجاب، وقد كان يعرف الخلاف بين أبيه وجده، مما جعله يطمع في الحكم، وفي الدكن قمت ثورة في "أحمد نكر" بقيادة عتير الحبشي، وقد أرسل جهانكير عدة حملات لاحتضار أحمد نكر وأخيرا أرسل جيشا بقيادة ابنه خرم وكان قائدا شجاعا، وأخيرا تنازل عتير الحبشي عن بعض البلاد وعقد الصلح في سنة ١٦١٦م.

أما خسرو فقد أعلن الثورة في البنجاب وأرسل له جهانكير جيشاً، أدى إلى فرار خسرو إلى أفغانستان، ثم قبض عليه ومات في سجنه، كما ثار ابن آخر لجهانكير وهو شاهجهان (خرم) وألهب الصراع بينهما تخريض زوجة جهانكير له ضد ابنه (نورجهان) وكانت ميطرة على الحكم في فترة من الفترات وموجهة لأمور البلاد).

بداية المنافسة الدولية

وفي عهد جهانكير كان الصراع واضحاً بين البرتغال وإنجلترا وهولندا وذلك من أجل السيطرة على الهند، فالبرتغال قد وطدت أقدامها وصار لها العديد من المستعمرات، وإنجلترا كنت ممثلة في شركة الهند البريطانية، وكذلك هولندا في شركة الهند الهولندية، وقامت تلك الشركات الاستعمارية بمحاولاتها للوصول إلى الحكام والتمتع بنفوذ خاص في التجارة، إلى جانب إقامة مراكز في داخل البلاد. نظر جهانكير كما نظر أسلافه إلى تلك الشركات على أنها شركات تجارية تريد أن تحقق ربحاً لا كمستعمرين، بل لم يدر في خلد جهانكير أو من سبقوه أن هؤلاء التجار سوف يسيطرون يوماً على بلادهم.

وقد استطاع السفير البريطاني أن يكسب ثقة جهانكير، واستطاع الحصول منه على فرار بعدم فرض ضرائب على التجارة الإنجليزية، كما قام الهولنديون بافتتاح مراكز تجارية في سورت وأحمد اباد وبعض مواقع على ساحل السدكن وأكرا وذلك بين عامي ١٦١٦، ١٦١٨.

أما البرتغاليون فقد استخدموا أسلوب العنف مما أدى إلى الحرب بينهم وبينه سنة ١٦١٣ واستطاع هزيمتهم فلجأوا إلى السياسة وحصلوا على امتيازات لهم.

وهكذا استطاعت الدول الاستعمارية ان تضع أقدامها على الأرض الهندية وألغى جهانكير الضرائب على تجارة الأجانب الأوروبيين، مما زاد من ثقلهم في البلاد، وقد توفى جهانكير سنة ١٦٢٧ وخلفه شاهجهان.

محمد شهاب الدين شاهجهان

سرعرض شاهجهان كما تعرض أسلافه للطامعين في العرش فخرج عليه عيان جهان في مالوا وشمال الدكن وذلك في أول عهده، بالحكم فحاربه شاهجهان واضطره إلى التسليم، ولكنه عفا عنه، فقام بالثورة مرة أخرى في الدكن واستطاع شاهجهان هزيمته.

أما عن علاقة شاهجهان بالبرتغاليين فقد كان لهم مراكز تجارية مختلفة منها المركز الموجود في هوكل بالبنكال قرب كلكتا، وقد قاموا بتحصين هذا المركز، بل تدخلوا في شئون الحكم، وكان مركزهم محصنا بالمدافع والأسلحة، الحديثة فأمر شاهجهان من الوالى مهاجمة مركزهم وحرمانهم من الامتيازات التجارية، فقام الوالى بمهاجمة مركزهم وأسر أربعمئة منهم وذلك في سنة ١٦٣٢م.

وقد كان عصر شاهجهان عصر رخاء ورفاهية، وترك آثارا فنية رائعة (القلعة الحمراء في دلهى والمسجد الجامع وتاج محل). وقد أصيب شاهجهان بمرض في نهاية حكمه أقعده عن مباشرة أمور دولته، وتصارع أبناؤه على العرش، واستطاع أرانكزيب الوصول إلى العرش، وقد سلب والده السلطة وان احاطه بمظاهر التكريم، وظل شاهجهان على ذلك ما يقرب من ثمان سنوات حتى توفى سنة ١٦٦٦م.

أرانكزيب - عالمكير

كان أرنكزيب شديد التمسك بالإسلام وكان حكمه سلسلة متتابعة من الحروب فاستطاع فتح كوج بهارى في الشرق واستطاع اخضاع اراكان على

حدود بورما، كما استطاع القضاء على قبائل الأفغان، وقد قام الستمامى وهم طائفة من فقراء الهندوس بثورة ضده بدأت بصراع بسيط بين البوليس وأحد هؤلاء الستماميين ثم تجمع رجال هذه الطائفة وهزموا رجال البوليس وقويت شوكتهم وزحفوا على دلهى واقتربوا منها، ولكن استطاع ايرانكريب القضاء عليهم.

وقد أعاد فرض الجزية على الهندوس، وكان أكبر قد ألغاه من قبل، وكان لغرضها من جديد أثر سىء على نفوس الهندوس، وكان السبب في فرضها اتجاهه لتنفيذ شريعة الدين الإسلامى، ولذلك نراه يلغى بعض الضرائب على الهندوس وغيرهم والتي لم تفرضها الشريعة الإسلامية.

وقد استطاع ايرانكريب القضاء على فتنة الراجپوت سنة ١٦٧٩ ثم جارب الراجپوت زهاء ربع قرن، وهم قوم ممتازون بلغتهم وحضارتهم الخاصة، ويقعون في شمال بومباى وجنوبها ويشتهرون بالقوة، وقد اشتد عليهم ايرانكريب واصابهم بالنكبات واستطاعوا هم النيل من بلاده وتأثرت خزينته تماما من جراء تلك الحروب، مما أدى إلى ضعف الدولة المغولية، كما أجهدت أيضا المراجپا وبدأ الضعف يدب بعد ذلك في أوصال الامبراطورية المغولية، وأخذ الضعف ينتقل من ضعف إلى ضعف أشد منه حتى تفككت أوصال الامبراطورية.

وفي ذلك الوقت كانت القوى الشمالية الإسلامية الأفغانية والفارسية تتطلع إلى السيطرة على تلك البلاد الواهنة، فكان أن وقعت غزوة نادر شاه الكبرى على الهند ثم غزوة أحمد شاه الأفغان. غزو نادر شاه للهند

ترجع أهمية نادر شاه إلى أنه استطاع أن يرجع حكم الدولة الفارسية إلى أبنائها بعد أن ظلت لفترة طويلة تحت حكم الأفغان وقد استطاع الرجف على العراق وأفغانستان وأن يضمهما لفارس.

كان على عرش الهند في ذلك الوقت محمد شاه - تولى الحكم سنة ١٧١٩ - وكان متعمسا في الملذات، ولم يكن جيشه بقادر على أن يخوض معارك حقيقية ، ووضح أن الدولة المغولية تقترب من نهايتها مما جعل نادر شاه يتجه ببصره الهند.

ر وقد اختلفت الرويات حول أسباب هجومه على الهند فالبعض يرى أن السبب في ذلك هو رد عدوان الهندوس على المسلمين والقضاء على فساد الملك. وقد قام محمد شاه سلطان الهند بقتل مبعوث أرسله إليه نادر شاه للتفاهم معه وعلى ذلك قرر نادر شاه غزو الهند.

هاجم نادر شاه قندهار وكابل ووصل إلى لاهور والبنجاب، وأصبح على مقربة من دلهي، وأرسل محمد شاه جيشا لمواجهة وتقابل الجيشان عند كرنال سنة ١٧٣٨ في البنجاب والغزم الجيش المولى ودخل نادر شاه دلهي منتصرا وغنم مغانم كثيرة أهمها عرش الطاروس وهو من الذهب الخالص، ثم أقام مذبحا مروعة لسكان دلهي وذلك بعد وقوع هجوم على بعض من جنده ، وقد قتل من أهل دلهي أكثر من مائة ألف.

لم يعلن نادر شاه نفسه ملكا على الهند بل ترك محمد شاه على عرشه، ولم يضع يده الا على ولايات شمال الهند، ثم عاد بعد ذلك إلى فارس، ولكنه ترك محمد شاه هو ومملكته في حالة يرثى لها، فقد فقد محمد شاه سلطته على قواده، وبدأ الصراع بينهم، وشغل ذلك محمد شاه إلى جانب المغيرين على مملكته والطامعين في الاستقلال.

غزوة أحمد شاه الأفغاني

تعرض محمد شاه لغزوة أفغانية على يد أحد شاه الابدالي الأفغان الذي هجم على الهند من الشمال واستولى على لاهور، فأرسل له محمد شاه جيشا

بقيادة ابنه أحمد، وانتصر الابن على قوات أحمد شاه فرجع جنود أحمد شياه إلى كابل.

عاد ابن محمد شاه إلى دلهي أثر سماعه نبأ مرض أبيه الذي توفي سنة ١٧٤٠ فتولى أحمد بن محمد شاه العرش، وقد انتهز أحمد شاه الابدالي فرصة عودة أحمد شاه إلى دلهي واستولى على لاهور مرة أخرى.

وقد تبرس أحمد شاه أثر توليه الملك إلى سلسلة من المؤامرات انتهت به إلى نهاية مؤامره وجلس مكانه على العرش عالمكير الثاني سنة ١٧٦٤.

ثم عاد أحمد شاه الابدالي أثر ذلك من أفغانستان إلى الهند فتقدم إلى دلهي واستطاع القضاء على المقاومة فيها بل وعلى مظاهر الحياة نفسها، بعد أن قام بتحريض نادر شاه من قبل، ثم حاصر أكرا، ولكنه عاد إلى أفغانستان سنة ١٧٥٧ بعد أن تفشى المرض بين جنوده، وقد طلب منه عالمكير مساعدته في صد مئة الثائرين عليه ووافق على ذلك وترك له جيشاً بقيادة نجيب الدولة مساعدته.

وفي ذلك الوقت استطاع الإنجليز السيطرة على البنغال كلها، في الوقت الذي كان الصراع على أشده في دلهي.

وقد أستعان أحد القواد وهو غازي الدين بالمراهتا لمحاربة الملك ونائب أحمد شاه واستطاع الاستيلاء على دلهي بمعاونة المراهتا، وقد سيطر المراهتا على معظم أجزاء الهند، ثم قام غازي الدين بقتل الملك سنة ١٧٥٩م.

تحرك أحمد شاه الابدالي على أثر ذلك بجيش ضخم إلى الهند وأقام في "دواب"، وقد استطاع الابدالي هزيمة المراهتا هزيمة منكرة وقتل منهم عدة آلاف. وقد قام زعيم المراهتا بتحريك جميع الهندوس ضد ذلك الغازي الإسلامي الجديد واستطاع جميع جيش ضخم تعداده ثلاثمائة ألف مقاتل إلى جانب مدفعية قوية، وذلك للقضاء على قوة أحمد شاه الابدالي الذي لم يزد عدد جنوده

على أربعين ألفاً، إلى جانب عدد قليل من المدافع والتقى الجيشان في موقعة بانيت وذلك في يناير سنة ١٧٦١، وقد تفهقرت القوات الأفغانية من تأثير مدفعية المراهتا، ثم هجم أحمد شاه الأفغان في قوة وسرعة أربكت قوات المراهتا ودب الدعر بين صفوفهم وسقط آلاف القتلى وتبع الابدالي الفارين وبدأ أن شوكة المراهتا قد كسرت تماماً.

لقد استمرت دلهي بلا ملك لفترة حتى أعلن الابدالي شاه عالم الثاني سلطاناً عليها وكان آنذاك في البنكال، فعين ابنه مكانه وعاد إلى أفغانستان وتوفي في سنة ١٧٧٣ م.

ولقد كان السلطان بعيداً عن دلهي وظهرت مرة أخرى قوة المراهتا وعادوا مرة أخرى واستولوا على دلهي ووضعوا شاه عالم على سلطنة دلهي فسلم شاه عالم إلى ملك المراهتا قيادة الجيش.

انجبه شاه عالم إلى محاربة الإنجليز في البنكال وذلك بمساعدة بعض الأمراء المسلمين ولكنه هزم في سنة ١٧٦٤ واضطر إلى أن يترك لهم البنكال.

لقد كان شاه عالم مهزوز الشخصية واستطاع أحد القواد القضاء تماماً على سيطرته، وتدخّل الإنجليز ليسيطروا سلطانهم بحجة حمايته وكانوا يدفعون له راتباً شهرياً مقابل إدارتهم شئون البلاد باسمه وذلك في سنة ١٨٠٤.

توفي شاه عالم في سنة ١٨٠٦ وتولى بعده ابنه أكبر الثاني وقد استمر في الحكم حتى سنة ١٨٣٧ وذلك تحت سيطرة الإنجليز وحمايتهم والذين وقعت الهند كلها تقريباً تحت سيطرتهم، وخلفه ابنه (سراج الدين أو ظفر بهادر شاه) وكان يتقاضى راتباً سنوياً من الإنجليز ولم يكن له أي نفوذ، وقد وجه الإنجليز إليه إنذاراً بأنه آخر ملك يسكن القلعة الحمراء في دلهي لأنها ستصبح ثكنة عسكرية وأن مرتباته ستنتهي بوفاة، وقد قامت الثورة في عهده ضد حكم الإنجليز وقد فشلت هذه الثورة وقبض على الملك ونفي إلى رانكون في بورما مع

زوجته وبعض من أولاده، ومات آخر ملوك الهند في نفيه ولتصبح الهند كلها مستعمرة إنجليزية. (٨)

الاستعمار البريطاني في الهند

كانت حضارة المغول مزيجاً من حضارة الإسلام وحضارة الهند، وكان حكام المغول رغم أنهم أتوا للهند من خارجها يحكمون لصالح الشعب وأصبحوا مع الأيام من أبناء الهند وتزاوج الأمراء المغول مع الأسر الهندية الكبيرة وبذلك ارتبط العرش بالشعب برابطة مقدسة، فكان الملوك يقدون أنفسهم من هذا الشعب الهندي، فكان حكاماً وطنياً إسلامياً يبنون على أساس التسامح الديني مع شعب غالبية من الهندوس.

ولكن رغم ذلك ظلت هناك قوى هندوسية قوية متعصبة تنطلق إلى الحكم وترغب في تقويض أركان الحكم الإسلامي، وظلت متمسكة بعقائدها القديمة ولغت أيضاً وأقوى هذه الدول فيجاياناجار.

لقد كان الصراع المغولي الهندوسي إلى جانب تفكك الدولة المغولية سبباً رئيسياً في التمهيد لتفوق قوى جديدة خارجية، استقرت على سواحل الهند لفترة كالبرتغال، أوتعمقت في داخل البلاد مثل بريطانيا.

وإلى جانب تفكك الدولة المغولية لم تكن القدرات العسكرية لقوى الهند الداخلية على مستوى تلك الدول المهاجمة، إلى جانب ضعف السياسة الخارجية عامة، كما أن المسلمين والهندوس لم يقوموا ببناء قوة بحرية، وذلك في عصر القوى البحرية، وقد اضطهدت إمارة كجرات في شمال غرب الهند بالبرتغاليين وكذلك كالكوت.

وكانت إمارة كجرات إمارة إسلامية قوية وكانت لها علاقات تجارية مع البلاد العربية وشرق أفريقيا، وجاء البرتغاليون وأنقضوا على السفن الإسلامية.

ينهبونها ويحرقونها ويأسرون رعاياها، واستجذبت الامارة بقتصوه الغورى سلطان دولة الماليك في مصر والشام، وكذلك بالسلطان سليم سلطان الدولة العثمانية. ونازل الغورى البرتغاليين بأسطول كبير وذلك في موقعة ديو سنة ١٥٠٩ ولكن ظل البرتغاليون محتفظين بمحصولهم على شواطئ الهند.

وقد ظل البرتغاليون في الهند ما يقرب من قرن، ثم بسدت الامبراطورية البرتغالية في الاخير تحت تأثير قوى بحرية جديدة أهمها هولندا وفرنسا وبريطانيا، واعتمدت هذه القوى على الشركات التجارية، وكانت أساطيلها قادرة على الوقوف أمام البرتغال.

كانت شركة الهند الشرقية من أشهر الشركات التجارية التي ظهرت في مطلع القرن السابع عشر، وقد قامت هذه الشركة بإنشاء وكالات على السواحل الهندية مقابل مبالغ يدفعونها للحكام، ولم يكن المقول على معرفة بخطورة هذه الشركة، ولم تكن الوكالة أو المركز الا قطعة من الأرض مسورة، وكان يقوم بحراستها حراس وطنيون ثم جعلوا الحراس من الإنجليز، وأخذوا في تسليحهم بحجة الحراسة، ومن هنا تكون الجيش الإنجليزي من الإنجليز ومن أبناء البلاد. وقد بدأت الشركة ضعيفة في أول الأمر، واعتمد الإنجليز على التودد إلى حكام الهند وتقديم الهدايا، وتقبل الحكام هؤلاء التجار الإنجليز بصدر رحب وذلك لكراهيتهم للبرتغاليين. وكانت الشركة تقوم بنقل بضائع الهند إلى أوروبا، ولكن بعد الانقلاب الصناعي أخذت الشركة في نقل انتاجها الصناعي الضخم إلى الهند، وأصبحت في حاجة إلى الأسواق في داخل الهند نفسها، وفي ذلك الوقت كانت الدولة المغولية على حافة النهاية، وزاد الأمر باعتماد الإنجليز على جماعة من التجار الهنود يعرفون باسم "البنيان" وهم جماعة حريصة على جمع المال، فعاونوا الإنجليز معاونة فعالة، مقابل مساعدة الإنجليز لهم في كسب ثروات هائلة، وكانت غالبية هذه الفئة من الهندوس، وكانوا على عداوة من المسلمين،

ولذلك كان من أغراضهم القضاء على نفوذ الحكومة المركزية ومقاومة أى حاكم قوى للمنطقة الساحلية، ولذلك قاموا بمعاداة سراج الدولة نائب السلطان في البنكال.

سراج الدولة

رأى سراج الدولة ان الإنجليز يتدخلون في شئون الحكم، فعمل على السيطرة على مراكز الإنجليز على الساحل وخاصة في فورت ولیم، فهاجم حصن الإنجليز في فورت ولیم في كلكتا واستطاع هزيمة الإنجليز ومنعواهم من قوى الهندوس، واستولى على الحصن في ٢٠ يونيو سنة ١٧٥٦ واعتقل عسكدا من الإنجليز، ولكن الإنجليز سرعان ما استعانوا ببحريتهم واستردوا الحصن وعقدوا معه الصلح.

وقد تفادى سراج الدين الدولة الحرب معهم بعد ذلك ما أمكنه، ولكن بريطانيا أسندت الأمور إلى كليف وكانت مهمته القضاء على سراج الدولة الذي كان يعتمد على بعض ضباط فرنسا في تدريب جيشه، وفرنسا في ذلك الوقت في جرب مع بريطانيا وخلفائها - (حرب السنوات السبع).

قام كليف بمفاوضة مير جعفر وهو من أقرب رجال سراج الدولة على أن يكون سيده أثناء الحرب، ولما اطمأن كليف إلى مير جعفر رفض المعاهدة، وهاجم سراج الدولة بجيش من ثلاثة الاف من الإنجليز والهندوس، أما جيش سراج الدولة فكان ستمين الفا، وفي معركة بلاس ٢٢ يونيو سنة ١٧٥٧ خسر مير جعفر، سراج الدولة طبقا للاتفاق، وأبىد جيش سراج الدولة، وأسر هو نفسه وأعدم، وتولى مير جعفر حكم البنغال ممثلا لحياتته ومنذ ذلك الوقت دخلت البنغال في حكم الإنجليز. وقد حاول مير قاسم خليفة جعفر على حكم البنغال استرداد نفوذه وطرد الإنجليز بمساعدة السلطان شاه عالم، لكن في معركة بوكسار سنة ١٧٦٤ هزمت القوات المملوكية، واضطر السلطان أن يشرك له

البنغال وأوربا وبيهار وغيرها، وبعد أن تم للإنجليز إخضاع معظم مناطق الهند اتجهوا إلى ولاية ميسور.

ولاية ميسور

كان حيدر علي جنديا في جيش ولاية ميسور، وتقع على الشاطئ الغربي في جنوب الهند، وأخذ يترقى في الجيش واستطاع الوصول إلى الحكم، وأحاطت بحيدر قوى معادية فكان نظام حيدر علي راغبا في التوسع على حساب ولاية ميسور، كما تطلع المراهتا إلى ذلك، كما خشي الإنجليز من قوة حيدر علي، وعلى أساس ذلك تحالف الإنجليز مع تلك القوى ثم هجموا من مدراس على ميسور ولكن حيدر علي استطاع أن يردهم على أعقابهم، ثم هجم في سنة ١٧٦٩ على مدراس مما اضطر الإنجليز إلى طلب الصلح وفق شروطه مع عقد معاهدة دفاعية معه، ولم ينقض على تلك المعاهدة عام واحد حتى هاجم المراهتا ميسور، ولكن الإنجليز لم يساعدوا حيدر مما أدى إلى هزيمته، فقام بتكوين جيش ضخم واستعان بالفرنسيين في ذلك مما أدى إلى هزيمته للمراهتا واسترداد أملاكه التي كان قد فقدتها، ثم اتجه لمحاربة الإنجليز ولكن بعد حرب الاستقلال الأمريكية نفضت فرنسا يدها من معاونة حيدر علي فكان عليه مواجهة الإنجليز وحده، مما اضطره إلى التراجع إلى الداخل تحت ضغط الإنجليز، وتوفي سنة ١٧٨٢ وخلفه ابنه فتح علي وهو المشهور بتيبو سلطان.

فتح علي "تيبو سلطان"

كان فتح علي قد عرف بشجاعته، وواصل الحرب التي بدأها أبوه، وهاجمه الإنجليز من الشمال على الساحل ولكنه هزمهم وأسر العديد منهم، فلجأ الإنجليز إلى محالفة نظام حيدر آباد والمراهتا ضده وذلك في سنة ١٧٦٠، على أساس أن تقسم ميسور بينهم عند الاستيلاء عليها، ثم هجموا على ميسور ولكن

تیبو استطاع ردهم وتعقبهم، ثم هاجموا مرة أخرى واضطروا إلى عقد الصلح "اتفاقية سرنغا باتام" سنة ١٧٩٢ التي فقد فيها الكثير من أملاكه.

تطلع تیبو إلى فرنسا التي أعلنت الحرب على بريطانيا في سنة ١٧٩٢ وفكر بونايرت في حملته على مصر، وكانت من آمال بونايرت الاتصال بتيبو والتعاون معه، وبعثت حكومة الإدارة رسالة إلى تیبو تشجعه على محاربة الإنجليز والتعاون مع فرنسا، ووقعت هذه الرسالة في يد الإنجليز وكان الجيش الفرنسي قد وصل إلى مصر، وكان على الإنجليز أن يقضوا بسرعة على تیبو، فهاجموا بجيش ضخم على ميسور وهاجموا تیبو في عاصمته سرنكا باتام ثم قام الإنجليز بالاتصال بأحد قواده وهو مير صادق وذلك ليفتح لهم أبواب القلعة، فخان مير صادق تیبو وفتح أبواب القلعة، ولكن تیبو استبسل في الدفاع واستشهد وسيفه في يده.

وبعد القضاء على تیبو توسع الإنجليز بسرعة داخل الهند وقضوا على مقاومة المراهتا الذين حالفوهم ضد تیبو وأصبحت الهند كلها في يد الإنجليز.

ثورة الهند الكبرى

لقد استأثرت شركة الهند الشرقية بكل الامتيازات وأصبح أهل الهند كلها في حالة شديدة من السوء، وكانت الفجعة أكبر بالنسبة للمسلمين، فقد ظل الحكم الإسلامي في الهند مدة ثمانية قرون ونصف، ووصل المسلمون إلى مناصب الدولة العليا، فكان منهم الحكام والقواد عدا قليل من الهندوس، كما كان منهم القضاة، أما الهندوس فكانوا في غالبيتهم متجهين للتجارة والزراعة مشاركين أيضا في وظائف الدولة، وحينما جاء الإنجليز أخذوا جانب الهندوس وأطلقوهم على المسلمين يكيلون لهم أصناف العذاب وذلك في أكثر من مكان، وكان الشيخ والمراهتا من القسوة، وكان على المسلمين، وحررت مذابح رهيبة كان ضحاياها آلاف من المسلمين. وكان ذلك يجري تحت أعين الإنجليز وبرضايتهم.

وعمل الإنجليز ما في وسعهم للوقوف أمام الدين الإسلامي فغلقوا التعليم الإسلامي وفي الكتاتيب والمساجد والمدارس وذلك عن طريق الاستيلاء على الأوقاف الخيرية الإسلامية وهي الممول لتلك الكتاتيب والمدارس. ثم عمدوا إلى تغيير القوانين الإسلامية كلية وعزل القضاة المسلمين وتعيين قضاة منهم يحكمون على أساس قوانينهم كما حدث في البنغال بعد سنة ١٨٦٤م. أما المهندوس ففتحو لهم أبواب التعليم وذلك على النظام الإنجليزي وبذلك أصبح المهندوس قادرين على الوصول إلى المناصب الحكومية إلى جانب الإنجليز، وفي نفس الوقت كانت أعداد المتعلمين المسلمين قليلة جداً، وإلى جانب ذلك كان الإنجليز كثيراً ما يستولون على أملاك المسلمين ويعطونها للمهندوس، كما كانوا يعزلون الموظفين للمسلمين ويعينون بدلاً منهم المهندوس.

موقف العلماء

كان لهذه الحركة أثر في ظهور عدد من رجال الدين المدافعين عن الإسلام والداعين إلى التمسك بتعاليمه والوقوف أمام المهندوس وإنقاذ الهند الإسلامية من الإنجليز، فهب الشاه عيد العزيز بالمناداة بالجهاد في سبيل إبقاء الحكم الإسلامي وأصدر فتواه بأن الهند الآن أصبحت دار حرب لا دار سلام وعلى المسلمين جميعاً أن يهتفوا للجهاد، وانتصرت دعوته في كل أرجاء الهند، وقد دفع هذا سيد أحمد عرفان بالقيام بدعوته وكان عالماً متفهماً في الدين وعارفاً، وكان يرغب في العودة إلى نقاء العقيدة والابتعاد عن البدع، كما أراد توحيد القوى الإسلامية ضد عدوان الإنجليز والمهندوس، وعاض معارك متتالية ضد السيخ، واستطاع الانتصار في كثير من هذه المعارك، ولكن رغم ذلك ظهر من شكك في دعوته وقد استشهد سيد أحمد في سبيل دعوته.

لقد كان هناك سخط عام في الهند على الاستعمار، ولكن الهند كانت في حالة شديدة من التفكك، ولكن فكرة الثورة كانت موجودة في الشمال حيث يكثر المسلمون وكانت هذه المناطق تنتظر الفرصة لكي تعلن الثورة.

الثورة

بدأت الثورة بين الجنود المسلمين في الجيش البريطاني في ميرت، فقد جلب الإنجليز شحم الخنازير والبقر لتشجيع البنادق وكان على الجنود قطع هذا الشحم، وحيث أن الإنجليز أمروا الجنود بقطعه باستأنهم وكانت أغلبية الجنود من الهندوس والأقلية من المسلمين والبقر محرم على الهندوس وكذلك الخنازير محرمة على المسلمين، ولذلك تضرع عدد من الجنود ضد هذه الأوامر، ولكن الإنجليز أنزلوا هؤلاء الجنود أشد العقاب وحكموا على خمسة منهم بالسجن عشر سنوات، وأدى ذلك إلى تضرع باقي الجنود، فانقضوا على ضباطهم وانطلقوا إلى دلهي معلنين الثورة بعد أن هزموا الجيش الإنجليزي هناك.

انتشرت الثورة في دلهي بدون قيادة منظمة ولذلك أصدر الثائرون مسن للمسلمين والهندوس إعلاناً مشتركاً باختيار الملك المغولي شاه قاندا لهذه الثورة وكان الملك شيخاً كبيراً غير قادر على قيادة ثورة عارمة، أما قيادة الجنود الثائرة فتولاها بعض أبناء الملك، وقام الثوار بقتل عدد كبير من الإنجليز وكانت الحماسة في كل شيء. ولم يكن الثوار على مستوى حرق للوقوف أمام القوات البريطانية المدربة إلى جانب اللوالبين لهم من الهندوس.

وفي أثناء الثورة ترك الملك قلعه مع أهله وأولاده والتجأ إلى مقبرة همايون بعيداً عن مواطن الخطر، وكان معظم المخططين به على صلة بالإنجليز، وأدى موقف الملك إلى ضعف جبهة الثوار، واستطاع الإنجليز السيطرة على البلاد بعد أن استمرت الثورة أربعة أشهر.

والحقيقة أن نجاح الإنجليز يرجع إلى أن الثورة لم تقم كلها في وقت واحد، مما أتاح للإنجليز فرصة التفرغ لمنطقة بعد أخرى، وإلى جانب ذلك انضم السيخ إلى الإنجليز مما أدى إلى فشل الثورة، وكادوا يسيطرون على البنجاب، ولاشك أن تفرق أهل الهند واختلافهم سهل مهمة الإنجليز إلى حد كبير.

قام الإنجليز بالقبض على الملك في مقره بمقرة همايون هو ومن معه وساقوهم مقيدين، وفي الطريق أطلق ضابط إنجليزي بندقيته على أبناء الملك وقتل ثلاثة منهم ثم قطعت رؤوسهم وقدموا الطعام للملك في سجنه في إناء ورقع الغطاء ليحد رؤوس أبنائه الثلاثة ثم علقت هذه الرؤوس على بوابة في نيودلهي.

أما الملك فقد حوكم في ٢٧ يناير سنة ١٨٥٨ ووجهت إليه تهم التعاون ضد الشركة ومشاركته في قتل ٤٩ من الإنجليز، ودافع الملك عن نفسه وكان من رأى الجميع إعدامه، ولكن استبدل ذلك بالنفي إلى رانكون عاصمة بورما ومعه زوجته وباقي أولاده، وفي أول فبراير سنة ١٨٥٨ صدر قرار بنقل حكم الهند من الشركة إلى الحكومة البريطانية وذلك في عهد الملكة فيكتوريا.

وانقضت القوات البريطانية وأعوانها من رجال السيخ على المسلمين بشكل وحشي فقتلوا مئات الآلاف وأحرقوا المدن والأسرى ووجدوا في الثورة فرصة للقضاء على المسلمين والإسلام.^(١)

قيام دولة باكستان

بدأ الهنود سواء كانوا مسلمين أم هندوس في الأخذ بالفكر الغربي، وبدأت حركة التحرير في الهند، وطلبوا بالحكم الذاتي وكانت بريطانيا قد أوجدت بعض المؤسسات التمثيلية الانتخابية وأهمها المجلس التشريعي، كما أنشأوا المؤتمر الهندي وذلك في سنة ١٨٨٥ وكان يتبادل رئاسته مسلم وهندوسي، وقد أخرج هذا المؤتمر زعماء الهند.

وكان الزعماء يرون أن الوقت قد حان لتخليص البلاد من الاستعمار البريطاني، وطالب أعضاء المؤتمر بتحرير البلاد وذلك بالتدريج، ولكن الخلافات بين الزعماء سواء كانوا مسلمين أو هندوس بدأت تظهر حول ما يمكن أن يحدث بعد حصول الهند على استقلالها، والنسب في هذه الخلافات هي سياسة الإنجليز، فقد قامت على أساس فرق تسد وذلك بين المسلمين والهندوس، فاحتضنوا الهندوس وعملوا على إثارة الاحقاد، وقد اضطهدوا المسلمين وأدت هذه المحاولة إلى أن يفتك الهندوس بالمسلمين ولم يكتف الإنجليز بذلك بل فرقوا بين المسلم والمسلم بتقسيمهم إلى فرق بين مواليين لهم ومعارضين.

تقسيم البنغال

بدأت الخلافات تشتد في سنة ١٩٠٥ عندما قام لورد كيرزون بتقسيم البنغال إلى منطقتين منطقة إسلامية يكثر فيها المسلمون ومنطقة هندوسية يكثر فيها الهندوس (البنغال الغربية) وقد سعد المسلمون بذلك التقسيم وغضب الهندوس واعتبروا ذلك تشجيعاً للمسلمين لاقتطاع بعض مناطق الهند لهم، وخاصة أن الإنجليز كانوا محتضنين للهندوس، وبذلك دب الخلاف الشديد بين المسلمين والهندوس، ووقف المؤتمر وقفة شديدة ضد هذا التقسيم على أساس أنه خطر سوف يعم الهند كلها، ثم قام الإنجليز بالاستجابة لمطالب المسلمين الخاصة بتحديد مقاعد خاصة بهم في الانتخابات المحلية حتى لا تنطفي الأعداد الهندوسية في حالة إجراء انتخابات عن طريق التصويت العام.

الرابطة الإسلامية

أمام موقف المؤتمر الهندي ظهرت حركة تضامن إسلامية تبنى في المؤتمر مظهراً من مظهر التسلط الهندوسي على المسلمين، وأن على المسلمين أن يعبروا عن آرائهم، ومن هنا نشأت الرابطة الإسلامية وذلك في سنة ١٩٠٦ لتواجه تحدى الاستعمار البريطاني والمؤتمر الهندي وكانت أهم أهداف هذه الرابطة:

- حماية حقوق المسلمين والتقدم بمطالبهم إلى الحكومة.
- تقريب وجهات النظر بينهم وبين المستعمر وإزالة الجفوة التي كانت قائمة من قبل حتى يستطيع المسلمون الحصول على حقوقهم.
- لا يعنى ذلك التحرش بالطوائف الأخرى بل يجب أن يظل الجميع المسودة وحسن التفاهم.

وبذلك أصبح للمسلمين هيئة تمثلهم وترعى مصالحهم ، ولكنها ظلت هيئة سياسية محدودة لا تستطيع الوقوف أمام المؤتمر الهندي حتى مال إليها محمد علي جناح عضو المؤتمر الهندي وذلك اعتباراً من سنة ١٩١٣.

حركة غاندى

خلال الحرب العالمية الأولى اتجهت الحركة الوطنية بزعامة غاندى إلى الضغط على بريطانيا لتلبي الهند استقلالها، وروح حركة غاندى في استعمال الأساليب السامية في تحدى بريطانيا وعدم التعاون معها، أى المقاومة السلبية أو عدم العنف ويشرح هذه الفكرة للناس، وكان المسلمون أسرع الناس في فهم حركته والانضمام إليه.

أدت حركة غاندى إلى الوحدة بين أبناء الهند وخاصة الهندوس والمسلمين، ورغم أن المسلمين كانوا مؤمنين بحركة غاندى وأسرعوا في الانضمام إليه، إلا أن بعض الزعماء المسلمين - مثل محمد علي جناح - لم يقتنعوا بفكرة المقاطعة وكان من رأيه أن المقاطعة السلبية تضر الشعب الهندي الفقير، وأن الحل هو إنشاء المصانع لتقف بقوة أمام الصناعة البريطانية، وبذلك تقاطع المصنوعات البريطانية وبضائعها بدون ضرر على الشعب، ولكن ذلك لم يضعف من حركة غاندى التي شملت الهند كلها ووقفت الهند كلها صفاً واحداً ضد الاستعمار بلا تفرقة دينية أو طائفية، تمت زعامة غاندى.

ولكن مرة أخرى قامت إنجلترا بسياسة فرق تسد وأخذت كل طائفة تتحرش بالأخرى، وقام كثير من زعماء المسلمين الذين كانوا يجمعون بين عضوية المؤتمر الهندي والرابطة الإسلامية بالابتعاد عن عضوية المؤتمر، على أساس عدم اهتمامه بمصالح المسلمين.

وقد استمرت الاضطرابات بين الهندوس والمسلمين وبلغت ذروتها في سنة ١٩٢٧ وغم عقد المؤتمرات لمحاولة الإصلاح بين الجانبين.

المؤتمر الإسلامي

تنبه المسلمون إلى أن ما يقوم به المؤتمر الهندي في غير صالح المسلمين، ولذلك عقد مؤتمر إسلامي عام في دلهي في سنة ١٩٢٨ لبحث وجهات النظر الإسلامية وقد قرر المؤتمر تبني عدة مبادئ هي:

- بالنظر إلى اتساع الهند وتعدد أجناسها، فإن شكل الحكم الوحيد الذي يلائم الأحوال الهندية هو النظام الفيدرالي، الذي يمنح الولايات التي يتألف منها الحكم الذاتي.
- أن حق المسلمين في انتخاب ممثلهم في مختلف المجالس التشريعية الهندية هو اليوم قانون البلاد ولا يمكن للمسلمين أن يجردوا من هذا الحق دون موافقتهم.
- في المناطق التي يشكل المسلمون فيها أقلية، يجب أن تكون لهم حصصهم العادلة في الوزارات المركزية والاقليمية.
- أن يطبق ذلك على الأقليات الهندوسية في الأقاليم التي تسكنها أغلبية إسلامية وعلى وجوب تعيين نسبة عادلة من المسلمين في المصالح الحكومية والتعهد بحماية الثقافة واللغات، والمؤسسات الخيرية الإسلامية وكذلك الدين وقانون الأحوال الشخصية للمسلمين.

رفض المؤتمر الهندي هذه المقترحات مما أثار خوف المسلمين وعششوا على أنفسهم وعلى حقوقهم إذا وصل الهندوس إلى الحكم.

مبادئ محمد علي جناح

اشتدت معارضة محمد علي جناح لغاندي وحزب المؤتمر وذلك لتعاون الحكم البريطاني مع المؤتمر فأعطى للهند دستورا طابعه العلم هندوكيا، مما يؤدي إلى القضاء على المسلمين بعد فترة، وقدم محمد علي جناح مبادئه الأربعة عشر على أساس قبولها فدخل مع الرابطة في حركة وطنية متحلة ضد الإنجليز أو رفضها فيطالب بانفصال المسلمين عن الهندوس في كل المجالات ومن هذه المبادئ:

- سن دستور أساسي للهند يحول لكل مقاطعة الصلاحية التامة في الحكم المباشر.
- مساواة جميع المقاطعات في الحقوق والامتيازات.
- أن يكون ربع المقاعد لمثلي المسلمين في المجلس النيابي الذي سيؤسس بمقتضى الدستور.
- أن يضمن الدستور الهندي الجديد الحرية التامة المطلقة لجميع الملل والمذاهب من إقامة الشعائر والتعليم وغير ذلك.
- فصل مقاطعة السند عن محاي فصلًا تامًا بغير قيد أو شرط.
- مراعاة حقوق المسلمين في سائر الامارات المستقلة بما يتفق والحرية الدينية التامة والعدالة الكاملة في سائر الحقوق والوظائف.
- ان يضمن الدستور الهندي الجديد الحرية التامة للمسلمين في إقامة شعائرهم الدينية وصيانة حقوقهم ومقدساتهم وأماكن معتقداتهم والحفاظة على ثقافتهم الدينية في التعليم والمادة وفي سائر المقاطعات والولايات

المستقلة، وإن تخصص كل ولاية منحة مالية تصرف سنويا على الشئون الإسلامية.

- أن لاتؤلف وزارة من الوزارات أو حكومة من الحكومات في المقاطعات الهندية ما لم يمثل فيها المسلمون بنسبة الثلث.

ولم يوافق المؤتمر على هذه للبادئ وقرروا السير بدون الرابطة الإسلامية، وكان في داخل المؤتمر عدد من زعماء المسلمين المؤمنين ببقاء الهند وحده واحدة.. وفكره التقسيم ترجع إلى الشاعر محمد اقبال فهو أول من نادى بدوله خاصة بالمسلمين وجميع القلوب حوله بشعره الإسلامي.

وفي سنة ١٩٣١ قام الإنجليز بفتح باب المفاوضات مع الرابطة الإسلامية إيماناً بسياسة فرق تسد، وبدأ الإنجليز في التفكير جدداً في إعطاء الهند استقلالها نظراً لظروف الهند وتكاليف السيطرة والأمن، فأعطوها دستوراً سنة ١٩٣٥، واستطاع محمد علي جناح تقوية الرابطة بالقاعدة الشعبية وأدت سياسته إلى نجاح الرابطة في انتخابات ١٩٣٨ و ١٩٤٢.

الرابطة الإسلامية والتقسيم

أعلن المؤتمر الهندي عدم اشتراكه في الحرب العالمية الثانية إلى جانب بريطانيا إلا إذا أعطت وعداً باستقلال الهند على أساس وحدتها فقامت الرابطة بعقد اجتماع عام في لاهور سنة ١٩٤٠ واتخذت في هذا الاجتماع قراراً بإنشاء الدولة الإسلامية في الهند وإقلمة باكستان، وذكرت في هذا القرار "أنها لن تقبل أى تعديل في الدستور أو ترضى أى حل إلا إذا قام على أساس إيجاد حكومة ديمقراطية اتحادية إسلامية، تجمع بين الولايات التي للمسلمين فيها، أكثرية معتبرة". وفي ٤ أغسطس سنة ١٩٤٦ اختار نائب الملك الزعيم نورو ليكون نائباً لرئيس الوزراء، فقام محمد علي جناح رداً على ذلك بدعوة المسلمين لرفع الأعلام السوداء على المنازل والمتاجر، وبدأت الصراعات الطائفية مرة أخرى،

وبذل المؤتمر محاولاته في فرض الوحدة على المسلمين وذلك بالمذابح وقوة البطش، ففي أغسطس سنة ١٩٤٦ وقع في كلكتا صدام عنيف بين المسلمين والهندوس، مما أدى إلى مصرع أربعة آلاف من الطائفتين، أما في بيهار فقد لقي ثمانية آلاف مسلم حتفهم، وإزاء عنف الحوادث قبل حزب المؤتمر فكرة التقسيم وأعلن الموافقة على ذلك في ٣ يونيو سنة ١٩٤٧.

وقد وافق الزعماء المسلمون والهندوس على أن يعلن استقلال الهند في ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ وأن يسلم الحكم للدولتين وبذلك قُطعت دولة باكستان وكان أول حاكم لها محمد علي جناح.^(١٠)

كشمير بؤرة للتوتر الدولي المعاصر:

لقد تم تقسيم الهند سنة ١٩٤٧ إلى دولتين الهند وباكستان على أساس مبدأ قبلته كل من الحكومة البريطانية والهندوس والمسلمين، ويقضى هذا المبدأ بأن تنضم الأراضي ذات الأغلبية الهندوكية إلى الهند، والأراضي ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان.

وهكذا وبعد التقسيم في ١٥ أغسطس ١٩٤٧ نشأت دولتا الهند وباكستان. وكان هناك بعض الولايات المرتبطة بالتاج البريطاني ارتباطا مباشرا. وعندما صدر مرسوم الاستقلال فانه نص على أن هذه الولايات حرة في أن تظل مستقلة أو تنضم إلى الهند أو إلى باكستان. ونصح اللورد مونتباتن Mountbaten نائب الملك - قبل التقسيم - حكام تلك الولايات أن يتدبروا أمرهم، وينضموا إلى أي من الدولتين، قبل أن يحل موعد انتقال السلطة، مراعين في تصرفهم رغبات شعوبهم.^(١١)

ويوم الاستقلال كان جميع الأمراء قد اتخذوا قرارهم بالانضمام إلى إحدى دولتي الهند ماعدا أربع ولايات وهي كيورثلة، وجونكدا، وحيدر آباد وكشمير. وقد ضمت الهند الثلاث ولايات الأولى إليها بالقوة، وبقيت كشمير هي المشكلة، نظرا لأن أغلبية سكانها مسلمون، وتوقع زعماء باكستان أن كشمير ستتنضم إلى دولتهم، رغم أن حاكمها كان هندوسيا، وخاصة بعد أن نادى زعماء الهند بوجوب الرجوع إلى إرادة الشعوب في الولايات دون حكامها.^(١٢) وعلى أية حال تردد المهراجا هاري سنغ في إعلان انضمامه إلى إحدى دولتي الهند، وإن كان يحيل في داخله للانضمام إلى الهند وليس لباكستان.

وظل حاكم كشمير مترددا حتى أكتوبر ١٩٤٧، حين اندفع الآلاف من المقاتلين من الباتان المسلمين إلى كشمير، فما كان من المهرابا إلا أن انتقل إلى جامو وسط الأغلبية الهندوسية. وتمكن الثوار من إنشاء حكومة في جزء من كشمير أطلقوا عليه آزاد كشمير أو كشمير الحرة. ^(١٤)

وهنا استنجد المهرابا بالهند، التي رفضت أن تقدم له أى مساعدة إلا بعد أن يعلن انضمامه إليها. ^(١٥)

وفي محاولة لتقييم ولاية كشمير - جامو - لاداخ، نوضح أن هذه الولاية تقع في أقصى الطرف الشمالى الغربى لشبه القارة الهندية، ويحصر هذا الاقليم بين أربع دول هي الهند وباكستان والصين وأفغانستان. وقد استطاعت كشمير وهي تحت السيطرة البريطانية أن تسيطر سلطاتها على ولايتي جامو ولاداخ. وتبلغ مساحة كشمير والمناطق الملحقة بها ٨٤,٤٧١ ميلا مربعا.

وفي عام ١٩٤٧ كان عدد سكان كشمير ٤,٢١,٦١٦ نسمة، ولكن في عام ١٩٦١ تناقص عددهم إلى نحو ٣,٦ مليون نسمة لاندلاع الحروب عدة مرات في الاقليم، وهجرة الكثير من السكان إلى داخل دولة باكستان. وتقدر نسبة عدد المسلمين في أقاليم كشمير بنحو ٩٣% في كشمير، ٦١ في جامو، ٨٧% في أقاليم الحدود.

وترجع أهمية كشمير إلى إمكانية إنشاء قواعد عسكرية بها نظرا لاتساع رفعتها وموقعها الاستراتيجى، وتنوع مواردها، وكذلك لسيطرتها على موارد المياه الرئيسية التي تعيش عليها دولة باكستان. ^(١٦)

وعلى أية حال فقد أعلن المهرابا انضمامه للهند سنة ١٩٤٧، وهكذا وصلت القوات الهندية المدعمة بالطائرات والدبابات والأسلحة الثقيلة لقمع الثوار المسلمين في كشمير ^(١٧). وتعتبر هذه المواجهة هي الحرب الأولى بين الهند

وباكستان على كشمير. واستمرت هذه الحرب حتى أول يناير ١٩٤٩ عندما توقفت تنفيذاً لقرار مجلس الأمن، وذلك تمهيداً لإجراء استفتاء لتقرير مصير كشمير... إلا أن هذا الاستفتاء لم يتم حتى الآن... وما زالت باكستان تطالب بتطبيق القرار، وإجراء الاستفتاء، ولكن الهند ترفض هذه الفكرة تماماً. ^(١٨)

وعلى أية حال، كانت نتيجة هذه المواجهة العسكرية الأولى بين الهند وباكستان للصراع على كشمير هي تقسيم كشمير إلى منطقتين، تسيطر الهند في منطقتها على ثلثي الولاية، بينما تسيطر باكستان على الثلث الباقي. ^(١٩)

وعلى الرغم من جهود مجلس الأمن مع دولتي الهند، فقد أخفقت الجهود في إجراء الاستفتاء في كشمير، والذي كانت تعارضه الهند تماماً، لأنها كانت تعلم بالنتيجة مقدماً، وهي رغبة شعب كشمير في الانضمام إلى باكستان. ^(٢٠)

وكانت النتيجة المحتملة لفشل المراسي الدولية في حل مشكلة كشمير هي زيادة التوتر بين الهند وباكستان. وزاد من هذا التوتر القرار الذي أصدره وزير الداخلية الهندي في أول يناير ١٩٦٥ بأن كشمير جزء لا يتجزأ من الهند. كما صرح وزير الدفاع الهندي بأن القوات الهندية تعتبر خط وقف إطلاق النار هو الحد الرسمي بين الهند وباكستان في كشمير. وازداد توتر العلاقات عندما أعلن رئيس وزراء الهند بأن كشمير جزء من الهند، وبالتالي فإنه لا داعي لإجراء استفتاء على مصيرها، مما قطع الأمل لدى أهالي كشمير في تحقيق الاستقلال أو الانضمام إلى باكستان. ^(٢١)

وهكذا اندلعت الحرب الثانية في ٥ أغسطس ١٩٦٥ بين الهند وباكستان في سبتمبر ١٩٦٥، واستمرت لمدة سبعة عشر يوماً. وقد عقد مجلس الأمن جلسة طارئة في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٥، وأصدر القرار رقم ٢١١ بوقف إطلاق النار، وسحب القوات إلى المواقع التي كانت فيها قبل ٥ أغسطس ١٩٦٥. وفي يناير

١٩٦٦ وقع الرئيس الباكستان ورئيس وزراء الهند على اتفاقية سلام طشقند، التي أنهت هذه الحرب الثانية، والتي لم تتمخض عنها نتائج واضحة.

وفي الحرب الثالثة سنة ١٩٧١ اقتنحت القوات الهندية شرق باكستان، وشطرت المنطقة عن الوطن الاب باكستان، لتظهر دولة بنجلاديش الاسلامية إلى حيز الوجود. وكانت كشمير بؤرة الصراع التي أدت إلى هذه الحرب، وهي التي أدت إلى تقسيم دولة باكستان نفسها إلى قسمين أو دولتين. وقد تم عقد اتفاق ثنائي وقعه رئيسا الدولتين الهند وباكستان لانتهاء العمليات العسكرية.

والواقع فان الجانب الأكثر خطورة للخلاف بين الهند وباكستان يتمثل في تشكوك بين الشعبين والحكومتين، والتي توجد إحساسا مزمنا بالعداء بين الدولتين. ولذلك فان أى تطورات عسكرية أو تسليحية تطرأ لدى أى طرف منهما تثير بالضرورة الشك والقلق لدى الطرف الآخر، الذي يعتبرها موجهة ضده بطريقة أساسية. ولذلك اهتمت الدولتان بتطوير قدراتهما العسكرية والنووية، حيث دخل الجانبان على مدى العقدين الأخيرين في سباق تسلح شمل كافة المجالات التقليدية والنووية، واتجهت الدولتان في هذا الاطار نحو امتلاك القدرات النووية. وقد زاد الاهتمام الهندي بالتسلح النووي عقب فوز حزب بهارتيا جناتا الهندوسي المتطرف في انتخابات عام ١٩٩٨، والذي كان قد تعهد في برنامجه الانتخابي بتحويل الهند إلى قوة نووية بمجرد وصوله إلى السلطة. وفور تشكيل الحكومة، بدأ مسئولو حزب بهارتيا جناتا في التحضير سرا للتجارب النووية. وقام العلماء بإجراء ثلاث تجارب نووية في ١١ مايو ١٩٩٨، ثم اتبعوها بتجربتين في ١٣ مايو، مما دفع باكستان بدورها إلى إجراء ست تجارب نووية يومي ٢٨، ٣٠ مايو ١٩٩٨، ردا على التجارب النووية الهندية، وهو ما أدى إلى دفع الصراع الهندي الباكستان إلى آفاق بالغة الخطورة، لأن هذا الصراع لم يعد

قاصرا على مواجهات عسكرية تقليدية، ولكنه دخل إلى مرحلة السباق النووي، مما يمكنه من أن يتحول إلى مواجهة عسكرية نووية مدمرة للجانبين، ومؤثرة على السلم والأمن الدوليين.

وعقب ذلك شهدت العلاقات الهندية الباكستانية تدهورا متزايدا، وصل إلى ذروته مع وقوع اشتباكات حدودية مسلحة في عام ١٩٩٩، وكانت هذه الاشتباكات هي الأكثر خطورة منذ حرب ١٩٧١ - ١٩٧٢، وهو ما دفع بعض الكتاب إلى وصفها بأنها الحرب الرابعة بين الدولتين.

وقد بدأت هذه المواجهة العسكرية في إقليم كشمير في ٩ مايو ١٩٩٩ مع قيام حوالي ستمائة مقاتل كشميري بالتسلل إلى الشطر الذي تسيطر عليه القوات الهندية في كشمير. وتزعم المصادر الهندية أن هؤلاء المقاتلين تسللوا تحت غطاء من المدفعية الباكستانية. وقد نجح هؤلاء المقاتلون في الاستيلاء على منطقة واسعة تقع على بعد ٢٢٠ كم من سريجار العاصمة الصيفية لكشمير، وتمكنوا من السيطرة على مواقع في كارجيل ورام وباتاليك في الجانب الهندي من كشمير. واعتبر الجانب الهندي أن الحكومة الباكستانية وحركة طالبان - التي كانت تحكم أفغانستان في ذلك الوقت - تقفان وراء هذا التصعيد، وأن قوات كشمير الإسلامية تضم في صفوفها عناصر من الجيش النظامي الباكستاني، ومقاتلين تابعين لحركة طالبان. ولذلك قامت الحكومة الهندية على الفور بدفع حوالي خمسين ألف جندي إلى كشمير، وفتح الجيش الهندي أربع جبهات في منطقة كارجيل قرب الخط الفاصل بين الهند وباكستان. كما قامت القوات الهندية بمحطات ضد القوات الباكستانية على طول حدود كشمير.

وقد مارست الإدارة الأمريكية برئاسة بيل كلينتون - في ذلك الوقت - ضغوطا قوية على الجانب الباكستاني من أجل وقف الصراع، خوفا من حدوث

تصعيد عسكري عنيف في جنوب آسيا، مما اضطر رئيس الحكومة الباكستانية السابق نواز شريف إلى إصدار أوامره بانسحاب القوات التي كانت قد تسللت إلى الجانب الهندي من كشمير. وقد لقي هذا القرار معارضة شديدة في باكستان، حيث أن الرأي العام ووسائل الاعلام والسياسيين والعسكريين رفقوا أن نواز شريف قد فرط في الانتصار الذي حققته جماعات المقاومة الكشميرية، بل اعتبر الرأي العام أن هذه الجماعات هي جماعات وطنية تعبر عن كفاح شعب كشمير لتقرير مصيره.

ولذلك انتقد كبار قادة القوات المسلحة الباكستانية وفي مقدمتهم برويز مشرف - الرئيس الحالي لباكستان - قرار الانسحاب علناً، مما تسبب في تفجر الخلافات. وحاول شريف عزل مشرف، ولكن الجيش الباكستاني بأكمله رفض هذا القرار، وأطاح بالحكومة في انقلاب قاده برويز مشرف الذي تولى مقاليد الأمور منذ ذلك الوقت.

وفي يوليو ٢٠٠١، انعقدت قمة هندية باكستانية (قمة أجرا) بين كل من الرئيس الباكستاني برويز مشرف ورئيس الوزراء الهندي آتال بيهاري فاجيبي، ولكنها فشلت في تحقيق أى نجاح بسبب انعدام الثقة المزمع بين البلدين. وعلى الرغم من أن الهدف من هذه القمة كان يتمثل في فتح حوار مباشر غير مشروط بين الجانبين بشأن كل القضايا المعلقة، بما فيها كشمير، بعد أن كانت الهند ترفض مشاركة باكستان في أى محادثات حول مستقبل كشمير، إلا أنها فشلت في الوصول إلى أى نتيجة بسبب رفض الجانب الهندي التباحث بشأن قضية كشمير، في حين أن باكستان تعتبر هذه القضية بمثابة المفتاح الرئيسى لتطبيع العلاقات بين الجانبين. (٢٢)

والواقع فإن مشكلة كشمير بين الهند وباكستان تعتبر إحدى بؤر التوتر الخطيرة في جنوب آسيا، وخاصة لمرات العداء الطويل بين الدولتين، كما أن امتلاك كل من الهند وباكستان مؤخرا للقدرات النووية يزيد من خطورة الموقف، ويزيد من خطورة المواجهات بين الدولتين، مما قد يؤثر على الأمن والسلام الدوليين.

وتأمل أن تقوم الأمم المتحدة، وكنته دول عدم الانحياز، ومنظمة دول المؤتمر الاسلامي ببذل جهود دولية جماعية ومؤثرة لتحقيق المصالحة بين الطرفين المتنازعين، وطبقا للقرارات الدولية ذات الصلة.

الفصل الثالث

تطور تاريخ الصين الحديث والمعاصر

تهديد:

هاجر الصينيون حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م من أواسط آسيا إلى الشرق، وأخذوا يقلحون الأرض في أنهار الموانجيهو واليانجسسى، ويزرعون الحبوب ويستأنسون الحيوان. ثم قامت في الصين عدة دول حاربت كل منها الأخرى، وعرفت هذه المرحلة في تاريخ الصين القديم باسم عصر الدول المتحاربة (٧٢٢ - ٤٨٠ ق.م) وأثناء تلك الفترة ظهر فلاسفة الصين العظام مثل كونفوشيوس. ولم يكن كونفوشيوس في كتاباته داعيا للدين، وإنما رأى أن الكون له عنان واحد، ولكنه أيضا لم يهاجم الوثنيات القديمة، ولعتم إلى جانب ذلك بالجانب الخلقى والاجتماعى من الحياة. وحاله ما شاهده من صراعات بين الولايات الاقطاعية، وأبدى رغبته في الإصلاح.

وفي كلمة موجزة نستطيع أن نوجز أسلوب الحياة في الصين في الألفى سنة الماضية في كلمة واحدة "كونفوشيوس" إذ لن نعثر على أية شخصية أثرت في تاريخ الصين مثل هذه الشخصية. (٢٣)

وقد تعرضت الصين لمخاطر من الهجمات للغولية، واقرن قيام امبراطورية المغول باهتمام الاوربيين باعتناقهم المسيحية، وأرسل البابا رسالة إلى جنكيز خان في عام ١٢٤٦ للصدقة وتضافر الجهود ضد المسلمين، وتلت ذلك بعثات أخرى بابوية، ولكن هذه البعثات فشلت في تحويل المغول إلى المسيحية.

هذا بالإضافة إلى أن أسرة يوان المغولية حكمت الصين بين عامي ١٢٧١ و ١٣٦٨ م.

البرتغاليون والصين

كانت الصين تعيش - مع مطلع العصور الحديثة في أوروبا - حياة منعزلة من العالم الخارجى، هذا في الوقت الذى طرأت فيه على أوروبا تغيرات كبرى نقلتها إلى العصر الحديث. وهكذا أدت حركة الكشف الجغرافية إلى خروج الاستعمار من دلتته التقليدية حول البحر المتوسط، وانتقل إلى عالم المحيطات والبحار الأخرى^(٢٤).

وكان أول برتغالى زار ساحل الصين هو رافائيل بيرستريلو Rafael Perestrello سنة ١٥١٦ . وفي السنة التالية زار جورجى ماسكارياس Georgea Maskeres سواحل الصين، وعقد صفقة تجارية مع التجار الصينيين. وقد أقتعت المعلومات التى جمعها الاثنان السلطات البرتغالية بقيادة فستح باب التجارة مع الصين. وتم بالفعل تجهيز بعثة تجارية سياسية على شكل أسطول بقيادة البرتغالى فراند وانترادى ومعه توماس بيريز الرسول الذى كان يحمل رسالة من ملك البرتغال إلى امبراطور الصين. وعند وصول هذا الأسطول أبلغت سلطات بكين بوصول البعثة، وصدر الأمر بالأذن بمشول المبعوث البرتغالى إلى بكين ولكن كانت قد وصلت معلومات إلى الأسرة الحاكمة في الصين (أسرة منج) أن البرتغاليين يضمرون العدوان للآسيويين، وهكذا رفضت الحكومة الصينية استقبال المبعوث البرتغالى بيريز واعتقلته في كانتون إلى أن مات سجيناً.^(٢٥)

كان الامبراطور الذى يلى الحكم في بكين في العقد الأول من القرن السادس عشر هو كانج تى من أسرة منج. وقد أسس هذه الأسرة المالكة راهب بوذى قوى الوطنية هو تشويوانج تشانج، الذى نظم المقاومة الوطنية ضد المغول الاجانب، وفي عهده مدت الامبراطورية سلطانها إلى كوريا وبورما وغيرها،

(٢٤) فطر الفصل الأول من الكتاب

وكان أباطرة اليابان يتقبلون السيادة الصينية بالرضا التام في بداية حكم أسرة منج.

ولم يكن خلفاء مؤسس حكم أسرة منج رجالا ذوي اقتدار ولكن يجنب أن نوضح أن الذى حدث عند بداية القرن السادس عشر بل ولمدة تتغلغل في القرن السابع عشر، أن الامبراطورية كانت تتمتع في عهد أسرة منج بسلام وبحبوة عيش دائمين يكاد لا يكدر صفوها شيء. وظل النظام الإدارى يقوم بعمله سويا وفق النسق الذى رتبته أسرة المانكة.

ومن الضروري أن نؤكد هنا أنه لم يكن يخامر الصينيين في ذلك الوقت أى كراهية للأجانب، ذلك أن أسرة منج وإن كانت ذات نزعة قومية، وتمثل نخضة الثقافة الصينية، كانت مستعدة للترحيب بكل علاقة تعقد أو اصهرها مع الأجانب، كما أنها خضوعا لمراسم البلاط تعودت على استقبال السفراء من الدول الأجنبية، ولكن لما وصلت أنباء القرصنة البرتغالية في أعالي البحار الهندية إلى مسامع حكام الصين، رفض هؤلاء أن تكون لهم أية معاملات مع شعب لا يعترف بأية حقوق دولية، ويقترب القرصنة علنا وعلى أوسع نطاق في أعالي البحار.

وبذلت البرتغال بعد ذلك الزمن عدة محاولات لفتح العلاقات الدبلوماسية مع بكين، ولكن الرفض المهيمن كان نصيبها على الدوام حتى القرن التاسع عشر.

المولنديون

عندما اضمحلت قوة البرتغاليين بالمحيط الهادى حوالى الربع الأول من القرن السابع عشر، تمكن المولنديون من إبعادهم رويدا رويدا من الأرخبيل الاندونيسى. (٢٥)

وجاء ريان هولندى في عام ١٦٦٢ وبصحبه أسطول من خمس عشرة سفينة، ووقف قبالة مكاو، ومع أنه لم يستطع طرد البرتغاليين من شبه الجزيرة،

فإنه استطاع أن يحتل فورموزا، التي لم يكن الصينيون قد احتلوها فعلا في ذلك الوقت. واستقر الهولنديون في تايوان، وأقاموا حصنا هناك. إلا أن الوجود الهولندي في فورموزا لم يكن وجودا استعماريًا، بل استخدموها كمركز للتجارة، كما استخدموها كميناء وسيط في علاقاتهم التي كانت متطورة مع اليابان. بيد أن مركزهم مالمثل أن أحدى به خطر عظيم، جاءهم من رجل صيني من أتباع أسرة منج - التي كانت قد خلعت عن الحكم - وهو تشنج كنج المعروف في التاريخ الصيني باسم كوكسنجا. فعندما احتلت أسرة المانشو شمال الصين، وأخذت تقضى ببطء على أنصار أسرة منج بأرض الصين الأصلية، صمم كوكسنجا أن يؤسس قاعدة له بفورموزا، فهاجم الجزيرة بقوة من ٢٥,٠٠٠ رجل، واضطر الهولنديين إلى التسليم بعد حصار طويل لحصنهم، واستولى على الجزيرة باسم امبراطور المنج، وظل كوكسنجا يتولى شئون الحكم بالجزيرة، ولم يلبث أن تولى الحكم ابنه بها حتى مماته، فلم تستطع أسرة المانشو ضمها إلى أملاكها إلا بعد وفاة ابن كوكسنجا.

وبقي أن نشير إلى أن غزو المانشو للصين، ذلك الغزو الذي أتاح لكوكسنجا ضم فورموزا، إنما هو حدث عظيم في تاريخ آسيا، وذلك نظرا لأن الأسرة الصينية المالكة التي ظلت متربعة على دست الحكم بالصين حتى سنة ١٩١١، وكانت بذلك في مركز الأحداث إبان القرنين والنصف التي دارت فيها رحي العلاقات بين أوربا وآسيا.

وكان شعب المانشو أمة تقوم على التخوم قبلت السيادة الصينية فيما مضى في فترات مختلفة، ولكن الصينيين لم يفتحوا بلادهم قبل ذلك البتة، وكانت تنظمهم عشائر، ولكنهم لم يكونوا يعيشون في وحدة قومية، حتى ظهر بينهم زعيم اسمه نورها تشي (ولد في ١٥٥٩) وكانت نفسه تضطرم بالرغبة في التآمر لقتل أبيه وجده، على أيدي الصينيين، فبدأ يجمع قبائل المانشو في اتحاد عام،

وحاولت السلطات الصينية تهدئة ثائرته بتعيينه حاكما على منطقته، ولكن ذلك لم يزد نورها تشي إلا هبة ومكانة، لم يلبث حتى استخدمهما في تقوية سلطانه السياسى بين القبائل وفي إنشاء جيش قوى. وفي عام ١٥٨٦ أصبحت مختلف قبائل المانشو تخضع لسلطانه، واعترف به الجميع حاكما لإقليم منشوريا، ولم يلبث حتى بسط سلطانه رويدا رويدا على منغوليا التي لم يعد للصينيين في ظل آخر الملوك من أسرة منج وحكمهم الواهن الضعيف أى سلطان فعال عليها. وعندما جانت مئة نورها تشي في ١٦٢٦ كان سلطان المانشو قد امتد إلى الامبراطورية الصينية ذاتها.

وكان تين تسنج هو خليفة نورها تشي، وهو الذى بسط سيادة المانشو على كوريا وعلى مغول تشاهار ودفع بالحرب إلى أرض الصين ذاتها، وتحدث بالصين في عهد خلفه العصيان العظيم الذى قام به لي تزوتشنج، والذى حمل آخر اباطرة أسرة منج على الانتحار. وكانت تلك هى الغرضة التي كان المانشو يترقبونها بفارغ الصبر، فأتعدوا مع أعوان أسرة منج في الشمال وتدخلوا ضد الثائر، حتى إذا هزم لي تزوتشنج طالب جاهل المانشو لنفسه بالامبراطورية وأدخل الصين بأجمعها تحت سلطانه في عام ١٦٤٥.

وكان استبدال أسرة قوية جديدة بأسرة منج الضعيفة العاجزة مدعاة لتقوية الصين في وقت كانت له أهميته وخطورته، وذلك أن قبائل التخموم الشمالية أمثال المغول، قد أعلنت في آخريات أيام أسرة منج خروجها على سيادة الصين، وفضلا عن ذلك خرجت عن الطاعة قبائل القلخان والايوت وغيرها من القبائل شبه المستقلة، وذلك على حين أن الإقليم المائل الذى عرف فيما بعد باسم سنكيانج كان مستقلا مستقلا مطلقا. وقد أخذ الروس يتحركون ليملاؤوا الفراغ القائم بسيبيريا. فالذى حدث معه هو أنه عندما بدأت أسرة تشنج - وهو الاسم الذى عرفت به أسرة المانشو - حكمها في بكين، كانت رقعة بلاد

الصين فاصرة على المناطق الواقعة جنوب السور الأعظم، ولم تكن تضم سكيانج ولا التبت. ثم تعاقب على الامبراطورية عدد من الحكام المقتدرين نخص بالذكر منهم اثنين كانا من أعظم العواهل الذين شهدهم التاريخ الصيني بأكمله، وهما كانج هسى وتشين لنج، فقاموا جميعا بالحكام الترابط مرة ثانية بين مختلف أجزاء الامبراطورية، وأوقفوا التوسع الروسى عند حده على أمر عامور، ثم أعادوا فتح إقليم سكيانج ووضعوه تحت سيطرتهم الفعالة، وتدخلوا بالقوة في بلاد التبت ووضعوا أسس مدعيات الصين فيها أيضا. وكان القرنان التاليان مسرحا لبسط سلطان الصين على أوسع رقعة بلغتها : من التخوم الشمالية لكوريا شمالا إلى كمبوديا ومن المحيط الهادى إلى جبال الهملايا وجبال قرقورم.

وقد بذل الهولنديون محاولات عديدة للدخول في علاقات دبلوماسية مع الامبراطورية الجديدة، وكان الهولنديون قد قدموا لاسرة المانشو شيئا من المساعدة أثناء قتالها مع كوكسنتجا فأروا أنه بناء على تلك المساعدة أن في استطاعتهم أن يقترحوا السماح لهم بإرسال السفراء إلى بكين، ولكن بمجهوداتهم في هذا السبيل ذهبت أدراج الرياح.

الإنجليز

في عام ١٦٨٥ حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية على حق انشاء مصنع بمدينة كانتون، ثم فتحت الشركة كذلك مركزا تجاريا في نانجيو. ومع عام ١٧٠٠ زادت هذه التجارة أهمية وصارت سفن الشركة تتردد بانتظام على كانتون.

وبعد أن تزايدت قوة شركة الهند الشرقية ونمت مواردها بدرجة هائلة ببلاد الهند، صار للإنجليز إبان القرن الثامن عشر نصيب الأسد في التجارة الصينية. وكان الشاى هو السلعة الرئيسية للشركة ببلاد الصين. وقبل أن يبلغ القرن الثامن عشر نهايته كان الشاى قد أصبح شرايا قوميا بالمختلرا. ولسداد قيمة

المبالغ الهائلة المستخدمة في ذلك الاستثمار. كانت الشركة تشجع بيع الأفيون. وكان للشركة أكبر حالية من الأوروبيين المقيمين بالصين، ولكن ظلت حدود التجارة كما هي لازيادة فيها حتى صممت بريطانيا، وقد قويت شوكتها بالمقام غزو الهند، على استخدام القوة لإرغام الصينيين على التجارة الواسعة معها.

الصين والغرب في القرن التاسع عشر

الواقع أن الصين لم تكن تهتم بالتجارة الخارجية، وعندما كتب تشين نج إلى جورج الثالث يئنه بأن امبراطوريته تمتلك "كل شيء بوفرة هائلة" ولا ترغب في شيء من الخارج، كان في الواقع يردد تقليدا صينيا راسخ القدم ببلاده، يعد تبادل السلع مع الدول الأجنبية شيئا لا ضرورة له ويتنافى وكرامة الصين. وكان الموقف السياسي في العالم قد تغير تغيرا أساسيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فإن بريطانيا بغض النظر عن مركزها الذي لا ينازع ببلاد الهند وفي المحيطات بكل أرجاء العالم قد أصبحت الدولة العظمى في العالم ككل. وكانت تتمتع بمركز فائق - بالإضافة إلى قوتها العسكرية - في الناحية الاقتصادية فإن الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر قد تقدمت بها إلى الامام وجعلتها تسبق منافسيها أشواطا. وكان اقتصادها المتزايد على مر الأيام، ومركزها المتسلط في البحار والمحيطات يتيحان لها مركزا لا تستطيع دول ولا جماعة من الدول أن تتطلع إلى تحديه. ولم يكن من المعقول أن ترضى دولة مثلها تحتاج تجارتها إلى أسواق جديدة بالقيود التي فرضتها الصين ذلك الأجل الطويل. والواقع أن أحوال التجارة الأجنبية بكاتون كانت تنطوي على الذل والمهوان، فلم يكن يجوز للأجانب استخدام الخدم الصينيين، و كان يجوز لهم تقديم وجهات نظرهم مباشرة للسلطات بل عن طريق ضامنهم من الصينيين. ولم يكن معقولا أن بريطانيا بما صار لها من قوة وبطش أن تظل تسمح لتجارها بأن يمارسوا التجارة في مثل هذه الظروف المهينة، أجل أن شركة الهند الشرقية ظلت

تقبل هذا الوضع مدة تصل إلى قرن تقريبا وإن أظهرت شيئا من التذمر بين حين وآخر لأن التجارة كانت مربحة. وكما أوضح السيرجون برات "أن الربح الوفير الذى كانت تدره التجارة هو الذى جعل التجار الأجانب يتحملون الإهانات التى كان صلف الموظفين الصينيين يأبى إلا تكديسها على رؤوس الأجانب جميعا".

حرب الأفيون الأولى

كانت تجارة الصين منذ أمد بعيد شأنا يتم من جانب واحد، حيث يشتري التجار الأوروبيون كميات ضخمة من الحرير والشاي، ولا يبيعون مقابل ذلك إلا القليل. وكانت الصعوبة هى العثور على شيء يقبل عليه الناس بالصين. وكانت موازنة الميزان التجارى تتم عن طريق زيادة إقبال الناس على الأفيون، ويرجع (الفضل) فى هذا الاكتشاف إلى البرتغاليين. على أن الأفيون مالىث أن حرم تعاطيه بمرسوم امبراطورى فى عام ١٧٢٩. وبعد فترة من الزمان لم يعد ذلك التحريم معمولاً به، ولكن التجارة لم تكن ضخمة جدا. واعتبارا من عام ١٧٧٣ احتكرت شركة الهند الشرقية البريطانية بيع الأفيون للصين، كما احتكرت الشركة نفسها صنع الأفيون فى عام ١٧٩٧ وبذلك أصبحت للشركة الهند الشرقية مصلحة ضخمة فى توسيع هذه التجارة لغرضين، ملء خزائنها بالذهب بالهند، ودفع أثمان تجارتها بالصين، وفى الربع الأول من القرن التاسع عشر أصبح بيع الأفيون على نطاق كبير أعظم الواردات الأوربية ازدهارا بالصين. وبين عامى ١٨١٨ و ١٨٣٣ قفز الأفيون من ١٧ فى المائة إلى ٥٠ فى المائة من مجموع الواردات البريطانية إلى الصين.

ومع أن هذه التجارة كانت محرمة بحكم القانون تحريما تاما، وبخاصة بعد منعها متعاً باتا فى عام ١٨٠٠، فإن الشركة لجأت إلى التحايل تارة عن طريق التهريب، كما استخدمت وسائل القرصنة والسفن المسلحة تارة أخرى. وكانت

هذه السفن المسلحة تعمل متخفية للقوانين الصينية على طول الساحل في بيع ذلك العقار السام إلى أهالي الصين.

وكانت الحكومة الامبراطورية (الصينية) على تنبه تام إلى هذه الحركات، وكان الامبراطور يشعر بقلق خطير ازاء تلك المحاولة المتعمدة لإجبار شعبه على شراء الأفيون، فعزم على اتخاذ إجراءات فعالة لإيقاف تلك التجارة. ومن أجل تلك الغاية عين لن تشي هسو مندوبا امبراطوريا خاصا، وهو رجل مفرط في وطنيته، ويمتاز بالإمانة وكان آتخذ يشغل منصب نائب الملك في هيو كوانج. وبحول له سلطات لاحد لها تقريبا. وكان برنامج لن بسيطا، فإنه أراد أن يواصل التجارة المشروعة، بل ويشجعها ولكنه كان عاقد العزم على استئصال شأفة تجارة الأفيون بكل حزم. وليس هناك أى دليل مطلقا يدعم القول بأنه كان معاديا للأجانب أو جانحا للعدوان في تصرفاته الا حيث ينبغي أن يسان القانون. وقد طالب التجار بتسليم مالهدهم من صناديق الأفيون وكانت نحو ٢٠,٠٠٠ صندوق، واستولى عليها فعلا، ثم أدهش الناس جميعا عندما اتلفها في احتفال عام. ثم حصل لن من التجار على تعهدات بأنهم لن يواصلوا هذه التجارة البشعة المنافية لقوانين الامبراطورية. ومع أن التجار البريطانيين وقعوا تلك التعهدات، الا أنهم فعلوا ذلك بتحفظ ادخروه في دخيلة عقولهم، ذلك لأن أهم الشركات البريطانية وهى شركة جارادين ومائيسون كانت ترسم خططها في الحين نفسه لمواصلة التهريب من ساحل البحر بواسطة سفن مسلحة تتخذ من مانيللا قاعدة لها. وسارت الأمور على مايرام. ثم حدثت المتاعب بعد ذلك ببضعة أسابيع عندما قتل جماعة من البحارة البريطانيين السكارى رجلا صينيا على أرض بلاده، ورفض المشرف البريطاني على التجارة تسليم المجرمين، وأدرك لن أن سلطان مولاه يحتدر فأصدر لن أمرا قاطعا بتسليم المجرمين والا فإنه سيضطر إلى اتخاذ ما يلزم من إجراء لتنفيذ سلطته بالقوة، وأتبع لن انذاره بحشد السفن

الحربية، وأحضر البريطانيون من جانبهم سفينتين حربييتين هما الفولاج والمياسنت ثم شرعوا دون انتظار لأية مفاوضات يطلقون مدافعهم على السفن الحربية وأغرقوها، وهكذا بدأت حرب الأفيون الأولى.

ولقد أخطأ لن في تقديره مرتين، حيث خيل إليه أن الحكومة البريطانية لم تكن طرفاً في تهريب الأفيون، وذلك يتجلى في الرسائل التي وجهها للملكة فيكتوريا حيث قال "لقد فكرنا في الأمر، ورأينا أن هذه المادة الضارة يصنعها غندرا مديرون للشركة تحت سيادة شعبكم الشريف. ولا مراء عندي أنكم وأنتم ذو الرئاسة الشريفة لم تأمروا بزراعة هذه المادة وبيعها" كما أوضح لن أن بريطانيا نفسها "لا يسمح للناس فيها بتدخين ذلك المخدر. فإذا سلمنا بأنه على مثل هذه الدرجة من الضرر الويل، فكيف نحاولون الاستفادة بتعريض القير لتأثيره المؤذي وتروون ذلك متفقاً مع ما تأمر به السموات" فهذا كان لن على خطأ، فإن الحكومة البريطانية كانت مشتركة في الأمر وعلى علم تام به، كما أكدت ذلك مذكرة لشركة الهند الشرقية، وأن العقار (المخدر) تباعه حكومة الهند في بيوع علنية، وأن المصير الذي يذهب إليه معلوم يقيناً، بحيث أنه حدث في عام ١٨٣٧ أن إدارة شركة الهند وجهت بأعلان عام للجمهور مبلغاً طائلاً من المال ليقدم حبة اضافية لأصحاب السفن الذاهبة إلى الصين في ذلك الموسم، وعندما نلاحظ أن لجان مجلس اللوردات والعموم أجرت تحقيقاً دقيقاً في مسألة زراعة الأفيون، وبعد أن درست المبالغ التي تعود منه على بند الإيرادات بالهند، وعلمت تماماً بالمكان الذي يصدر إليه في النهاية، قد انتهت دون تردد إلى قرار ينص على أنها لا ترى من المصلحة التخلي عن مصدر للإيراد له مثل تلك الدرجة من الأهمية... وإذا عرفنا فوق ذلك أن مجلس الهند الذي يرأسه وزير عضو في الوزارة البريطانية له هيمنة فعالة على شركة الهند الشرقية، ويجوز له أن يمنع كل مالا يرضاه وجب أن نعترف أنه من الظلم فعلاً وإلى أقصى حد أن نلقى أى لوم

أو معرفة بتعلقان بتجارة الأفيون على كامل التجار الذين كانوا يشتغلون في تجارة
تقرها أعلى السلطات بصورة مباشرة وغير مباشرة".

فالواقع الذي لاشك فيه أن الحكومة البريطانية كانت غارقة إلى أذنيها في
هذه التجارة غير المشروعة، وفي القرصنة التي واكبتها. ومن الطبيعي أن (لن) لم
يكن يعرف تلك الحقيقة، وبخاصة أن نظريته في الدولة بوصفه من أتباع
كونفوشيوس كانت تقوم على التمسك بالأخلاق، وفيها يتولى الامبراطور تحت
وصاية السماء إقامة ميزان الاحتشام.

وكان خطأ (لن) الثاني الذي نشأ بصورة طبيعية عن الأول، هو اعتقاده
بأن الأسطول البريطاني لن يتدخل لحماية المجرمين، ولم يكن لديه بطبيعة الحال
فكرة صحيحة عن قوة بريطانيا البحرية. وكان بوصفه أمير البحر الأعلى للسفن
الحرية الصينية يؤمن تماماً بقدرته على التصدي للأسطول البريطاني، وكان سوء
التقدير ذلك وبالأدنى إلى النتيجة التي أسفر عنها الموقف... فاحتلت القوات
البريطانية شنغهاي في ١٣ يونيو ١٨٤٢ ثم عبرت لحرية بجنسي، ثم اتخذت الأبهة
للقيام بمحرم على مدينة نانكينج. وهناك عقدت معاهدة نانكينج في ٢٩ أغسطس
١٨٤٢.

وبغض النظر عن ضم هونج كونج لبريطانيا، كانت الفقرة الرئيسية في
تلك المعاهدة، التي كان سيقام عليها الصرح الكامل لعلاقات الصين بالدول
الغربية، هي الفقرة التي تفتح للتجارة خمسة موانئ "يسمح فيها للتجار الأجانب
وعائلاتهم ومؤسساتهم بالإقامة بقصد مزاوله أعمالهم التجارية دون أدنى مضايقة
أو قيد".

ونصت المعاهدة أيضاً على أن "الموظفين القنصليين" ينبغي أن يسمح لهم
بالإقامة، وأنه يجب أن تنشأ بتلك الموانئ، تعريفات جمركية ثابتة وعادلة ورسوم

جمركية منتظمة. وعقدت معاهدات مماثلة مع فرنسا والولايات المتحدة عام ١٨٤٤.

لقد عمد المنتصر إلى أن يفرض قرارات على المهزم، ولقد كانت معاهدة نانكينج هي حجر الزاوية في صرح العلاقات الدولية الرهيب وغير الثابت في الوقت نفسه، تلك العلاقات التي تحكممت في الصين نحو مائة عام. وكان الغرض الرئيسي منها هو القضاء على انعزال الصين بالقوة، واجبارها على التجارة مع الدول الأوروبية، وتعليم الصينيين فوق ذلك أنهم ليسوا بأى حال أعلى من سائر شعوب الأرض، بل أن فارقا حضاريا كبيرا يفصلهم عن الدول المتطورة في ذلك الوقت.

وكانت موانئ المعاهدة تقع على مصب نهر اليانغتسي وعلى امتداد الساحل وهي شنغهاي وننجيو وفوتشو وأموي وكانتون، فهناك كان للتجار الأجانب الحق في التجارة المباشرة مع الأهالي. وتقرر أن ترسو سفينة حربية بكل مرفأ في تلك الموانئ الخمسة، كما أن الفرنسيين والأمريكيين طالبوا وحصلوا على التأكيد بأن السفن الحربية "التي تخمر البحر لحماية التجارة ينبغي أن تلقى استقبالا حسنا في أية ميناء من موانئ الصين تصل إليه".

وأضاف الفرنسيون فقرة في معاهدتهم أدت في الوقت المناسب إلى هدم كل جهد بذل لإنشاء العلاقات الودية بين الصين والغرب. وهي رعاية السدين المسيحي. فهذا العمل ألبس الأمم الأوربية ثوب دين كانت هي ومنصروه يرغبون في فرضه على شعب الصين.

حرب الأفيون الثانية

على أية حال شعر التجار الإنجليز بالراحة لعقد المعاهدة، فها قد تحققت حربه التجارية بالقوة، بيد أن الحلم لم يكد يتحقق.. فإن قيمة الصادرات البريطانية إلى الصين في عام ١٨٥٠ لم يظهر فيها رغم الامتيازات الخاصة التي

اختصت بها موانئ المعاهدة أية زيادة على قيمتها في عام ١٨٤٣. وكانت الصادرات أقل أيضا في عام ١٨٥٤ وكانت هناك سوق الأفيون، أما ماعداه من السلع فلم تكن له سوق.. فكان الحلم لم يتحقق بل أنه تحول إلى كابوس يحشم على الصدور، ولم يستطع التجار الأوروبيون فهم الحقيقة، إذ لاح لهم أن من الواضح أنه إذا كانت سوق ثلاثمائة مليون من الصينيين لاتقدر جودة البضائع البريطانية فلا بد لذلك من سبب خفي.

وقد تجلّى للعيان أن معاهد نانكينج لم تود إلا إلى قلقه الأمور، وأن الموقف لم يثبت كما كان مأمولا. وكانت السلطات البريطانية بوجه خاص واقعة تحت ضغط لاينقطع يدعوها أن تعيد فتح أسباب النزاع، وتحدث بالقوة تسوية نهائية، وفتح ممثلون لبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة باب المفاوضات لتتبع المعاهدة في عام ١٨٥٤. وكان مقررا أن توجه تلك المفاوضات إلى الوصول إلى أهداف رئيسية أربعة: حرية الدخول إلى جميع أجزاء الامبراطورية، حرية الملاحة في نهر يانغتسى، إباحة قانونية لتجارتي الأفيون والخنازير (وهو اسم كانوا يطلقونه على العمال الصينيين) وأخيرا إنشاء علاقات دبلوماسية مع بكين. وكان معروفا أن الصينيين لابد ان يقاوموا تلك الأهداف التي كان اثنان منها مما لايسع أية دولة أن تقبله، وهما حرية الملاحة في اليانغتسى، وإباحة تجارة الأفيون والخنازير (العمال) قانونا، الا بعد أن تصاب بجزمة ساحقة لابد أن يقاومها الصينيون.

ولم تجد القوة الغشوم صعوبة في خلق معاذير يتحولها للحرب، فبان سفينة اسمها (السهم) بملكها صيني اسمه سسواتشنج أدعت ألها مسجلة عند البريطانيين، وكانت تحمل على ظهرها بعض المجرمين الصينيين المطلوبين للعدالة، فأمر به منج لتشن نائب الملك في كوان تنج باعتقال الأشخاص المطلوبين. ووجدت السلطات البريطانية في هذا العمل الذريعة التي كانت تبحث عنها، وضالبت بتقديم اعتذار عن الحادث وإزالة آثار ما وقع، فلم يسع نائب الملك الا

رفض ذلك لشعوره بأنه تصرف في حدود سلطته، ولئن كان العذر الذي انتحل للحرب الإنجليزية الصينية الأولى هو الأفيون، فقد كان عذرهم لاشغال الحرب الثانية هو الحماية التي بسطتها السلطات البريطانية على النشاط غير القانوني لبعض الصينيين الذين وضعهم البريطانيون تحت جناحهم. وكان الفرنسيون الذين تلقوا في كحل نابليون الثالث درسا في مزايا المجد، تواقين هم أيضا إلى الحصول على نصيب من مغام الشرق، فانضموا عندئذ إلى الحرب بحجة ان قسيما فرنسا قد قتل.

وهكذا أصبحت الحرب حربا إنجليزية فرنسية، ومع أن الأمريكين لم يشتركوا في ذلك النزاع، إلا أنهم تعاطفوا تماما مع الأهداف التي هدفت إليها بريطانيا وفرنسا. ونتيجة لقيام القلاقل في الهند (١٨٥٧-١٨٥٨) لم يعد من المستطاع أن تسير العمليات الحربية سيرا فعلا، ومع ذلك استولى الغزاة على كانتون في ١٨٥٧، وعندئذ طالب ممثلوا الدول بفتح باب المفاوضات المباشرة مع بكين وعرض عليهم نائب الملك في تيان تسن التفاوض، ولكن ذلك لم يرض الحلفاء، فقد عقدوا العزم على التفاوض مع ممثلي الامبراطور شخصيا، وأن يوقعوا المعاهدة في عاصمة الامبراطورية، ورفض الامبراطور أن يدخل المبعوثين الأجانب إلى بكين، وعندئذ احتل جنود البحرية قلاع تاكو، ولم تبد القوات التي تسمى القلاع أية مقاومة، فلما رأى البلاط ألا أمل يرجى من المقاومة، وافق على التفاوض وعين لذلك مندوبين فوق العادة.

وبطبيعة الحال أعطت معاهدة تيان تسن للدول الغربية ما كانت تصبو إليه وغارب من أجله مدة السنوات العشرين التي سبقتها، وهي الحق في الملاحة في نهر اليانجتسى، وإضافة إحدى عشر ميناء ليترل بها الأجانب وينحروا، بما في ذلك موافق نهر اليانجتسى الهامة حي هانكاو، وخروج الأوروبيين من اختصاص القضاء الصينى، ومنح الحرية للمتصرين المسيحيين ومنع فرنسا بالذات حق حماية

المنتصرين وفضلا عن ذلك قضت المعاهدة بأن يكون من حق الدول الأجنبية إرسال بعثات سياسية دائمة.

وهكذا وصلت البعثتان السياستان البريطانية والفرنسية في مارس ١٨٦١ ووصلت البعثة الروسية في يوليو من نفس السنة، أما البعثة الأمريكية فوصلت إلى بكين في العام التالي. وهكذا فتحت الصين فصلا جديدا في تاريخها المديد، كان أبرز مظاهره هو خضوعها لمثلئ الدول. وكان هؤلاء الممثلون يطلبون في ظل المعاهدات بالحقوق والامتيازات تلك التي مالبثت بفضل إطلاق اليد بسخاء في تأويلها تأويلا تؤيده القوة أن تطورت على مدى نصف قرن إلى هيئة خاصة من القانون الدولي تكاد تتحكم في كل ناحية من نواحي الحياة الصينية.

وموقف الأوروبيين بوجه عام من الصين والصينيين في تلك المرحلة يمكن الحكم عليه باستقراء تطور ما يسمى باسم (تجارة الخنازير) أي "تجارة العمال" لأن الخنازير اسم أطلقه الأوروبيون على عمال الصين. فمنذ عام ١٨٤٧ كان العمال الصينيون ينقلون على ظهور السفن نقلا مخالفا للقانون - بالرغم من احتجاجات الحكومة الامبراطورية - إلى المناجم والمزارع الكبرى بالمستعمرات ليحلوا محل الأرقاء. وقد بلغ عدد العمال الصينيين الذين نقلوا إلى سان فرانسيسكو وحدها قبل عام ١٨٦٣ أكثر من مائة ألف عامل. وكانت أهم المناطق التي تستقبلهم الممتلكات الآسيوية والبرتغالية فضلا عن أستراليا وكاليفورنيا. وكان جمع هؤلاء العمال يتم عن طريق مقاولين يتقاضون نسبة على كل رأس يحضرونها إلى المستودع فما يكاد العمال يصبحون دائحك (الخطيرة) حتى يصبح إنقاذهم ضربا من الخيال وبعد ذلك كانوا ينقلون في سفن تعرف باسم (الحجيم العالم) وكانت نسبة الوفيات بين ركابها تصل أحيانا إلى نحو ٥٠ في المائة. وقد أدى هذا النظام في التجارة إلى عدد لا يحصى من الفضائح، والواقع أن تجارة لا تختلف كثير عن تجارة الرقيق. وكان جمع العمال

فيها قائما على الاغراء والخطف. وقد أعدم نائب الملك بكساتون ثمانية من محتلفي العمال أدبوا بتلك التهمة. (٢٦)

حركة التايينج

استنكر الشعب الصيني الامتيازات التي منحت للأجانب، وشعر بالسيطرة العام ضدهم وضد أسرة المانشو الحاكمة، وبما هو جدير بالذكر أن أولى إرهابات الثورة على حكم المانشو كانت في إقليم هونان، وهو موطن قومية المياو، ويعتبرون أقلية، وكانوا مصدر قلق دائم، وقد اتسمت ثوراتهم بأغصا احتجاج على ما كان متفشيا في أسرة المانشو من فساد، ونادوا بأنهم يحاربون الأجانب بسيف الحق، كما حفزت أسباب أخرى نفوس الصينيين للثورة، كاحوال الجفاف والفيضانات، وفي عام ١٨٤٩ اشتدت المجاعة في إقليم هونان. وفي غضون ذلك الوقت ظهرت جمعية أخرى وهي "عبادة الله"، التي اتصلت بثوار هونان، وبعد عام ونصف من المعارك مع الحرس الامبراطوري اتحدت الجمعيتان، وتم إعلان المملكة السماوية للسلام الأعظم في ١١ يناير ١٨٥١، وهي المعروفة بحركة التايينج. وكان قائد هذه الحركة هو هونج تشوان (١٨١٣-١٨٦٤) وكان هونج قد تأثر تأثرا شديدا بالاضطهاد الذي قاساه الشعب، وأخذ عهدا على نفسه بأن يكون مجاهدا ومحاربا عنيدا ضد أعدائه. وبما هو جدير بالذكر أن حركة التايينج تعتبر ثورة اجتماعية في أساسها لأن مبادئها كانت قائمة على الإخاء والعدل والمساواة، ولذلك اعتبرها الصينيون حركة قومية صينية، وأن زعيمها هونج من أنيق عقولها المفكرة التي أوجبتها الصين. (٢٧)

وقد شكل هونج مركز قيادته من سبعة من القادة، قاموا بتنظيم انتفاضة في قرية جيتيان بمقاطعة جوانجشى في ١١ يناير ١٨٥١ وقد كانت لهذه الانتفاضة آثارها على رفع معنويات الثوار، ومن ثم اتجهت قوات التايينج بعد ذلك شمالا إلى أنغوي، وهزمت الجيش الامبراطوري في أبريل ١٨٥٢، واستولت

على أغلب المدن هناك، وفي يناير ١٨٥٣ اقتحمت قوات الثوار ووهان ، ولم يبق سوى مدينة نانكينج كى تسيطر على كل جنوب الصين. (٢٨)

وفي مارس ١٨٥٣ اقتحم الثوار نانكينج ، واستقبل الفلاحون قنوات التايينج بالترحيب الشديد، وازدادت قوات التايينج من عشرة آلاف في بداية الأمر إلى أكثر من مليون فرد.

وبعد أن استقر الأمر لثورة التايينج في نانكينج، أصبحت الصين تنقسم عمليا إلى دولتين... في الشمال دولة المانشو التي تمثل مصالح الأسرة الامبراطورية والاقطاعيين، وكبار القادة العسكريين، وفي الجنوب دولة التايينج أو مملكة السلام السماوية وتمثل الطبقات المطحونة (٢٩)

ووضع هونج برنامجا إصلاحيا يعتمد على الفكر الذى نادى به، ففى الجانب الدينى، تلقت الحركة باسم جماعة عبادة الرب، ولقب هونج نفسه بلقب الملك السماوى لمملكة السلام السماوية العظمى، واقتبس هونج من بعض نصوص الديانات السماوية بعضا من أسس فكرته، وأطلق عليها الوصايا السماوية.

كما وضع هونج مشروعا للإصلاح الزراعى، حاول به تذويب الفوارق بين الطبقات.

ويرجع النجاح العسكرى الكبير لثورة التايينج إلى حوز ثوارها على حب الشعب، وتحقيق هؤلاء الثوار للكثير من الإصلاحات الاجتماعية المختلفة، كما نادوا بالقضاء على تجارة الأفيون، ومعاقبة بائعيه، ومنع أعمال العريضة والسرقة، ووضعوا نظاما للأمن والأمان. كما رفعوا من شأن المرأة ومنع بيعهن فى الأسواق. (٣٠)

سقوط مملكة التاينج السماوية

خلال حرب الأفيون الثانية هدأت العمليات الحربية بين ثوار التاينج وقوات المانشو، ووضعت هدنة مؤقتة لحين الانتهاء من الحرب، وفي الوقت نفسه لم تتضافر جهود التاينج مع المانشو ضد القوات الأوروبية لأخراجها من الصين، وكان البلاط الامبراطوري يخشى من قوة التاينج أكثر من القوات الأجنبية، لأن القوة الأولى من وجهة نظرهم كانت تتطلع إلى الحكم، أما القوة الثانية فكانت تطلب عقد الاتفاقيات.

وبعد انتهاء حرب الأفيون الثانية، حصلت القوى الرأسمالية على كل ما تريده من حكام أسرة تشينج من خلال معاهدة تيان تسن (١٨٥٨ - ١٨٦٠) كما سبق أن ذكرنا، كما تعهدت المعاهدة المبرمة مع فرنسا بفتح نانكينج للأجانب بمجرد استعادتها من التاينج، وبهذا تغيرت لهجة الحكومات الأجنبية، ولم تعد تمدح الصحافة الأجنبية التاينج كمصلحين ومتدبرين، بل صاروا يعتبروهم من المتطرفين. أما حكومة المانشو التي كانت تواجهها تلك الصحافة فيما سبق على أنها رجعية، أصبحت توصف بعد ذلك بأنها قوة عاقلة، وأنها حامية حرية التجارة وبيع الأفيون.

وهكذا أصبح من صالح الأجانب القضاء على ثورة التاينج، وتشكلت قوات بريطانية فرنسية متعاونة مع المانشو ضد التاينج، وتمكن أمريكي يدعى فردريك وارد من جمع قوات من المرتزقة من الفلبينيين وبعض الغربيين لتعزيز مركز الاستعمار في الصين، وأطلق على هذا الجيش "جيش النصر" ولكن لم يلبث فردريك هذا أن قتل في عام ١٨٦٢ على أيدي الثوار. وفي بداية عام ١٨٦٣ تعاونت القوات البرية البريطانية مع حكومة الامبراطور ضد التاينج، مع تخصيص قوات من المرتزقة، وأمكن لهذه القوات المختلطة أن تدخل مدينة

سوتشو في ديسمبر ١٨٦٣ ، حيث قُتل عددا كبيرا من سكانها، ونُهبت المدينة لها كاملا. كما تم الاستيلاء على هانجشو في مارس عام ١٨٦٤.

وسارت الأحداث على وتيرة واحدة، وهي تراجع توارك التايينج، إلى أن سقطت نانكينج في ١٩ يوليو ١٨٦٤ ، ولكن قبل أن تسقط انتحر هوانج هسيو تشوان في يونيو ١٨٦٤ بتناوله السم بعد تأكده من فشل الحركة. وقد أثير انتحاره على البقية الباقية من أتباعه، الذين آثروا الانتحار على تسليم أنفسهم لقوات حكومة المانشو.

والواقع أن حركة التايينج كانت انتفاضة للفلاحين ضد الاقطاع ، وضد الغزاة... لقد ناضل عشرات الملايين من الفلاحين الفقراء من أجل تحرير أنفسهم حتى أيدوا في القتال بحسنيين بطولة الشعب الصيني ضد فساد السلطة والفساد الأجنبي.

تطور الصين في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر

في الفترة الأخيرة من حروب التايينج، سيطرت الرأسمالية الأوروبية على اقتصاديات الصين، ومن ثم وقعت انتفاضات صينية ضد هذا التسلط الأجنبي كان منها:

١- انتفاضة نيان Nien (١٨٥٣ - ١٨٦٠).

في عام ١٨٥٣ شن الفلاحون في نيان في شمال غرب الصين ثورة شملت وادي اليانجتسي بين النهر الأصفر ومنطقة هوي^(٣١) وتسليح الفلاحون، وطردها موظفي حكومة تشينج. وقد استطاعت هذه الحركة الانتشار في المدن والقرى، وبين عامي ١٨٥٦ - ١٨٦٠ أحرزت هذه الانتفاضة انتصارات عديدة في القتال بفضل التعاون مع جيش التايينج. ولكن القوى الغربية لعبت دورا في التفريق بين ثورة نيان مع ثورة التايينج، ومع الثورات الأخرى. ومع فشل حركة

التاينج ركزت حكومة تشنج كل قواها مع الدول الأوربية لمواجهة قوات نيان، حتى أمكن سحقها تماما في عام ١٨٦٨.

٢- انتفاضة يونان Yunnan المسلمة (١٨٦٠-١٨٧٣)

في عام ١٨٦٠ قامت هذه الجماعة بانتفاضة ترجع أسبابها إلى العوامل الاقتصادية، ثم اختلطت معها العوامل الدينية، فقد كان أهل يونان يحصلون على مكاسب ضخمة من سيطرتهم على مناجم المنطقة الغنية بالمعادن النفيسة، إلى أن سيطرت حكومة تشنج على هذه الثروة، مما أدى إلى حدوث مواجهات دامية بين الحكومة الصينية وأهالي يونان، وتطورت الأمور بعد مذابح جيش تشنج وقتله لمئات من العائلات المسلمة. وهكذا تزعم تون هسيو الثوار، ونظم سلطة إسلامية، وسمى دولته مملكة السلطان سليمان. وحاول تون هسيو الحصول على معونة بريطانيا، التي رفضت ذلك،^(٣٢) بل تعاونت بريطانيا مع حكومة المانشو ضد هذه الثورة، التي انتهت عام ١٨٧٣ بعد مذابح شديدة للمسلمين.

٣ - انتفاضة قومية هوى المسلمة (١٨٦١ - ١٨٧٣)

أمام اضطهاد أسرة تشنج للمسلمين في هوى، وبعد ثورة التاينج، قامت انتفاضة هوى ضد مظالم الحكومة المركزية، وأمكن لهوى أن تشكل جيشا من الفلاحين من مائتي ألف مقاتل، واستطاع هذا الجيش الاستيلاء على مدينتي وينان ووانشو. ولكن تحول الوضع إلى غير صالح جيش قومية هوى، لعدم تنسيق التعاون بين القوت، وبعد معارك عنيفة مع قوات الحكومة في عام ١٨٧٢، وبعد محاولات الحكومة زرع الفرقة بين قادة الحركة، فإن هذه الحركة انحارت أيضا تحت ضربات جيوش الامبراطورية. كما قامت عدة انتفاضات أخرى مثل انتفاضة شينجيانج (يعقوب بك) في شمال الصين الغربي، وحركة نسيويتين في شانتويج، وثورة المياو في كويشا وغيرها. ونتج عن هذه الانتفاضات عمليات

إبادات كاملة للملايين من أبناء الشعب الصيني المعارض لحكم الأقطاع والتغلغل الأجنبي.

المواجهات الصينية الخارجية في أواخر القرن التاسع عشر

حاولت مجموعة من أغنياء الصين صيغ الصين بالصيغة الغربية في الصناعة، فحاولت إنشاء بعض المصانع في الصين، وتم استيراد مهمات المصانع من الخارج من أجل الإنتاج الحري أساسا^(٢٣) واتجه زعماء حركة التغريب أيضا إلى بناء السفن الكبيرة.

١- الحرب الفرنسية الصينية (١٨٨٣ - ١٨٨٥)

حاولت بعض الدول استغلال الصين اقتصاديا وسياسيا، وكان ذلك بسبب ضعف الصين عسكريا، وقد اتخذت فرنسا من توسعها في أراضي فيتنام عام ١٨٥٨ قاعدة للتغلغل في الصين، وهاجمت هانوي عام ١٨٧٣، ثم أعلنت الحرب على الصين سنة ١٨٨٣ بحجة ألها هاجمت فيتنام، ولكن فرنسا واجهت هزائم فادحة، ولكنها هاجمت الصين مرة أخرى في عام ١٨٨٥، وأرغمت حكومة تشينج على توقيع معاهدة الصلح التي فتحت لفرنسا أبواب جنوب الصين. وواضح أن هذه الحرب أثبتت ضعف الصين، وعدم قدرتها على تحقيق التحديث المنشود.

٢- الحرب الصينية اليابانية ١٨٩٤ - ١٨٩٥

نشبت الحرب الصينية اليابانية بسبب مسألة كوريا، التي كانت مشارا للتنافس الصيني الياباني. وكانت اليابان لها أطماع توسعية في كوريا، واستطاعت في عام ١٨٨٤ إحتلال شبه الجزيرة الكورية، وطلبت كوريا المساعدة الصينية، وانتهى الأمر بعقد اتفاقية يابانية صينية نصت على تخلي الدولتين عن إدعاءهما في كوريا في هذه المرحلة، كما اتفقتا بأن تخطر كل دولة منهما الأخرى عند إرسال قوات لها إلى كوريا.^(٢٤)

وفي عام ١٨٩٤ نشبت انتفاضة فلاحية في كوريا ضد البلاط الكوري، وطالب ملك كوريا بالمعاونة الصينية، وأرسلت الصين بالفعل قواتها إلى كوريا لنجدة الملك، واعتبرت اليابان هذا التصرف متعارضا مع اتفاقية ١٨٨٥، وأنزلت قواتها في جنوب كوريا، وفي ٢٥ يوليو ١٨٩٤ هاجمت اليابان الأسطول الصيني، كما هزمت القوات الصينية عند بيونج يانج. ثم نقلت اليابان المعركة إلى أراضي الصين، وتناحلت الهزائم الصينية في كل الميادين، واضطرت الصين إلى قبول كل الشروط اليابانية وبالتنازل عن تايوان، وفتحت الموانئ الصينية للتجارة اليابانية، مع دفع الصين لتعويض مالى كبير لليابان^(٣٥)، مع استيلاء اليابان على عدد من الجزر الصينية. لقد كانت معاهدة شيموتوسكى إذلالا كاملا للصين، مما أدى إلى ردود فعل لدى الشعب الصينى^(٣٦)... فهناك من أرجع تفوق اليابان إلى التقدم العلمى المأخوذ من الغرب، وهناك من فضل أسلوب الثورة لتغيير نظام الحكم القائم في الصين^(٣٧)

تطور تاريخ الصين المعاصر

في الأعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر والأعوام الأولى من القرن العشرين هاجت الصين بتيارات فكرية وسياسية مختلفة، والدوائر الحاكمة رأت أن الحل هو في ضمان معاونة الأجانب، وإدخال الصناعات الحديثة، مما أدى إلى نشأة نظام الامتيازات الأجنبية، ولكن فريقا آخر، وهو فريق المثقفين الذى رأى أن الحل هو في القضاء على النظام الملكى وإقامة جمهورية متطورة.

ويعتبر كانج يو وي Kang You Wei (١٨٥٨ - ١٩٢٧) من أهم الشخصيات الإصلاحية في الصين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد أسس في سنة ١٨٩١ مدرسة في كانتون لتعليم الأساليب الغربية على أساس تفسير جديد للكنفوشية، وفي عام ١٨٩٥ أرسل عدد من المثقفين مذكرة كتبها كانج إلى الامبراطور بشأن إصلاح شئون الدولة.. وفي عام ١٨٩٨

طلب الامبراطور من كانج أن يتولى رئاسة الحكومة، وبالتالي بدأت حركة تعرف في الصين بحركة إصلاح المائة يوم (١١ يونيو - ٢٠ سبتمبر ١٨٩٨) وأصدرت الحكومة الجديدة عددا كبيرا من القوانين هدفت إلى تحويل الصين إلى دولة عصرية، وركزت على التعليم والخدمة العسكرية، وتنظيم الإدارة، وإنشاء المؤسسات الاقتصادية، وإقامة نظام برلمان. ولكن آراء كانج اصطدمت بمعارضة كبار القادة العسكريين، مما أدى إلى فشل كانج في تحقيق إصلاحاته. وتطور الأمر إلى انقلاب مفاجيء في ٢١ سبتمبر ١٨٩٨ تزعمته والدة الامبراطور تسو هسي، وهرب كانج إلى الخارج وظل حتى وفاته سنة ١٩٢٧ وفيما لميادته.

لقد كان كانج يروى والحركة الاصلاحية التي تزعمها نقطة تحول هامة في الفكر الصيني، وتأثر بأرائه عدد آخر من المفكرين في مقدمتهم تان سو تونج (١٨٦٥ - ١٨٩٨) وليانج تشي تشانج (١٨٧٣ - ١٩٢٧) (٣٨)

ثورة اليوكسرس

ظهرت هذه الحركة في عام ١٨٩٨ ، وعرفت بهذا الاسم (الملاكمون) لما اشتملت عليه من تدريب أتباعها تدريباً عنيفاً يشبه الملاكمة، ولقد أصول تاريخية في التاريخ الصيني الحديث، وقد جذبت هذه الجماعة الجماهير إليها من خلال ممارسة الملاكمة العنيفة، وترجع أسباب قيام ثورة اليوكسرس إلى عدة أسباب منها كراهية الصينيين للأجانب المسيحيين، والغضب العام في الصين من التوسع الامبريالي وانتشار البطالة والكساد الاقتصادي، وكذلك للكوارث الطبيعية التي احاقّت بالبلاد في هذه الفترة.

ومنذ عام ١٨٩٨ شرع اليوكسرس في مهاجمة الصينيين المسيحيين، كما زادوا في هجومهم على البعثات التنصيرية. ثم اشتعلت ثورة اليوكسرس سنة ١٩٠٠ في مختلف أنحاء الصين. وأصبحت العاصمة بكين مركزاً للثورة، وتم

تدمير كل أماكن العبادة المسيحية، وفي منشوريا غُبت وأحرقت الكنائس والمدارس المسيحية، وتم قتل ٢٣٦ شخصا من الأجانب.

وقد شعرت القوى الأجنبية بالخطر من هذه الموجة المعادية للأجانب، وقررت اتخاذ إجراءات وقائية. وفي ١٩٠٠/٧/١٤ احتلت القوات الأجنبية المتحالفة تبتسين، وهددت بالزحف نحو العاصمة بكين، وكانت الامبراطورة قد انضمت للبوكسرز، ولكن حكام المقاطعات الجنوبية طلبوا من الامبراطورة إصدار الأوامر بحماية الأجانب والقضاء على البوكسرز، وفي ١٩٠٠/٨/١٤ استولت القوات الأجنبية المتحالفة على بكين، ورفعت الحصار عن البعثات السياسية الأجنبية. وهكذا انتهت حركة البوكسر. (٣٩)

وتم للقوى الغربية المتحالفة فرض اتفاقية البوكسرز وتم توقيعها في ١٩٠١/٩/١٧، والتي نصت على معاقبة وإعدام عدد من المسؤولين عن الحركة، ودفع تعويض مالي كبير، ومنح البعثات السياسية الأجنبية امتيازات اقتصادية جديدة. والاحتفاظ بحجى السفارات للأجانب دون غيرهم، وإبقاء عبء الدفاع عن هذا الحجى للسفارات نفسها، مع الاحتفاظ لها بحق وضع الجنود الأجانب في داخل بكين، وتقرر أن تضمن دفع التعويضات إيرادات الجمارك البحرية وضريبة الملح، والجمارك الوطنية.

وظنت الدول المتحالفة أنها مستطعة بهذه الوسائل ضمان هيمنة الأجانب على الصين، ولكن قل من الأجانب من تنبأ بأن هذه الشروط المجحفة إنما كانت تحمل بين طياتها بذور تدميرها، ذلك أن بروتوكول البوكسرز هو الذي نستطيع أن ننسب إليه الماراة المبرطة التي كانت تنصف بماعلاقة للصينيين بالغرب في السنوات الخمسين التالية. (٤٠)

ثورة ١٩١١

قامت هذه الثورة تحت قيادة سن يات سين (١٨٦٦ - ١٩٢٥) الذي يوصف عادة بأنه أب الثورة الصينية، وقد تلقى سن يات سين ثقافة غربية، وفادى بدعوته للإصلاح، وكسبت هذه الحركة مناصرة مطردة من جماعات المثقفين الشباب والجمعيات السرية والجاليات الصينية فيما وراء البحار. وقد نجح سخط واستياء الفلاحين في عدد من الانتفاضات بلغت حوالى ثلاثين انتفاضة في الفترة بين عامي ١٩٠٧ و ١٩١٠. وتؤكد الأسرة الحاكمة أن بقاء نظامها مشروط باسترضاء الشعب، ولذا لجأت إلى إصدار عدد من القرارات الإصلاحية، فمنذ عام ١٩٠٥ صدرت عدة قرارات أهمها تأسيس مدارس حديثة، وإنشاء وزارة للتجارة، وتشجيع الصناعات الوطنية، وتطهير الإدارة الحكومية من العاملين الفاسدين، وفي سنة ١٩٠٨ قررت الحكومة إقامة حكم دستوري في مرحلة انتقالية مدتها تسع سنوات تنتهي سنة ١٩١٧.

وتعود جذور ثورة ١٩١١ إلى جهود زعيمها سن يات سين، وقد درس الطب في هونغ كونج، وتخرج سنة ١٨٩٢، وأعطى السنوات القليلة التالية كطبيب في ماكاو وكانتون، ثم سافر إلى هونولولو هاواي، وأسس هينيك في ١٨٩٤/١١/٢٤ منظمة ثورية عرفت بجمعية إحياء الصين، وفي ١٨٩٥/٢/٢١ تأسس فرع للمنظمة في هونغ كونج، مع فروع أخرى في الأقاليم الصينية، ثم عاد سن يات سين إلى كانتون من جديد ليقود الحركة الثورية ضد أسرة المانشو وكان سن يات سين وطنياً مخلصاً.

وتعود أسباب ثورة ١٩١١ إلى:

- ١- تدهور أسرة المانشو الحاكمة، لأن الضربات الأجنبية الاستعمارية أفقدت هيئة المانشو في عيون الصينيين، ومع زوال هيئة الأسرة الحاكمة، زادت حدة المعارضة لها.

٢- تراث الثورة الوطنية، فطوال حكم أسرة المانشو (١٦٤٤-١٩١١) لم تحتف بمشاعر المناوئة لحكمها، ولم يكف للمفكرون الصينيون منذ أوائل حكم هذه الأسرة عن الدعوة إلى مناهضة المانشو، وبعث حكم أسرة منج، ولم تكن ثورة ١٩١١ الإحزما من تراث الثورة المستمرة ضد حكم الأجنبي.

٣- المؤثرات الخارجية، فنتيجة لاحتكاك الصين بالغرب، وسفر كثير من شباب المبعوثين لاكمال دراساتهم بالخارج، أمكن تعرف الشعب الصيني على أحوال الثورة الفرنسية، والوحدة الإيطالية والاتحاد الألماني، وأصبحت فكرة الديمقراطية والقومية من القوى الدافعة للتغيير الثوري في الصين.

١٠- أما موجز أحداث ثورة ١٩١١، فإنه في خريف ١٩١١، وبالتحديد في ١٠ أكتوبر عمدت بعض الوحدات العسكرية في ونشانج، ثم في هانكو، وسرعان ما سرت الثورة في كل أنحاء الصين، ومع نهاية نوفمبر ١٩١١ أعلنت خمس عشرة مقاطعة استقلالها عن الحكومة المركزية في بكين. وبفضل هذه الثورة نجح الثوار الصينيون في الإطاحة بأسرة المانشو، التي تنازلت عن السلطة في السنة التالية.

وفي ١٩١١/١٢/٢٩ تأسست جمعية مؤقتة، وتم انتخاب سن يات سين رئيسا مؤقتا للجمهورية التي أعلنت سنة ١٩١٢. وهكذا وفي أول يناير ١٩١٢ أعلنت الصين الجمهورية. و ١٩١٢/٢/١٢ اضطر الامبراطور إلى التنازل عن العرش. كما أن سن يات سين فقد اضطر هو الآخر إلى التنازل عن رئاسته الجمهورية في ١٩١٢/٤/١ - وبعد نحو شهر ونصف من توليه السلطة - للجنرال يوان شيه كاي، الذي تمسك بمنصب رئيس الجمهورية بحجة أنه كان قائدا للقوات العسكرية التي أرغمت الامبراطور على التنازل عن حكم الصين. ويعتبر تأسيس الجمهورية حدثا بارزا في تاريخ الصين المعاصر، لأنه وضع نهاية لأكثر من ألفي سنة من حكم الأسرات الامبراطورية، فالصين بعد

عام ١٩١١ لم تعد تتبع لآين السماء، بل لكل الشعب، وبمناح الثورة قد حقق الآمال التي ظهرت في التراث الوطني الصيني على مدى أكثر من قرنين ونصف، ونقلت السلطة السياسية من جماعة المانشو إلى الشعب الصيني ولو نظرياً، لأن هذه الثورة لم تكن كاملة، واقتربت بالكثير من المضاعفات المؤسفة التي ازعجت سن يات سين، ومن المبادئ الثلاثة " القومية والديموقراطية والاشتراكية" التي أعلنها سن ركز أتباعه على جزء من مبدأ القومية لاستعماله ضد حكم المانشو.

لقد كانت ثورة ١٩١١ مفاجئة ، وثورة بيضاء، تركزت في المدن الساحلية الكبرى، وبالرغم من مناح الثورة في إسقاط حكم أسرة المانشو الحاكمة، فإن الحدث نفسه لم يكن حدث ثورياً، لأن هذه الثورة لم تنجح في إقامة الإصلاحات الجذرية للمجتمع، وتحقيق نظام سياسي مستقر. كما أن استيلاء العسكريين على السلطة ، والراعات بين هذه القيادات العسكرية أدت في مجملها إلى عدم تحقيق نتائج إيجابية لثورة ١٩١١^(١).

ثورة ١٩١٣

انتقلت الصين بسرعة من النظام الجمهوري إلى النظام الديكتاتوري العسكري المتمثل في الحزب الوطني بقيادة الجنرال يوان شيه كاي، الذي كان يحيل إلى الحكم المطلق، وهكذا انهار البرنامج الثوري الذي وضعه سن يات سين، ولجأ سن إلى الثورة سنة ١٩١٣ ضد الديكتاتورية العسكرية. وبدأت هذه الثورة الثانية عندما أعلن الحاكم العسكري لمقاطعة كيانجسي الاستقلال عن السلطة المركزية، وفي أقل من شهر حذت حذوه ستة أقاليم أخرى، إلا أن قوات يسوان شيه كاي استطاعت القضاء على أتباع سن يات سين في مدى شهرين، لأن الناس كانوا قد سئموا القتال، وفضلوا الأمن والسلام. ولكن كانت نتائج قمع ثورة ١٩١٣ هي ازدياد غرور الجنرال يوان شيه كاي، وفي عام ١٩١٦ حاول

تنصيب نفسه امبراطورا على الصين، إلا أن محاولته أخفقت بموته في ١٩١٦/٥/٦ (١٢).

الصين والحرب العالمية الأولى

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، كانت الصين تحت حكم يوان شي كيه الذي كان رئيسا للجمهورية، وأصبح القادة العسكريون في قبضته. وقد أعلن يوان حياد الصين بمجرد إعلان الحرب العالمية (أغسطس ١٩١٤) أملا في إبعاد بلاده عن خطر الحرب. (١٣)

ولقد أتاح الحرب العالمية الأولى لليابان فرصة ذهبية للتوسع في الصين، لأن اليابان بعد أن أعلنت الحرب على ألمانيا انطلقت لاحتلال الأقاليم التي كانت تسيطر عليها ألمانيا في الصين.. فاحتلت اليابان الممتلكات الألمانية في شانتونج والجزر الخاضعة لألمانيا في المحيط الهادئ. وقدمت اليابان إلى الصين مع بداية عام ١٩١٥ ما عرف باسم المطالب الاحدى والعشرين، والتي كانت لها أصداء عالمية واسعة النطاق، كما كان لها رد فعل عنيف داخل الصين تمثل في حركة ٤ مايو ١٩١٩.

والمطالب اليابانية تتكون من خمس مجموعات:

١- المجموعة الأولى: وتضم أربع مواد تقضي بتخلي الصين لليابان عن الامتيازات الألمانية في شانتونج، وأن تتعهد الصين بأن تفتح ~~بعض~~ المدن الهامة في شانتونج للتجارة الدولية.

٢- المجموعة الثانية: وتضم سبع مواد تنص على اعتراف الصين بالوضع الخاص لليابان في جنوب منشوريا وشرق منغوليا الداخلية، كما يوافق الطرفان على امتداد عقد تاجر مينائي يورث آرثر ودالي وخط حديد جنوب منشوريا وخط حديد موكدن لمدة ٩٩ عاما، كما تسلم الحكومة الصينية لليابان إدارة خط حديد كيرين تشانج تشون لمدة ٩٩ عاما.

٣- المجموعة الثالثة : يوافق الطرفان على عدم إلغاء الصين بمفردها حقوق شركة هان يه ينج التعدينية اليابانية ، وأن كل المناجم في المنطقة المجاورة لتلك الشركة لا يعمل بها عمال دون موافقة الشركة اليابانية.

٤- المجموعة الرابعة: توافق اليابان والصين على عدم قيام حكومة الصين بالتنازل عن أى ميناء أو جزيرة على طول الساحل الصينى لأى طرف ثالث دون موافقة اليابان.

٥ - المجموعة الخامسة: تستخدم الحكومة الصينية موظفين يابانيين كمستشارين في الشؤون السياسية والمالية والعسكرية. كما تحتكر اليابان حقوق الخطوط الحديدية في الصين.

وواضح أن هذه المطالب تؤكد عزم اليابان على تحويل الصين إلى مستعمرة يابانية.

وأدى انشغال القوى الأوروبية إلى منح الفرصة لليابان لمحاولة إسلاء شروطها الاستعمارية على الصين. واضطر يوان شيه كاي لقبول المطالب اليابانية تحت التهديد والانتذار، ووقع على المعاهدات الخاصة بها في ٢٥ مايو ١٩١٥، أى بعد أسبوع من الانتذار الياباني الذي وجه في هذا الصدد.

حركة الرابع من مايو ١٩١٩

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أقر مؤتمر الصلح في باريس لليابان ببعض المطالب ، وخاصة وراثتها لليابان للامتيازات الألمانية في مقاطعة شانغونج. ولكن الشعب الصينى رفض الخضوع لقرارات مؤتمر الصلح في باريس، ففي ٤ مايو عام ١٩١٩ قام أكثر من ثلاثة آلاف طالب في بكين بمظاهرة كبرى ضد قرارات مؤتمر الصلح^(١)، وهاجموا ثلاثة من السياسيين الصينيين موالين لليابان، وأحرقوا بيت أحدهم. وتم اعتقال أكثر من ألف طالب، وأطلق سراحهم فيما بعد. وفي الخامس من مايو تم تأسيس اتحاد طلاب جامعة بكين، والمناداة باستعادة الحقوق

الصينية.. إن ما حدث كان حقاً ثورة وطنية، وبداية للقومية، وعجبة أمل عميقة في الغرب، ورد فعل عنيف ضد الحكومة العسكرية في الصين. وأظهر التحارب والعمال والمعلمون ورجال الأعمال تعاطفهم مع حركة الطلاب. وفي ١٩ مايو قام طلاب بكين باضراب عام، وحذا حذوهم الطلاب في كل المدن الصينية، وقرر الطلاب مقاطعة البعثات اليابانية. وقامت الشرطة بقمع المظاهرات بقسوة، وتم اعتقال الآلاف من الطلاب. وانضم العمال إلى الطلاب، وأصبحت الصين كلها معارضة للنظام العسكري الحاكم، ولموافقة مؤتمر الصلح على إطلاق يد اليابان للسيطرة على الصين.

وكان لحركة الرابع من مايو ١٩١٩ نتائج عميقة، واضطر الوفد الصيني في مؤتمر فرساي إلى رفض توقيع اتفاقية السلام والتسليم بالمطالب اليابانية الاستعمارية في الصين. وهنا نلاحظ أن القومية والرأي العام والمظاهرات الجماهيرية برزت كقوى جديدة على المسرح السياسي في الصين. ^(١٥) نجحت حركة ٤ مايو في الدفاع عن المصالح الصينية، فلم تحصل اليابان على شانتونج، حيث امتنع الوفد الصيني في مؤتمر فرساي عن التوقيع على المعاهدة، وبذا أصبح الوجود الياباني في شانتونج وجوداً غير قانوني. ^(١٦)

الحالة الداخلية في الصين بعد الحرب العالمية الأولى

بعد أن انتهت المؤتمرات الدولية التي أعقبت الحرب العالمية الأولى عاد الصراع الداخلي إلى اليلاد، وكانت حكومة بكين آلة في أيدي القادة العسكريين المتنازعين. وبينما كان الصراع بين القادة العسكريين على أشده في الشمال، استطاع قادة آخرون أن يدعموا قوتهم في الجنوب وكان هؤلاء يشجعون سن بات سين - الذي كان يلمع اسمه حيناً ويختفي أحياناً للجنوة للعيش في المنفى - على تشكيل حكومة في المنفى.

واستطاع سن يات تسين في عام ١٩٢٠ إعادة تشكيل حزب الكومنتانج، وفي العام التالي اجتمعت هيئة تشريعية وانتخبته رئيسا للجمهورية. ومع أن أحداث الصين لم تدعه يحكم طويلا، واضطرته إلى أن يعيش في منفاه في شنغهاي، إلا أنه عاد إلى كانتون سنة ١٩٢٣، ورفع مبادئه الثلاثة الديمقراطية وحق تقرير المصير، ومقاومة الغزاة.

واجتمع أول مؤتمر وطني للكومنتانج في كانتون في عام ١٩٢٤ ووضع دستورا للبلاد على أسس الحزب الواحد، وسبق ذلك تكوين جيش وطني وتأسيس كلية حرية تحت إدارة شيانج كاي تشيك. وقد مات سن يات سن في ١٢ مارس ١٩٢٥، واستطاع شيانج كاي تشيك قائد جيش الكومنتانج أن يسيطر على الحزب بعد انتخابه رئيسا للجنة الدائمة للجنة المركزية.

وبدأ تشانج الحملة العسكرية الكبرى لتوحيد الصين، سنة ١٩٢٦ وتقدمت قوات الكومنتانج إلى الشمال وما وافى ربيع ١٩٢٧ حتى سيطر تشانج على معظم أقاليم الصين الواقعة جنوب بحر اليابان. أما في الشمال فقد أعلن قائد إقليم شنسي انضمامه إلى الوطنيين. ولكن الصراعات لم تتوقف بل تعددت مع الشيوعيين في الشمال، هذه الصراعات التي لم تتوقف طيلة العشر سنوات التالية. (١٧)

الصين والمواجهات المسلحة الخارجية (١٩٣١ - ١٩٤٥)

المواجهات ١٩٣١ - ١٩٣٦

منذ عام ١٩٢٥ بدأت الصين تعمل ضد التفوق الاقتصادي الياباني في منشوريا، فقامت بتشجيع الهجرة إلى هناك، وأنشأت خطوطا حديدية إلى جانب الخط الياباني هناك.

وتقع منشوريا في شمال شرق الصين، وتمتد شمالا حتى بحر أمور أي حتى سيبيريا، وتتأخم من ناحية الشرق روسيا، وتحتوي على مناجم الفحم الحجري،

وعلى خامات معدنية أخرى، كما أنها من المناطق الزراعية الغنية. وكان يستكن منشوريا في سنة ١٩٣٠ حوالى ٣٦ مليون نسمة ، ١٠% منهم منشوريون والغالبية كانت صينية.

ومنذ عام ١٩٣١ عاودت اليابان سياسة التوسع على حساب الصين، وحاولت إخضاع قسم من شمالي الصين لنفوذها السياسى والاقتصادى. وفى الفترة بين عامى ١٩٣١ ، ١٩٣٦ شهدت العلاقات الصينية اليابانية أزمات شديدة. ومر النزاع بين طوكيو وبكين بثلاث مراحل، بدأت الأولى سنة ١٩٣١ عندما احتاحت القوات اليابانية منشوريا، وجرت حرب قصيرة بين البلدين، انتهت بتوقيع هدنة فى ٥ مارس ١٩٣٢. وقد أعلن اليابانيون فى ١/٤/١٩٣٢ قيام حكومة مانشوكو العميلة لليابان. وقد شكلت عصبة الأمم لجنة لبحث الوضع فى منشوريا، وعرض تقرير اللجنة على الجمعية العمومية للعصبة فى ٢٤/٢/١٩٣٣ ، وأوصت اللجنة بعمل مانشوكو ولاية تتمتع باستقلال ذاتى تحت سيادة الصين، ولكن اليابان تجاهلت هذه التوصية، وانسحبت من عضوية عصبة الأمم.

أما المرحلة الثانية من الصراع فقد بدأت فى عام ١٩٣٣، عندما احتلح اليابانيون إقليم جيهول فى أوائل مارس من تلك السنة، وتقدموا حتى سوز الصين العظيم، ثم اجتازت القوات اليابانية السور، وتقدمت نحو بكين حتى وصلت على مسافة ٢٠ كم من المدينة، ومرة أخرى طلبت الصين الهدنة، التى وقعت فى ١٩ مارس ١٩٣٣. ووفق هذه الهدنة أصبحت مسألة احتلال اليابان لإقليم جيهول أمرا واقعا مكتسبا.

أما المرحلة الثالثة من الصراع اليابانى الصينى فقد بدأت فى عام ١٩٣٥ عندما استأنفت اليابان التوسع العسكرى فى الصين، واتخذ اليابانيون من النورة التى قام بها الفلاحون الصينيون فى جيهول ضد اليابانيين سبب نقل الضرائب

ذريعة لهذا التوسع الجديد، وأحتلوا في مايو ١٩٣٥ مقاطعة هوبي التي تقع فيها العاصمة بكين . ولعل ما يثير الانتباه في هذه الحوادث هو سلبية الحكومة الصينية، وتلخصت سياسة بكين في رفض الاعتراف بالأمر الواقع، وعدم توقيع معاهدات مع اليابان، وانتظار الفرصة لانتهاء الاستعمار الياباني للأراضي الصينية.

ولمدة حوالي ست سنوات بعد عام ١٩٣١ ، تفادت الصين الاصطدام العسكري المباشر مع اليابان. وفي هذه الفترة قام الزعيم الصيني تشانج كاي شيك بإعادة بناء الجيش الوطني على النمط الياباني قبل أن يتورط في حرب شاملة مع اليابان، ولكن الانقسام الداخلي بين قوات تشانج كاي شيك وبين الشيوعيين الصينيين ، أدى إلى إضعاف الطرفين، وتدعيم الاستعمار الياباني في أصقاع الصين. (١٨)

الحرب الصينية اليابانية ١٩٣٧ - ١٩٤٥

لقد تحولت العلاقات المتوترة بين الصين واليابان إلى حرب شاملة في يوليو ١٩٣٧، واستطاعت اليابان على مدى عام ونصف السيطرة على كل سواحل الصين، والخيول دون تلقيها أية مساعدات من الخارج، وتخليد المصالح البريطانية في شنغهاي وهونغ كونج، وكان رد الفعل الدولي ضعيفا، واستمرت اليابان في حربها ضد الصين، وتميزت المرحلة من هذه الحرب التي امتدت من يوليو ١٩٣٧ حتى أكتوبر ١٩٣٨ بسرعة التحركات العسكرية اليابانية للاستيلاء على مدن الصين الشمالية، كما تم الاستيلاء على شنغهاي ونانكينج وكانتون وهانكاو. أما المرحلة الثانية التي بدأت في أكتوبر عام ١٩٣٨، فألها تميزت عن سابقتها في أنها تحولت إلى حرب عصابات صينية ضد القوات اليابانية، مما كبد القوات اليابانية خسائر فادحة، وبالتالي ركزت اليابان في المرحلة الثانية لتدعيم وجودها فيما سبق واستولت عليه من المدن والأراضي الصينية.

وفي نفس الوقت اتبعت اليابان أسلوبها آخر في الصين، وهو الحكم غير المباشر، أى تشكيل حكومة صينية تابعة لها في المناطق التي استولت عليها لتتخذ منها بديلا ومنافسا للحكومة الكومنتانج بقيادة تشانج كاي تشيك. (١٩)

وبدا أن الصين كانت متحدة في الكفاح ضد اليابانيين، ولكن ومع هذا الشكل من التضامن الوطني كانت هناك خلافات واسعة بين الشيوعيين وبين الآخرين. وابتداء من مارس ١٩٣٩ وقعت صدامات بين القوات الوطنية الصينية والشيوعيين، وفي عام ١٩٤١ بات الصراع بين الطرفين أكثر خطورة، فالحكومة الصينية - في منطقتها - قمعت بعض الجماعات الشيوعية، في حين هاجم الشيوعيون رفض الحكومة تسليم الشعب للدفاع عن الأمة، وأدت هذه الاتهامات المتبادلة إلى اصطدامات بين الحكومة الصينية والقوات الشيوعية الصينية. وهكذا كان الطرفان يحاربان القوات اليابانية، مع حدوث صدامات داخلية بين القوتين الوطنيتين، وفشلت الاتصالات لتحقيق وحدة الأمة الصينية في مواجهة الغزو الياباني وذلك في عامي ١٩٤٣، ١٩٤٤، وطوال فترة الحرب العالمية ظل هذا الصراع الداخلي دون حل. إلا أن الشيوعيين حققوا توسعا كبيرا في قواتهم العسكرية، وفي أبريل ١٩٤٥ وصلت قوة الجيش الأحمر الشيوعي الصيني إلى ٩١٠,٠٠٠ جندي وهذا الرقم لا يشمل فرق الدفاع الشعبي التي تزيد عن مليوني رجل. وفي نهاية تلك السنة وصل عدد أعضاء الحزب الشيوعي إلى بضعة ملايين من الصينيين ويرجع السبب الرئيسي لهذا النجاح الشيوعي إلى قدرة الحزب الشيوعي الصيني على كسب مساندة وتأييد جماهير الفلاحين في شمال الصين، وذلك بتقديم بعض الإصلاحات الثورية لصالحهم. وبهذه الطريقة كسب الشيوعيون ثقة الفلاحين، وزادوا بالتالي من قوة الحزب الشيوعي في الصين.

الصين والحرب العالمية الثانية

لقد كان للصين دور مهم في الحرب العالمية الثانية، فقد أثر الهجوم الياباني على بيرل هاربور على الحرب في الصين بشكل واضح، فالإعلان البريطاني الأمريكي بالحرب ضد اليابان حول الحرب في آسيا إلى جزء من الحرب العالمية الثانية، وابتداء من عام ١٩٤٢ إلى نهاية الحرب ازدادت المساعدات الأمريكية للصين خاصة المساعدات الحربية.

والصين، ورغم أن النصف الشرقي من أراضيها كان تحت الاحتلال الياباني، فألما بسبب استمرارها في الحرب، لعبت دورا مهما في دبلوماسية الحرب وقد تجلّى هذا الدور بحضور تشانج كاي تشيك لمؤتمر القاهرة (١٩٤٣) الذي شارك فيه الرئيس الأمريكي روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل. وقد توصل المؤتمر إلى اتفاق حول استعادة الصين لكل أراضيها المحتلة. وفي عام ١٩٤٣ أيضا اتفقت الولايات المتحدة وبريطانيا على إلغاء الامتيازات الأجنبية في الصين.

وباستسلام اليابان في ١٤/٨/١٩٤٥، وبعد مجيء ستوفيت. ومن الحرب اليابانية الصينية، قاد تشانج بلاده إلى النصر النهائي، وعمت البلاد مظاهر الانتهاج بنهاية الحرب... ولكن داخليا كانت هناك مشكلة لم تحل بعد، وهى الحزب الشيوعي، ومحاولة إعداد الموقف جيدا للاستيلاء على السلطة، والحقيقة أن ماوتسى تونج انتظر طيلة الحرب، وليعد نفسه وحزبه الشيوعي للسيطرة على البلاد. (٥٠)

الحرب الأهلية (١٩٤٥ - ١٩٤٩)

جاء انهيار اليابان في عام ١٩٤٥ في وقت أسرع مما كان متوقعا. وبعد عام ١٩٤٥ بدأ تنافس شرس بين الحزب الوطني الصيني والحزب الشيوعي الصيني

في سبيل السيطرة على الأراضي المحتلة، والحصول على كميات كبيرة من أسلحة العدو الياباني.

وكانت منشوريا تمثل وضعاً متفجعراً، فالتقدم السوفيتي لم يتوقف بالاستسلام الياباني في ١٤/٨/١٩٤٥، كما أنه لم يتوقف عند الحدود الجغرافية لمنشوريا، كما تم تسليم كميات كبيرة من أسلحة وعتاد اليابانيين إلى قوات الحزب الشيوعي الصيني. وحاول تشيانج كاي تشيك - زعيم الحزب الوطني الصيني - ثلاث مرات دعوة ماو تسي تونج - زعيم الحزب الشيوعي الصيني - إلى اجتماع بينهما لحسم القضايا الخاصة بالوطن، وفي النهاية وافق ماو على الاجتماع بتشيانج. وقد تناول الاجتماع الذي عقد بين الزعيمين قضايا مثل الدعوة إلى مؤتمر لمناقشة المسائل الوطنية، ومحاولة تشكيل حكومة ائتلافية، ووضع دستور للبلاد. إلا أن الأمر انتهى بفشل هذا الاجتماع لتباين المواقف بين الطرفين.

وفي مايو ١٩٤٦، وبعد انسحاب الروس من منشوريا، وقعت منشوريا كلها تحت سيطرة القوات الشيوعية الصينية، مما أدى إلى الحرب الأهلية في الصين بين الوطنيين والشيوعيين.

وفي المرحلة المبكرة من الحرب الأهلية، أحرزت القوات الصينية الحكومية العديد من الانتصارات، وفي مارس ١٩٤٧ سقطت ينان العاصمة الشيوعية تحت سيطرة القوات الحكومية. ولكن في النصف الثاني من عام ١٩٤٧ بدأ الشيوعيون هجومهم الشامل، وسجلوا العديد من الانتصارات في هونان وشمال هوبي، ووقعت خسائر فادحة لدى القوات الحكومية، ومع ذلك قرر تشانج مواصلة الحرب حتى النهاية.

ثم شرعت القوات الشيوعية تتقدم نحو بكين في ديسمبر ١٩٤٨، وسرعان ما استسلمت الحاميات العسكرية في بكين في ١٥، ٢٣ يناير ١٩٤٩. وقد

فقدت الحكومة الوطنية ما بين سبتمبر ١٩٤٨ ويناير ١٩٤٩ حوالي مليون ونصف مليون رجل، وهكذا انفارت القوات الحكومية. وفي ٢١ أكتوبر ١٩٤٩ اضطر تشانج كاي تشيك إلى الاستقالة، وأصبح تشونج جن رئيساً مؤقتاً للدولة المنهارة، وقد دخل تشونج في مفاوضات مع الشيوعيين دون جدوى، لأن النصر النهائي الشيوعي قد أصبح مؤكداً. وهكذا وفي ٢١ أبريل ١٩٤٩ عبرت القوات الشيوعية نهر البانجتي، وبعد ثلاثة أيام احتلت نانكينج، ولجأت الحكومة الوطنية إلى كانتون، ولكن التقدم الشيوعي في كل الجهات أدى إلى إعلان ماوتسي تونغ تأسيس جمهورية الصين الشيوعية في أول أكتوبر ١٩٤٩. (٥١)

وسارت الصين قدماً في طريق الشيوعية، وليس هنا مجال لسرد أحداث تطور الشيوعي في الصين، ولكن وبعد البيرسترويكا التي قدمها ميخائيل جورباتشوف لإصلاح الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٨٥، وبعد التحول التاريخي للاتحاد السوفيتي من جمهورية مترامية الأطراف تضم في داخلها العديد من قوميات الأخرى، إلى العديد من الجمهوريات المستقلة، وبعد ظهور روسيا الاتحادية التي تحاول الانتقال مرة أخرى من عالم الاحتكارات والقطاع العام إلى عالم الخصخصة واقتصاديات السوق، فإن الصين أيضاً وبعد انقراض الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية اعتباراً من عام ١٩٩١ تسير على نفس المنوال، أي تحاول التحول الهادئ من العالم الاشتراكي إلى العالم الرأسمالي، وتبذل الحكومات الصينية المتعاقبة جهوداً جبارة على طريق التنمية الشاملة، حتى يمكن تعويض السنوات التي عاشتها الصين في ظل الشيوعية، والقفز وبيات إلى الأمام، حتى تكون ضمن الدول الكبرى المتطورة في عالمنا المعاصر.

الفصل الرابع

تطور تاريخ اليا باه الحديث والمعاصر

تمهيد

ينتمي اليابانيون إلى العنصر المغولي، وتوضح الدراسات الأثرية أن المغوليين القدماء جاءوا إلى الجزر اليابانية عن طريق كوريا، وعند مجيء المغول كانت المنطقة مأهولة من قبل جماعات الأينو الذين يعتبرهم بعض الباحثين مجموعة ترجع في أصولها إلى جذور قوقازية ويبدو أن الجنس الياباني مزيج من ثلاثة عناصر.. الأينو والمغول الآتين من كوريا، وعنصر قادم من جنوب شرق آسيا، تسرب إلى البلاد من جزر الجنوب.

ومع بداية القرن السادس م استطاعت أسرة ياماتو الامبراطورية أن تتدخل في الخلافات الكورية الداخلية، مما أدى إلى الاتصال بالمهارات والأفكار الصينية التي كانت سائدة في كوريا، وأدى هذا إلى تحول عميق في الحياة اليابانية، فقد دخلت البوذية والكنفوشيوسية، والطب وعلم الفلك وهندسة البناء الصين في القرنين السادس والسابع م، وخاصة أثناء عصر أسرة تانج الصينية (٦١٨-٩٠٧ م).

ومن أهم أحداث تلك الفترة هي ظهور الإصلاحات التي تعرفت بالإصلاحات تايبكا في سنة ٦٤٦ م، والتي نصت على فرض الضرائب، والتوسع في الجهاز الحكومي، ومع هذا ظلت سلطات حكام الأقاليم قائمة، وعلى أية حال لابد أن نشير إلى أن تلك الإصلاحات قد تمت في عهد أسرة نكاتومي، والتي جعلت مدينة نارا عاصمة لها.

وبعد فترة من الهدوء النسبي، ظهرت مخاطر جديدة، هددت السلطة الامبراطورية، فأفراد أسرة فوجيوارا، استطاعوا عن طريق مضاهرة الأباطرة أن يسيطروا على البلاد، وفي عام ٨٥٧ م أصبح فوجيوارا يوشيفوسا كبيرا للوزراء، وفي السنة التالية استطاع أن يضع حفيده الطفل سيوا على العرش، وتولى هو نفسه منصب الوصي على العرش.^(٥٦) أما العاصمة فقد نقلت إلى مدينة هيان

كيو، والتي اتخذت اسم كيوتو سنة ٧٩٤، وظلت عاصمة طيلة أربعة قرون (٧٩٤-١١٩٢) حتى نقلت من جديد إلى مدينة إيدو التي تعرف اليوم باسم طوكيو.

وقد تميز المجتمع الياباني في هذه الفترة بأنه مجتمع إقطاعي، وقد تطور نظام الإقطاع من خلال ممارسة رؤساء العشائر للملكية الأرض، وللمحافظة على هذه الامتيازات شكل زعماء العشائر حرسا مسلحا لحماية ممتلكاتهم، واستطاع هذا الحرس أن يؤسس فئة المحاربين (الساموراي) التي تعد فئة متميزة في مجتمع اليابان الإقطاعي. وقد ترتب على ذلك حرمان الحكومة المركزية من إيرادات الإقطاعيات وفي القرن الحادي عشر م أحرقت حاشية الامبراطور مدى السيطرة الإقطاعيين، فاستعانت ببعض الأسر الكبيرة ضد باقي رجال الإقطاع، مما أدت إلى حرب أهلية بالبلاد، واستيلاء أسرة ميناموتو على السلطة (١١٨٥-١٣٩٢) وأصبح مركز الحاكم العسكري أو الشوجن في كياكورا في إقليم كانتو على بعد ٢٥٠ ميلا شرق كيوتو. وهكذا تحولت السلطة إلى أمراء الإقطاع، في حين غدا حكم الامبراطور إسميا فقط.

وفي سنة ١٣٣٣ حاول الامبراطور جو - دايجو (١٣١٨-١٣٣٩) استعادة السلطة الامبراطورية، ولكن وحلفاء من قواته المسلحة انشقت عليه ونصبت على العرش في كيوتو عضوا آخر من العائلة الامبراطورية، ومنح نفسه لقب الشوجن.

أما مجموعات الإقطاعيين، فقد دخلت في صراعات بين بعضها البعض، وتمزقت البلاد تماما في حروب غير نظامية، واستمر الحال هكذا حتى القرن السادس عشر. (٥٢)

اليابان وبدايات التاريخ الحديث

أشرفت اليابان في الفترة المحصورة بين عامي ١٥٥٠ و ١٦٠٠ على خال تضارع القومى الاقطاعية. وتحمضت تلك القومى عن زعيم أوتسى عبقرية عسكرية هو أودا نوبوناغا ١٥٣٤-١٥٨٢، فاستطاع في الوقت المناسب ان يكبح جماح الديمونات (نبلاء الاقطاع باليابان) وأن يتولى السلطة العليا باليابان. وفي تلك الفترة الحرجة من تاريخ اليابان، وصل البرتغاليون ومعههم أسلحتهم المتطورة، ورحب ديمونات الغرب الذين كانوا يقاتلون من أجل استقلالهم المحلي بمؤلاء الدخلاء، وكان الأمل يداعب كثيرين من الرؤساء الاقطاعيين على الساحل الغربى في أن يعظم شأنهم بمساعدة البرتغاليين. ومن حسن حظ اليابان أن البرتغال لم يعد لها عند منتصف القرن المكناسة ولا المركز الذى يتيح لها أن تمارس نفوذاً سياسياً فعالاً في المنطقة، أما الخطر الحقيقى فكان مصدره البعثات التنصيرية، وكاد التشجيع الذى لقيه هذه البعثات في عهد نوبوناغا أن يجلب على الدولة الكوارث، لولا أن قبض الله للبلاد زعيماً عسكرياً خلفاً له، جمع إلى الحكمة بعد النظر، فلم يكن هيدىوشى بالقائد العادى، بل كان وطنياً عظيماً وسياسياً مقتدراً، فحرص في البداية شأن نوبوناغا على المحافظة على حسن العلاقة بينه وبين البرتغاليين ومنصريهم، بيد أنه كان يرقب الأمور ببصيرة شاذة، فلاحظ أن البرتغاليين انزلوا المدفعية إلى البر لحماية المنطقة التى كان يعيش فيها من أدخلهم المنصرون إلى المسيحية. وعندما زار احدى السفن البرتغالية ليقابل أحد رجال التنصير لاحظ أن السفينة كانت ثقيلة التسليح وأن كانت صغيرة الحجم. وكان متنبهاً تماماً إلى اهتمام ديمونات الغرب بأسلحة البرتغاليين وعتادهم الحرى. فضلاً عن محاولتهم تقوية أنفسهم بعقد أواصر الصداقة مع الأجانب، وتصرف هيدىوشى بحزم حتى إذا وافى سنة ١٥٨٧ حظر على المنصرين القيام بأى نشاط في كل أرجاء اليابان. (٢١)

وبعد هيدويشى تولى القيادة أياسو توكوجاوا في سنة ١٦٠٠، وبعد ثلاث سنوات قلد وظيفة شيناي شوجن أى (القائد العظيم قاهر البرابرة) واستمر هذا المنصب في أسرة توكوجاوا مائتين وخمسة وستين عاما، وهي تمارس بالأمر الواقع السلطة العامة على الامبراطورية اليابانية بأكملها ولكنها كانت تحافظ على شكلية اللقب للامبراطور وهيبته على حين كان الشوجن هو الحاكم الفعلي للبلاد. وكان على الديمونات أن يقسموا بين الولاء لكل شوجن جديد. ومع أن شوجنية أسرة توكوجاوا قد استطاعت بهذه الوسيلة أن تسترد السلطة المركزية وتؤسس دكتاتورية دامت أكثر من قرنين ونصف من الزمان، فإن طابع حكمها الاقطاعي وعدم تمكنها من اخضاع كافة النبلاء جعل اليابان عرضة للتأمر الخارجي. وكانت عائلة الشوجن وهي البيضة والحذرة في كل ما يتصل بدوام حكمها ونظامها، تدرك الخطر المخيف بالنظام الذي أسسنه، وكانت النتيجة المنطقية لذلك هي صدور قرار بمنع جميع أنواع الاتصال بالأجانب، ما لم يكن تحت الرقابة الرسمية. لذلك نجد أن سياسة الاعتزال التي فرضتها أسرة الشوجن منذ عام ١٦٣٧ كان لها ناحيتان داخلية وخارجية، وكان المقصود بها ضمان أمن النظام القائم من ثورات النبلاء الأقوياء الذين قد يجرأون لولا تلك السياسة على عقد المحادثات مع الدول الأجنبية، أو يحصلون على الأقل على أسلحة وعتاد أقوى وأفضل. وكانت النية متجهة من وجهة نظر السياسة الخارجية إلى منع كل اتصال مباشر بين الأجانب والشعب، وإلى تحديد جميع العلاقات التي لا يمكن تجنبها بقصرها على الممثل المفوض عن الشوجن بمبناء معين. لقد كان اليابانيون على علم تام بنشاط البرتغاليين والهولنديين والأسبان والإنجليز بجزائر المحيط الهادي، ولقد لفتتهم تلك الخطوب بضرورة معالجة أمر الأجانب بحزم، وحرمانهم من كل فرصة تمكنهم من الحصول على موطئ قدم بالأراضي اليابانية.

وفي عام ١٦١٥ أرسل اليابانيون جاسوسا إلى المناطق الجنوبية لكي يقدم التقارير عن نشاط الأوربيين هناك. وقد ازداد اهتمامهم بأمر هذا التجسس لما سمعوه من أنصار في عام ١٦٢٢ عن خطة إسبانية لغزو اليابان ذلك أن إسبانيا دعمت من قوتها بالقليبين وخصصت هناك قوة بحرية ضخمة، وكانت اليابان هي المنطقة الوحيدة في المحيط الهادى التي تستطيع إسبانيا مهاجمتها دون الاحتكاك بادعاءات البرتغال أو توزيع اليابا لأراضى العالم، ذلك التوزيع الذى كانت مصلحتها تقتضيها أن تدعمه وتحافظ عليه. ولكن رد الفعل الذى قامت به الحكومة اليابانية كان قويا وحاسما، فأمرت بإبعاد الأسبان جميعا من بلاد اليابان، ثم وضعت السياسة الحازمة المتعلقة بالقضاء على اليابانيين المسيحيين موضع التنفيذ ولم تلبث البلاد حتى أغلقت أبوابها في بضع سنين في وجه جميع الأمم الأوربية على السواء^(٥٥).

اليابان وحضارة الغرب في النصف الثانى من القرن التاسع عشر

أدى ضم كاليفورنيا في سنة ١٨٤٤ إلى إدخال الولايات المتحدة إلى شاطئ الباسفيكى، وهناك تقرير للجنة الشؤون البحرية بالكونغرس يمتوى على ما نصه: "إن ضم كاليفورنيا يتيح تسهيلات للتجارة مع الصين لاجوز إهمالها" وعند منتصف القرن رأت السلطات الأمريكية أنه قد آن الأوان لفتح الباب قسرا، ذلك الباب الذى ظل زما طويلا جدا مغلقا في وجه الغربيين، وكانت اليابان دون غيرها من الدول الشرقية أعلم بنوايا الدول الغربية، كما كانت أصح تقديرا لقوى تلك الدول وكانت هزيمة الصين أمام بريطانيا حافزا عظيما ففتح أعينهم بوجه خاص على ذلك الخطر. فقاموا في المدة التي أعقبت معاهدة نانكينج (١٨٤٣) بتقوية دفاع الجزر وضمان سلامة الاستقلال القومى. وكان اليابانيون يعرفون أنه لا بد أن يأتى يوم تبذل فيه الجهود لفتح باب العزقات معهم. والواقع

أن ملك هولنده لم يأل جهدا في رسائل عديدة شخصية بعث بها إلى الشوجن: يحاول أن يقنعه فيها بصواب فتح أبواب البلاد للتجارة الأجنبية.

وفي ٨ يوليو ١٨٥٣ وصل الأميرال الأمريكي برى إلى ميناء يوارجا على رأس أربع يوارج حربية، وكان برى يحمل معه خطابا من الرئيس فيلمسور. وكانت الرسالة موجهة إلى الشوجن تحمل في ثناياها كل تعبير عن النيات الودية ولكنها كانت تحمل تهديدا مقنعا بأن الأميرال سيعود في العام التالي مع قوة أعظم. وكان للتهديد أثر قوى جدا، ذلك أن اليابانيين كانوا يعرفون ضعفهم، كما أنهم تعلموا أيضا دروس الحرب الصينية، لذلك فإنه عندما عاد برى بقوة أعظم حصل على الرد الموافق الذي توقعه، وعقدت معاهدة في ٣١ مارس ١٨٥٤ فتحت بمقتضاها ميناءان أبوهما أمام التجارة الأمريكية، كما صرح فيها أيضا بقيام التمثيل القنصلى. وسارعت بريطانيا والروسيا وهولنده إلى تعقب خطوات الولايات المتحدة على عجل، ووقعت معاهدات مماثلة، وحصلت على امتيازات مماثلة.

ولكن الشوجن أضعف مركزه بهذه الاتفاقية، ذلك أن التساهل كانوا يعارضون في فتح أبواب البلاد للأجنى. وكان بلاط الامبراطور معارضا فيها أيضا، وفي ذلك الوقت خرج مات الشوجن الذى تمت مقوضات المعاهدات باسمه واسم سلطته دون أن يعقب وريثا ذكر. ولكن قبل أن يتم حل الورطة التى سببتها وفاة الشوجن، وصل المبعوث الأمريكى الأول إلى اليابان، وطالب بتوسيع المعاهدة التى عقدها برى. ولم تكن الشوجنية في مركز يسمح لها بالمقاومة، ولذا فإن المعاهدة التى عقدت في بجازاكي احتوت على شروط التعهد بإمكان الأمريكين بميناءى المعاهدة، وقبول مبدأ تقاضى الأمريكين أمام محاكمهم. ووصل البريطانيون والفرنسيون إلى المسرح فور ذلك، وطالبوا بعقد معاهدات مماثلة لتلك التى حصلت بها هاتان الدولتان والدول الأخرى التى حذت حذوها

على الحق في إنشاء التمثيل الدبلوماسي والقنصلي، فضلا عن حق التقاضي امام المحاكم الأجنبية.

وعند ذلك الحد وضعت الشوجنية في مركز خرج جدا، وذلك أن الشعور ضد الاغانب وضد الشوجن كان يزداد شدة في عاصمة البلاد. وأظهر الامبراطور عنادا غير متوقع في الامتناع عن الموافقة، وترددت في كل أرجاء اليابان صيحة "توقير العرش وطرده الأجنبي" ولم يوافق الامبراطور على التصديق على المعاهدات. وبلغ التهيج بالرأى العام بين عامي ١٨٥٧ و ١٨٦٣ ان كسر الاعتداء على الاغانب، وعندئذ انهار النظام الشوجني، تاركا الطريق مفتوحا أمام إعادة السلطة للعرش. والواقع أن ما حدث كان أقرب شيء إلى انقلاب سياسي استطاع بإعادته السلطان للامبراطور أن يمنح القوى الجديدة قدرا أكبر من حرية العمل ومصدرا للسلطة لا سبيل إلى مهاجمته، يمكن من ورائه لمن كانوا يخططون خطة اليابان الجديدة أن يتصرفوا تصرفا حاسم الأثر. وكان زعماء العشائر الذين حلوا محل الشوجن يتصفون بتلك المزاج، فقد استطاعوا باتخاذ خطوات رائدها الحذر والتخطيط المقترن بالعناية أن يخطموا السلاسل التي وضعت في عنق اليابان. ولم يكن الموقف باليابان مختلفا من الناحية النظرية عن نظيره بالصين بعد معاهدة نانكينج. فقد أسست المستعمرات الأجنبية بالمدن، كما عينت بعض الموانئ بحكم المعاهدات لتكون مفتوحة للتجارة الأجنبية. كما أنه حدث في نجازاكي أن البريطانيين استخدموا القوة للحصول على تسهيلات ضرورية للملاحة، وإدخال السفن أحواض الإصلاح في الداخل. كما أن التجاليات الأجنبية أخذت تغي النفس بأن الحرب الأهلية التي بدأت في الاشتغال آنذاك باليابان، وأن المياري قوة الشوجن لابد أن توقع اليابان في نفس النموذج العام الذي آلت اليه الدول الآسيوية.

ولكن عودة سلطان الامبراطور، والسياسات التي اتبعها زعماء اليابان في السنوات الخمس والعشرين من ١٨٦٨ - ١٨٩٣ أثارت مع ذلك نتيجة غير متوقعة هي تعطيم أغلال اليابان تحطيمًا تامًا. فبعد استرداد الامبراطور سلطانه بفترة قصيرة، أصدر مرسومًا في ٢٦ مارس ١٨٦٨ أعلن فيه لشعبه أنه قد تقرر إنشاء للعلاقات مع الدول الأجنبية وأن البلاط الامبراطوري سيتولى توجيه تلك العلاقات. وحذر الامبراطور من أن كل "من يقدم مستقبلا على قتل الأجانب أو ارتكاب أى عمل من أعمال العنف معهم لن يكون عاصيا في تصرفه لأوامر جلالة الخاصة فحسب، بل يكون سببا في جلب الويلات القومية، وسيكون أيضا مرتكبا لجرم ذريع، هو إنزال الأذى بالكرامة القومية والاستقامة القومية في نظر دول المعاهدات التي صرح جلالة بأنه مرتبط بها بروابط الصداقة".

وواضح أن اليابان تعمدت قصدا أن تخطو خطوة المحافظة على العلاقات الودية مع الأجانب، وأنها كانت منذ البداية مشغولة بالخاطر قلقا على الكرامة الوطنية. وقد لاحظ كثير من المراقبين الأجانب حتى في ذلك الزمان الفرق بين طريقة تصرف الصين ازاء الغرب وتصرف اليابان.. كتب اللورد إيجلن يقول: "لاشك أن هناك نتيجة واحدة للفرق بين عادات الصينيين وطرائق إحساسهم وبين ما لليابانيين من عادات وطرائق، هي أنه بينما الصينيون يتأخرون بإطراء سيظلون في أغلب الظن يفعلون ذلك حتى تتمزق امبراطوريتهم إربسا، فإن اليابانيين إذا لم يكونوا في حالة تقدم مطرد بالفعل، فهم في حال تسمح لهم بالاستفادة من تلك التحسينات والاختراعات التي ينظر إليها الصينيون نظرة الاحتقار والسخرية، والتي سيتمكن بها اليابانيون عندما يعرفوها معرفة أحسن أن يقتبسوا من هذه التحسينات ويستخدموها".

وليس لمة شك في أن اليابانيين كانوا يقظين كل اليقظة، كما كانوا أكثر دراية بأحوال أوروبا من الصينيين مدة طويلة من الزمان، وكانوا يقدرون ضعفهم

العسكري حق قدره. وكما أنهم حللوا منذ زمن مكر أسباب ذلك الضعف، ونسبوه إلى التأخر في المهارة العلمية، وضعف تأثير التنظيم السياسى، فنصبوا أنفسهم لاصلاح هذين العيبين، ولهذا العناية رجوا بالمساعدات الغربية وأقبلوا بكل أفئدتهم مكرسين أنفسهم لإحراز المعلومات والتطبيقات الفنية الغربية، بل لفهم الأساس العلمى الضرورى للتقدم المادى أيضا، وبغض النظر عن هذا الموقف، فإن من الأخطاء التى وقع فيها الكتاب الغربيون ، وبخاصة الفترة السابقة على عام ١٩٣٠ زعمهم بأن اليابان راعتها حضارة الغرب، فالواقع أنه بينما كان زعماء اليابان يقتبسون مجد وحمة شديدة جميع التنظيمات البحرية وغيرها، وينشئون دولة على أسس عصرية بحتة، فإنهم كانوا فى الحين نفسه يتخذون كل احتياط للتحقق من عدم تغلغل الأخطار الغربية ببلاد اليابان.

ومع ذلك فإن اليابان عندما اعترفت لثانيا أن تربط امبراطوريتها بالدول الأخرى، فإنها ارتضت لنفسها إلى حين القيود والحدود المفروضة على سيادتها، وبدأت مسيرة جديدة فى الإصلاح هدفها فى المقام الأول إقناع الدول أن اليابانيين لا يقلون جودة معدن عن الغربيين، وأنهم لم يعودوا متأخرين، كما أقبلوا من الناحية الثانية على تشكيل قوات مسلحة قادرة عند أول فرصة على اظهار فعاليتها. واهتم بالأمر الأول مصلحو حقبة "الميجى" الذين كانوا يعملون مسترشدين بالمبعوثين الذين تعلموا فى بلاد الغرب ثم عادوا إلى اليابان. ومعلوم أن الذى عرف خطورة الناحية الثانية (تشكيل القوات المسلحة الفاسدة) هم الشواجن أنفسهم الذين شرعوا بمشورة الأمريكين والمولنديين فى تنظيم البحرية، وشرعوا بمشورة الفرنسيين فى تنظيم جيشهم. وهكذا حدث فى ١٨ أبريل ١٨٦٨، أى بعد عودة سلطة الملكية ببضعة أشهر أن الامبراطور ميجى استطاع أن يستعرض البحرية اليابانية التى كانت تتكون آنذاك من ست سفن يقودها الأميرال سيون توميا.

وكانت باليابان رغبة أصيلة في الحصول على معارف الغرب وعلومه. وأن الجهود المخلصة التي بذلتها جمعية الريحاكوشا - وهي جماعة من العلماء الذين درسوا في هولندا وظلوا محافظين بمناخ فائقة وجهد خارق على الاهتمام بالعلوم الغربية - والمجموعة الضخمة من المعلومات التي جمعوها ونشروها على الناس، لتظهر ساجلي بيان أنه كان بين الباحثين اليابانيين شطر كبير لا يحمل في نفسه - على عكس الصينيين - أى كره أو تحزب ضد العلم الأوربي. كما أنهم ألتبسوا منذ زمن مبكر إلى الإيمان بأن الحرص على كيانهم القومي، كان يستلزم استثمار العلوم الأوربية، وتجميع المصادر التاريخية الموثوق بها. على أن جمعية الريحاكوشا استطاعت في ميادين رسم الخرائط والجغرافيا والفنون العسكرية والطب وعلم النبات والفلك أن تجمع وتشيع بين الناس طائفة جمة من المعلومات^(٢٦).

مرسوم القسم:

لذا فإن الامبراطور عندما أمر رعاياه في مرسوم القسم أن يطلبوا المعرفة من كل مكان، تدفقت في البلاد حماسة لتحصيل المعارف الغربية كانت حديرة بالاعجاب حقاً. وكان مرسوم القسم في عام ١٨٦٨ بداية تغيير عظيم، وهو وثيقة قصيرة من خمس فقرات نصها كما يلي:

- ١- تشكيل مجلس موسع تأكيداً لأهمية الرأى العام.
- ٢- تقوم كل طبقات الشعب ببذل جهود دائمة لصالح الأمة كلها.
- ٣- سيبدل كل الأفراد قصارى جهدهم للوصول إلى غاياتهم المشروعة.
- ٤- وجوب التخلي عن الأعراف والعادات السخيفة.
- ٥ - طلب المعرفة من كل صقع من أصقاع العالم. وبذلك يتقوى أساس دولتنا الامبراطورية.

وواضح من العبارة الختامية "تقوية أساس النظام الإمبراطورى انما تقدم مفتاح كل هذا التطور التاريخى البارز. ونصب رجال حقبة الميحي أنفسهم لأداء

تلك المهمة بحكمة وحذر تسترعى الاعجاب حقاً. فدعى الخيرة الفنيون من كل نوع ووضعو موضع الإكرام والترحاب، ودعى الممتازون من الرجال في ميادين كثيرة للعلم ليعملوا مستشارين أو معلمين أو موظفين بالمصالح والادارات. وكان بالحكومة أكثر من خمسة آلاف موظف أجنبي، والشئ الذى كانت اليابان تحاول جادة أن تتعلمه من هؤلاء الخيرة ذوى الجنسيات المختلفة هو كيف تصبح أمة قوية قادرة على أن تدعى لنفسها المساواة مع أقوى الأمم في العالم، لذا فإن الأصول التربوية والتنظيمات الاجتماعية لم تكن تقل بحال عن الفنون العسكرية ولا التنظيمات الفنية في العلوم. ثم أن الانتاج الصناعى وتحسين وسائل الزراعة، والأسس الآلية التى تقوم عليها التجارة الدولية والمواصلات وصناعة السفن العصرية كانت كلها في غاية الأهمية. على أن اليابانيين ادركوا أيضاً أنه لا يتكلم من قوانين عصرية ومحاكم حديثة ونظام سياسى يتمشى مع الظروف العصرية، فجردوا أنفسهم لخلق ذلك كله، ولم ينقض جيل واحد حتى اصطفت اليابان بالطابع العصرى في ظاهرها. وكان الغرض الأول هو اقناع الدول الغربية أن اليابان تقترب من مستواهم، وأن اليابانيين أصبحوا أوروبيين في كل شئ عدا لون البشرة.

وضع الدستور:

وللحصول على تعديل المعاهدات، كان اليابانيون مستعدين في قرارة أنفسهم أن يكابدوا الشئ الكثير، وبلغ بهم الأمر أن صاغوا دستوراً يحاول أن يوفق بين الامبراطور المقدس الذى لا يمكن المساس به وبين نظام برلمانى حديث. ثم حتى إذا أعلن الدستور في ١٨٨٩ شعروا بأنه قد صار لهم الحق في أن يعدلوا في مصاف الأمم المتقدمة. وكانت لاتزال لديهم بعض الشكوك تجاه النصرانية، ولكن إذا كان لمن تعديل المعاهدات - كما قرر ذلك المبعوثون اليابانيون في الخارج - هو إباحة الحرية لنشاط البعثات التبشيرية المسيحية فإن الامبراطورية

كان يسرها أن تدخل في صلب الدستور فقرة تنص على أن قانون اليابان يسمح بالتسامح الديني التام.

والواقع أن النظام السياسي لليابان بدأ هو أيضا يتخذ شكلا مغايرا، ذلك أن القضاء على ثورة ساتسوما (١٨٧٧) قد أزال من الوجود لحايات حكومات العشائر الاقطاعية، كما اتخذت الخطوات في سبيل النظم التمثيلية. ففي عام ١٨٨١ أصدر الامبراطور مرسوما يعد بتأسيس برلمان على النمط الغربي من شأنه أن يكون حجر الأساس في النظام الجديد. فبعد أن درس إيتوهيزو يومى النظم السياسية في أهم الدول دراسة مقارنة، اقترح الخطوات التي يمكن بها على مراحل تدريجية تأسيس جهاز الحكومة البرلمانية في ظل الملكية باليابان. وكانت أولى الخطوات في هذا الاتجاه في عام ١٨٨٥ يوم تشكلت وزارة لتولى إدارة الحكم في البلاد. وعقب ذلك إنشاء مجلس للبلاط مكون من الشخصيات المتميزة والسياسيين ذوي الخبرة قائم على غرار المجلس البريطاني، وأخيرا أعلن دستور في عام ١٨٨٩ وسط مظاهر الاحتفال اللائقة، وهو يعلن أن اليابان قد اتخذت مقعدها بين الدول المتحضرة.

ولم يتخذ هذا الدستور من أى دستور آخر معين نموذجا له، وإن كان تأثير إنجلترا وألمانيا ظاهرا في كثير من مواده. ولكن هناك اعتبارين تسلطا على إيتو ومستشاريه، وكان أول هذين الاعتبارين الاحتفاظ بسلطة العرش سليمة غير منقوصة، وكان الثانى هو غرضهم المباشر الذى يرمون من وراءه إلى اقناع العالم بأن على رأس اليابان حكومة عصرية متحررة ودستورية حقة. ولم تكن الديمقراطية مسألة ذات أهمية حيوية في سنة ١٨٨٩. وكانت أقوى دول أوروبا في ذلك الوقت الامبراطورية الألمانية برئاسة بسمارك، وهى دولة لم تدع قط أن لها دستورا ديمقراطيا، كما أنها كانت تقوم قبل كل شئ على الحكم الاستبدادى بل كان حق التصويت مقيدا في إنجلترا نفسها وهى موطن الديمقراطية، فالشئ

الذى كان يلزم اليابان آنذاك كان بناء دستور لا تحف موازينته عند مقارنته بدساتير الدول الملكية الكبرى بأوروبا. وعلى أن التوفيق بين مركز الامبراطور وبين نظام الحكم البرلماني كان أمرا أصعب، ولكن ليس ومن عملوا معه لم يجدوا في ذلك الوضع تناقضا. وكانت أولى مواد الدستور تنص على أن "الامبراطورية ياتيا وبحكمها سلسلة من الأباطرة لا تنقطع إلى أبد الأبدن" وتنص المادة الثانية على أن "الامبراطور مقدس ولا يجوز المساس به". وعلق آيتو نفسه على تلك الفقرات بما نصه "أن العرش المقدس تأسس يوم شق الله السموات عن الأرض والامبراطور شليل السموات وهو إلهي ومقدس ويسمو فوق كل وعاباه".

وبدئى أن امبراطورا الهيا، لا إلهى وبحكم فقط، بل لا يمكن أن تقوم إلى حواره مسئولية برلمانية. ولذا وجب أن تكون الوزارة مسئولة أمام العرش. وكان المقصود من الداييت أن يمكن الامبراطور من تحقيق رغبات شعبه ليس إلا. أما من حيث تشكيل الداييت فإن آيتو اتبع النظام البريطاني، فكان مجلسا للوزراء ومجلسا للعموم.

تنقيح المعاهدات:

واستخدمت الحكومة الامبراطورية المهابة والمكانة المتزايدة التي تمخضت عنها تلك الأعمال في تنكية غرضها المباشر وهو الحصول على تنقيح المعاهدات غير المتساوية الأطراف، وجاءت المعارضة الرئيسية من بريطانيا، وتعهد اليابانيون ثلق بريطانيا واسترضاءها. ولذا انتشرت في تلك الأيام ندعة جديدة هي أن يشتر اليابانيون إلى أنفسهم بأنهم بريطانيو الشرق. وتم تشجيع دراسة اللغة الإنجليزية تشجيعا خاصا، بل لقد بذلت في الواقع محاولات لحمل الدنيا على الانطباع بفكرة أن اليابانيين أكبر المعجبين بالبريطانيين، وأشد الناس توقا أن يغدوا تلاميذهم.

من أجل ذلك وإن جرت مفاوضات لاتتفعل على يد وزراء خارجية متعاقبين وبخاصة على يد الكونتس إنسوي (١٨٧٩ - ١٨٨٧) فإن تلك المفاوضات لم تتمخض عن شيء ذي بال. ولكن ما قام به اليابانيون في بريطانيا من دعاية تجمع بين تمليق البريطانيين تمليقا خفيا، وبين عرض وجهة النظر اليابانية في أميج-الألوان كان له النتيجة المرجوة، فإن اللورد جرانفيل أعرب في شيء من الحذر موافقته على مطالب اليابان. وفي عام ١٨٨٦ افتتح في طوكيو مؤتمر لتعديل المعاهدات إلا أن المؤتمر لم يسفر عن شيء جوهري نظرا لتعت الدول، إلا أنه بعد أن أعلن الدستور واجتمع الداي، لم يعد من سبيل لمقاومة حركة تعديل المعاهدات، ذلك لأن الداي لم يكن ليتساهل قط في مطالبه، وتبذت اليابان سياسة المفاوضات الجماعية، وعزمت على تركيز اهتمامها على إنجلترا. وفي ١٨٩٤ وقعت مع بريطانيا معاهدة اشترط فيها على إلغاء الامتيازات القضائية في مدى خمس سنوات وإعادة الاستقلال لليابان وحريتها في التصرف في التعريف البحرية، وحذت الدول الأخرى حذو بريطانيا، حتى إذا انتصرت اليابان في الحرب في كوريا، وخرجت منها دولة عسكرية، لم يعد هناك أي أساس لمعاملتها كدولة أدنى مرتبة، ولا كدولة يمكن أن تدعى فيها أية امتيازات. وقد حطمت اليابان ما يغلبها من سلاسل، إذ عقدت المحالفة اليابانية الإنجليزية ١٩٠٢ فخطت على ظهر المسرح الدولي كدولة لها بعض الشأن^(٥٧).

اليابان والحرب العالمية الأولى

في سنة ١٩١٢ توفى امبراطور الميج، الذي شهد خروج اليابان من العزلة الاقطاعية إلى مركز من السلطان والقوة لم يسبق له مثيل وراحت بريطانيا تشجع حليفها في الشرق على بناء مركزها القوى، وكان الأصل في ذلك أن توازن روسيا بها، كما أنها وافقت على ما ضمت من كوريا اليها، واستيلاء اليابان على حقوق روسيا منشوريا. ومع أن خطوات التفاهم التي تمت في عام ١٩٠٧

قد أضعفت الغرض الأصلي المقصود من المحالفة، فإن الخيار الموقف الدولي الذي عقب ارتفاع شأن القوة البحرية الألمانية قد زاد ولم ينقص من قيمة المحالفة الأنجلو يابانية لدى بريطانيا. وكانت ألمانيا قد أسست لنفسها مركزا قويا في كياوتشاو، وكانت لها أيضا مجاميع من الجزر في المحيط الهادى. وهكذا من أجل الدفاع عن مصالح بريطانيا في الشرق الأقصى في حالة شيوع نار حرب أوربية، صار للمعاهدة الأنجلو يابانية أهمية خاصة.

وعندما نشبت الحرب أدركت اليابان بسرعة خطافة القرصة السانحة لها التي أتاحتها لها شروط المعاهدة في أن تقف موقف المؤيد للسلام وأن تأخذ على عاتقها قيادة جميع الشؤون في الشرق الأقصى، ثم أعلنت الحرب على ألمانيا برضا من بريطانيا، ولكن الحكومة البريطانية لم تشعر بأى سرور حول مجال الأعمال اليابانية ومداها.

ولم تكن بريطانيا في أثناء تلك المرحلة ترغب الا في شىء واحد، أن تزيد اليابان من الطريق كل قوة بحرية أو عسكرية لألمانيا ببلاد الصين، وأن لا تمد عملياتها الحربية جنوبا بحجة شن الحرب على ألمانيا. ورغبة في تهدئة الروح الذى أحسست به الدول الأخرى أصدرت وزارة الخارجية البريطانية بيانًا صرحت فيه بأن: "المفهوم ان تصرف اليابان لم يمتد إلى المحيط الباسيفيكي وراء بحار الصين، إلا بقدر ما هو ضرورى لوقاية خطوط الملاحة اليابانية في المحيط الهادى، ولا في أية أرض عدا الأرض الواقعة تحت الاحتلال الألمانى على قارة آسيا الشرقية" بيد أن اليابانيين لم يعدوا ذلك التصريح الصادر من جانب واحد ملزما لهم، ومن ثم ظهرت عمارة بحرية يابانية أمام مجاميع الجزر الألمانية في المحيط الباسيفيكي الجنوبي، مدعية انها تطارد الأسطول الألمانى في الشرق الأقصى بقيادة الأمiral مكسميليان فون اسى.

وبعد حملة شانتونج التي أدت إلى الاستيلاء على تسنج تار وإزالة كل أثر للنفوذ الألماني ببلاد الصين، ركزت اليابان جهودها كلها - كما رأينا - على الحصول على مركز سيادة ممتاز لنفسها في الصين. وسرعان ما أدركت أن الدول الأوروبية وإن اشتبكت في صراع قتال في الغرب، إلا أننا متحدة جميعا في معارضتها لعملها. وأنه حتى حليفها نفسها لم تكن تنظر إليها بعلى الارتياح، وإن لم تكن بريطانيا بأى حال في موقف يسمح لها بأن تعترض على سياسة اليابان. ومن ثم شرعت اليابان تقوم بحملة دبلوماسية محمومة في كل العواصم الأوروبية لتحصل من الدول فرادى على الموافقة على سياستها في الصين أى تحصل على تأييد الدول لأطماعها واحدة بعد أخرى. وزاد الموقف في الحسب سوءا على سوء، فلم تقتصر بريطانيا على الموافقة على المركز الخاص لليابان في الشرق، بل بلغت حد تقديم النصيح للصين بقبول المطالب الإحدى والعشرين. فكأنها نطقت بذلك بالحكم بالقضاء على مصالحها بالصين. ووافقت كل من فرنسا وإيطاليا أيضا، أما روسيا، فإن اليابان عقدت معها آتفا ميثاقا (٣ يوليو ١٩١٦) وفي ٥ مارس ١٩١٧ وافقت روسيا على مناصرة مدعيات اليابان في شانتونج. حتى إذا بلغت اليابان أربما من الاتفاق مع الدول حولت وجهتها نحو الولايات المتحدة. فأرسلت إليها بعثة خاصة برئاسة الفيكونت إيشي، واستطاعت البعثة تحقيق اتفاق تم بمقتضاه إعادة تأكيد تمسك كل من الجانبين بسياسة الباب المفتوح ومعارضتهما لاجتياز الحقوق أو الامتيازات الخاصة التي تؤثر في استقلال الصين أو سلامة أراضيها، واعترف أيضا "بأن الجوار الإقليمي يخلق علاقات خاصة بين الأقطار، وبناء عليه تعترف حكومة الولايات المتحدة أن لليابان مصالح خاصة بالصين، وبخاصة في ذلك الجزء الذي تحاوره ممتلكاتها". ولاشك أن المفارقات التي ينطوي عليها هذا الاتفاق كانت تحتوى على بذور العداء الشديدة التي نشأت وترعرعت بين أمريكا واليابان في السنوات التي

أعقبت الحرب العظمى. وفهمت اليابان أن الولايات المتحدة اعترفت - بهذه المعاهدة - بمصالحها الخاصة في منشوريا ومنغوليا الداخلية. وكانت الولايات المتحدة تعتبر أن اليابان قد وافقت دون مواربة على عدم المطالبة بحقوق أو امتيازات تؤثر في استقلال الصين. وكانت اليابان ترى أن سيادتها العليا في شمال الصين على الأقل، قد تم الاعتراف بها بمقتضى هذه المعاهدة. أما الولايات المتحدة فلم تكن ترى إلا أنها قد اعترفت فقط بالمصالح التي لا تضار بها سيادة الصين ولا تؤثر في مبدأ الباب المفتوح الذي كانت أمريكا نصيرته والأخذ بيده.

حتى إذا رضيت اليابان عن نفسها لاقتناعها بأنها حصلت على موافقة الدول المختصة فيما يتعلق بالحقوق التي كانت تدعيها بمقتضى الاتفاقات التي عقدتها مع يوان شيه كاي، أصبحت مستعدة للقيام بدور رئيسي في الحرب. وكان البريطانيون والفرنسيون يلحون في طلب المعونة البحرية في البحر المتوسط للعمل على القضاء على حملة الغواصات الخطرة التي بدأها الألمان بعد فبراير ١٩١٧، ولما كانت بريطانيا العظمى قد أظهرت عند بداية الحرب شيئاً من التمتع في إظهار موافقتها على أعمال اليابان العسكرية خارج الصين. بل لقد ألقت في روع العالم فعلاً أن اليابان قد وافقت على هذا القيد، فقد كان محرجاً لها أن تطلب منها أن ترسل قواتها إلى البحر المتوسط نفسه. ومع ذلك، فإن اليابان وافقت على إثبات ذلك بشرط: هو أن تؤيد بريطانيا وفرنسا مطالبها الخاصة بالجزر الألمانية جنوب خط الاستواء. فلما صدرت هذه الموافقة دخل البحر المتوسط أسطول ياباني بقيادة الأميرال ساتو متخذاً علم القيادة على الطراد أكاشي ومعه ثلاث فصائل من المدمرات، وهو في الواقع حدث تاريخي عظيم ينبغي لنا أن نطيل الحديث قليلاً في أهميته.

وعلى حين كانت السفن الحربية الأوربية تسيطر على البحار الآسيوية منذ بداية القرن السادس عشر، لم تدخل سفن حربية قط من آسيا مياه أوروبا. ذلك

أن البحرية التركية العظيمة التي كانت تسلط بقيادة خير الدين يبربروسا على البحر المتوسط حيناً من الدهر، كانت في الحقيقة عمارة من الشرق الأدنى وليست عمارة آسيوية. فالتفوق البحري للغرب في المحيطين الهندي والهادي، وهو التفوق الذي بدأ بظهور أفونسو ألبرك في ١٥١٠ ، قد وجد اليوم لأول مرة من يتخذه تحدياً فعال الأثر في معركة مضيق تسوشيما . وكانت الخطوة التالية هي مطاردة أسطول الألمان في المحيط الهادي، والآن حدث بعد سنتين أن أسطولاً آسيوياً قد سافر إلى سويداء المياه الأوربية ليقوم بالعمليات البحرية.

فلما وضعت الحرب أوزارها، جلست اليابان بوصفها إحدى الدول العظمى المشتركة في النصر، مجلس الند من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا بمؤتمر فرساي. بيد أن أوامير اليابان وآمالها ذهبت في ذلك المؤتمر بددا. فقد أظهر الرئيس ولسون الذي كان متسلطاً على المؤتمر عداء لاثنتين قناته إزاء مطالب اليابان. ومع أن بريطانيا وفرنسا قد تميا لتجرع الغصص كما أبدتا مطالبها تأييد المكروه، فإن الرئيس الأمريكي أوضح بجلاء أنه يعد مطالب اليابان خاطئة خلقياً وجائرة سياسياً. واستطاعت اليابان بمساعدة حليفها أن تحصل على مطالبها إسمياً ولكن رفضت الصين بتشجيع من أمريكا التوقيع على المعاهدة وكان جلياً أن الرواية لم تتم فصلاً وأن أمريكا ستثير المسألة في أقرب فرصة ممكنة. (٥٨)

ومثل الخطوة التالية في واشنطن. وكانت الحرب قد أنتجت أول حركة انتقال للأهمية السياسية من أوروبا إلى أمريكا. فبعد الحرب أخذ أهل الرأي بأمريكا يوجهون برما في أثر يوم سهام النقد إلى المخالفة الأنجلو يابانية، وذلك لأن واشنطن شرعت تنبأً بحدوث صرع في المحيط الهادي. فلما عمدت اليابان إلى بسط سلطانها على مجاميع الجزر الواقعة إلى الجنوب من خط الاستواء زاد ذلك من الشك وعدم الثقة في السياسة اليابانية اللذين شرعت بوادرهما تدب في صدر

أمريكا منذ شن الحرب. وشعرت أمريكا أن المحالفة الأنجلو يابانية هي التي كانت تحرس الجناح الدبلوماسي لادعاءات اليابان بشمال الصين، كما أنها هي العامل الذي أحبط محاولاتها في الحد من مصالح اليابان. وكان آخر أحسن لانتهاج المعاهدة التي أبرمت في ١٩١١ هو ١٩٢١. وقد بدأ يتحرك في صدر بريطانيا نفسها شعور بأنه مادام التهديد الألماني قد زال فلا معنى للاستمرار في تحالف مع دولة آسيوية تهدد من حرية بريطانيا في التصرف ببلاد الشرق. وفوق هذا كانت كندا تعارض أشد المعارضة في تجديد المحالفة، وكانت تعكس بذلك مشاعر واشنطن إلى حد ما. وأظهر آرثر ميجي رئيس الوزراء الكندية اصرارا شديدا على إلغاء المحالفة الأنجلو يابانية، وتمكن في المؤتمر الإمبراطوري من الحصول على قدر كبير من التأييد لأرائه، برغم معارضة لويد جورج وتشيرل وغيرهما، ممن كانوا يخافون من إثارة حقد اليابان وعدواها على المصالح البريطانية في الشرق. وكان القصد الظاهري من المؤتمر هو تجديد السلاح في الباسيفيكي. وكان حليا من توسع اليابان جنوبا أنها مقدمة على زيادة بحريتها حتى تستطيع صيانة مصالحها القاصية. ولم يكن في المستطاع في تلك الظروف تجنب التنافس في بناء القوة البحرية الا بعقد المحالفات الدورية.

من أجل ذلك دعا الرئيس الأمريكي هاردينج الدول ذات الاختصاص المباشر في ذلك الأمر إلى عقد مؤتمر لبحث مشاكل الباسيفيكي. وأدركت اليابان أن هذا كان محاولة لعزلها، ومحاولة لعرض مسألة علاقاتها بالصين بمخاطرها على بساط البحث، وخاصة تسوية شانغونج، ومحاولة أيضا للحد من نشاطها. لذلك لم تقبل دعوة أمريكا إلا بعد أن أوضحت كل الأيضاح أن المسائل التي هم دولاً معينة أو أن الأمور التي يجب أن تعتبر من الحقائق المقررة والأمور الواقعة ينبغي ألا تثار في المؤتمر. وهذه الصيغة حاولت أن تصون حقوقها في شانغونج، تلك

الحقوق التي أصبحت تستند الآن إلى معاهدة فرساي، وأن تحافظ على مركزها في منشوريا.

وقد أوضحت أمريكا أهدافها بطريقة صريحة أو تكاد على لسان هيسوز وزير خارجيتها في جلسة المؤتمر الافتتاحية، ولم يعد الاستمرار في مهاجمة المخالفة الأنجلو يابانية ضروريا، وذلك لأن حماسة بريطانيا لها قد فترت ووجدت في اقتراح عمل معاهدة رباعية حجة تنذرع بها للتخلي عن تحديد المخالفة، ومعقضى المعاهدة الرباعية وافقت كل من بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا واليابان على احترام حقوق بعضها البعض ومراكزها بمنطقة المحيط الهادى وأن تسوى خلافاتها عن طريق المفاوضات. وعلى أساس هذه المعاهدة تنتهى المخالفة الأنجلو يابانية. وأقرت معاهدة الدول الخمس البحرية نسبة عالمية هي ٥ إلى ٥ إلى ٣ لبريطانيا وأمريكا واليابان على التعاقب، كما نصت على ألا يقوم أحد بإنشاء التحصينات البحرية بعد ذلك في المحيط الهادى عدا منطقة قناة بنما وجزائر هواى وألاسكا.

اليابان بين الحربين العالميتين

وفي هاته الظروف العسيرة عولت اليابان على اتباع السياسة الوحيدة التي كانت تستطيع ان تنتهجها، وهي أن تطور قوتها الداخلية بطريقة تمكنها من صيانة مركزها، حتى يحدث تحول جديد في الموقف الدولى يجلب لها حلفاء جدد. فبذلت كل جهد في مقدورها لتصبح دولة صناعية عظيمة، ولتنهض بقواها الجوية والبحرية دون اعتماد على الغير، ولتزيد من انتاجها في الأغذية ولترفع من حجم تجارتها. وبلغت الحكومة إلى خطة الاقتصاد المخطط، الذى يهدف إلى تقوية الشعب من جميع نواحيه، نفذتها بنجاح تام، وكلما انقضى يوم، اتضح أمام أعين زعماء اليابان أنه ما لم تكن لديها موارد كافية من الحديد والفحم، وما لم يصبح لديها مورد للطعام مضمون الاستمرار فإن مركزها سيظل ضعيفا غير متين ولم يكن الحصول على هذه الأمور يتيسر إلا في منشوريا، وهي إقليم ضخم

رسخت اليابان فيه من قبل قدميها وادعت لنفسها فيه مركزا خاصا. ومن ثم اتجهت بجماعها إلى منشوريا، وقد صممت على أن تتخذ منها مخزنا ودار صناعة - أى ترسانة.

وفي أثناء الفترة التي أعقبت الثورة، كانت المنطقة المتراصة الواقعة إلى الشمال من السور العظيم في الصين تحت هيمنة الماريشال تشانج تسولن، وكان ذلك الجنرال يدرك منذ البداية أن مركزه المستقل في مكدن كان يتوقف على تأييد السلطات اليابانية له وعلى جيش كوانتونج. وطالما كان الجنرال تشانج تسولن وزيرا للحربية بمنشوريا لم تكن اليابان ترى أن التدخل ضروري لتنفيذ خطط نيون الاستراتيجية والاقتصادية. ولم يحدث في الوضع أى مشكل خطير حتى ظهر الكومنتانج. وقد تحولت منشوريا ومنغوليا الداخلية فعلا إلى محميات يابانية. حتى إذا تأسست الحكومة المركزية في نانكينج، وحاولت الحكومة أن تدخل في نطاقها تشانج هويه ليانج، وهو ابن تشانج تسولن وخليفته نشأ موقف حديد أو شوك أن يزعم من أساسه الصرح الذي رفعت به اليابان في ربع القرن الذي عقب معاهدة بورتسموث. وقد بدأ الصينيون منذ ١٩٢٩ في إنشاء ثلاثة خطوط حديدية مونتها من الموارد الصينية البحتة، وافتتحت ميناءين جديدين هما ينكاو وهوتاو بقصد منافسة ميناء دايرن في الاتصال بالداخل، وبذلك قلست قيمة الخط الحديدي الذي تحت هيمنة اليابان. وأخيرا ادركت اليابان عندما ضم تشانج هسويه يانج في ١٩٣٠ مقدراته إلى مصائر تشانج كاي شوك والكومنتانج، ألما بحيرة بين أمرين فيما أن تتخلى عن مركزها صاغرة أو تحارب دفاعا عن حقوقها^(١).

وحدث انفجار في الطريق الحديدي الجديد الجنوبي بمنشوريا فأمدتها بالذريعة التي تتخذها تكأة لذلك. وفي مساء ١٨ سبتمبر ١٩٣١ احتل اليابانيون

(١) انظر الفصل الثالث من الكتاب.

مكدن. ولم تنقض بضعة أيام حتى احتلت جميع المراكز الاستراتيجية منشوريا والتجنات الصين بشكواها إلى عصبة الأمم، وعندئذ عادت العلاقات الصينية اليابانية فاحتلت مكان الصدارة الدولية. وكان رد اليابان على ذلك أن المسألة مسألة عملية بحتة وفي الامكان تماما تسويتها بالمفاوضات المباشرة. وتواصل الكفاح-الديبلوماسي في عصبة الأمم دون أن يبلغ أية نتيجة. وكانت الثمرة الهامة الوحيدة في المرحلة الأولى للمناقشات هو اشتداد اقبال الولايات المتحدة على الاشتراك في مباحثات العصبة، وإن لم تكن عضوا فيها، وهذا أكدت مرة أخرى تماسك الأمم الغربية جميعا ضد اليابان.

ولاحظنا العلاقات بين الصين واليابان إلا فيما يتعلق بمدى تأثيرها في العلاقات بين أوروبا وبين كل منهما. ومع ذلك فاننا سنقتصر على ذكر الحقائق المجردة حتى تكون الأساس اللازم لفهم الموضوع. ولم تكد السنة تنتهي حتى كانت اليابان قد احتلت معظم منشوريا وشرعت تنظم جماعات من الصينيين لمناصرتها. وفي ٢٠ مايو ١٩٣٢ ادعت اليابان الرغبة في حماية الوطنيين اليابانيين النازلين بشنغهاي، وادعت كذلك أنها سترد على المقاطعة التي كانت الحكومة الصينية توعد بها فزل البحارة اليابانيون بشنغهاي وهاجموا الجنود الصينيين النازلين في تشاهاي، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى تدهور العلاقات مع الدول الغربية التي أحست أن اليابان قد وجهت هجومها إلى نقطة كانوا منذ زمن بعيد يعدونها ملكا خالصا لهم. وعلى الرغم من احتجاجات الدول، اشتبكت قوات اليابان البرية والجوية في الصراع. وعندئذ طلب ستمسون وزير الخارجية الأمريكية ان تدعى رسميا هيئة حلف الدول التسع للعمل ضد اليابان.

والواقع أن السياسة الأمريكية تحولت فعلا تحولاً جديداً. أما فيما يتعلق بمنشوريا، فإن ستمسون أثار فيها مبدأ عدم الاعتراف، وبذلك وضع أمام الأعين فكرة أن الولايات المتحدة لم تكن تستطيع أن تقبل إسباغ الصيغة القانونية على

أى موقف يحكم الأمر الواقع، ولا هى كانت تنوى أن تعترف "بأية معاهدة أو اتفاق تضعه تلك الحكومات أو وكلائها، ويتم به الاعتداء على الحقوق التى نصت عليها المعاهدة بالنسبة للولايات المتحدة ومواطنيها، ورعاياها ببلاد الصين، بما فى ذلك كل ما يتصل بسبب إلى سيادة الجمهورية الصينية أو استقلالها أو سلامة أراضيها أو اقتصادها" وأنها "لاتنوى الاعتراف بأى موقف ولا معاهدة ولا اتفاق يمكن الوصول إليه بوسائل متناقضة مع ميثاق حلف باريس والتزاماته". وما أن بدى بالعملية بشنغهاى، حتى بادرت الحكومة الأمريكية بإرسال سفينة القيادة البحرية هوستون ومعها المدمرات وفرقة من الجند المشاة "كأجراء تحفظى". ولما فشلت محاولة استشارة أعضاء معاهدة الدول التسع، تجمع الأسطول الأمريكى فى هواى بجما يندر بالثبور.

وتزايد عداء ستمسون لليابان شدة، فأدى إلى الشطط حيث حاول تعبئة رأى العام بالطريقة الأمريكية المألوفة وهى إصدار التصريحات العلنية. وقد أوضح ستمسون فى خطاب وجهه إلى السناتور بوراه فى ٢٣ فبراير ١٩٣٢ أن اقتراحه المتعلق بإصدار الدول جميعا بيانا فى وقت واحد، ذلك الاقتراح الذى رفضه السيرجون سيمون كان "إشارة إلى الدول أنه يمكنها القيام بعمل مشترك فى المستقبل" وستجتمع فى الجمعية العامة لعصبة الأمم، كما كان المقصود منه أن يكون "تشجيعا للصين وتهديدا لليابان". وتشجيع أمريكا شرعت عصبة الأمم تتخذ موقفا يزداد فى عدائه لليابان يوما بعد يوم. وأقرت قرارا يتضمن قبول مبدأ عدم الاعتراف بما حدث، وعينت لجنة لتقدم تقريرها عن إيقاف العمليات الحربية بشنغهاى لاقتراح أية إجراءات سريعة قد تراها ضرورية.

لقد حققت أمريكا للمرة الثانية تماسكا قويا ورائعا بين الدول الغربية على اليابان. ولما كان موقف اليابان من مسألة شنغهاى هو أنها عمل دفاعى ولا يتطوى على أحداث أى تغيير فى السياسات، فإنها سحبت قواتها فى ٤ مارس بعد

أن تم بصورة مرضية توقيع جميع شروط الهدنة وتنفيذها. ولكن موقفها من منشوريا كان مختلفا، فلما بعد أن احتلت البلاد راحت تعمل جاهدة على تنظيم حركة تطالب باستقلال منشوريا. وقد كانت اليابان تعتقد أن موقفها من منشوريا مشروع وأن لها من الأسانيد القانونية ما يؤيد حقوقها، إذ لم تكن منشوريا في الأصل جزءا من الامبراطورية الصينية إلا بمقدار ما كانت نورمنديا قسما من إنجلترا. ذلك أن أسرة المانشو هي التي فتحت الصين لا العكس، وبناء على ذلك فإنه لما انقطعت من إمبراطورية المانشو أسباب الحياة، لم يكن هناك أى "أساس قانوني" للدعاء بوحدة منشوريا مع سائر الصين، كما أن الواقع أن حكومة نائب الملكة بمنشوريا ظلت منذ الثورة حتى ١٩٣١ مستقلة إلى حد ما عن بكين. وكانت سياسة اليابان هي إحياء مطالبة المانشو بالمنطقة وهي دعوى المطالبة والاحتفاظ بالمصلحة الشرعية القائمة على الحق الوراثي للامبراطور يوي الذي احتفظ بلقب امبراطور المانشو حتى عند تنازله عن عرش الصين.

وكان وزير الخارجية ستمسون عدو اليابان اللدود يدعو عصبة الأمم إلى اتخاذ عمل قوى ضد اليابان، ولم تكن دولته عضوا بتلك المؤسسة ولكنه كان يرجو بذلك أن يولب على "ذلك الشعب المتمدن" كل قوة الرأى العام. وكان الرأى العام البريطاني أكثر أخذًا بالحيلة، كما أن الحكومة القومية السني يغلب عليها آنذاك عنصر المحافظين، كانت ترى أن قضية اليابان بمنشوريا قوية. وبينما رعى المناقشات تدور في جنيف اقتحمت القوات اليابانية ممر شالهايكوان، وبذلك عدت ولاية جيهول ومناطق أخرى داخل السور الأعظم. لقد أصبحت اليابان هي وعصبة الأمم عند مفترق الطرق. وأصدرت العصبة قرارا تطالب فيه اليابان بالانسحاب إلى منطقة السكة الحديدية وإلى فتح باب المفاوضات لتسوية الخلافات بينها وبين الصين تحت رعاية لجنة تدعى العصبة. فطلبت من الصين أن تقيم دولة منشورية ذات استقلال ذاتي تحت سيادة الصين، ثم أوصت بعد ذلك

بالا يعترف أعضاء العصبة بمشوكو. وقد ظفرت السياسة الأمريكية بنصر عظيم
نجحت به في عزل اليابان. فأجابت اليابان على ذلك بأنها تنوى الانسحاب من
العصبة ولا تعد نفسها ملزمة بقراراتها.

لقد انفصلت اليابان عن أوروبا وأصبحت آنذاك مصرة على الوصول بالأمر
إلى نتيجة حاسمة في الصين نفسها. فأخذت تتحرك صوب الجنوب ببطء وعلى
مراحل، ومع أن تصرفات اليابان لم تجد إلا قدرا ضئيلا من المعارضة الرسمية من
الدولة الصينية نظرا لاشتباك أيدي الكومنتانج في ذلك الحين في صراع حزبي
مرير، فإن الشعور الوطني في الصين كان يواصل تكوين جبهة متحدة على
المعتدى. ولكن اليابان شرعت تقيم في قلعتها في جيهول علاقات ود وصداقة
مع أمراء المغول وتحترق مناطق التخوم. وظهرت بين المغول حركة تدعو إلى
الاستقلال وفي بكين نفسها، وفي أثناء هذه الفترة من النشاط الديبلوماسي يوم
كان تشانج كاي تشيك لا يزال مترددا بين اقدام واحكام اقيم ضرب مخفف من
سيادة اليابانية تطبيقا لما كان يسمى باسم اتفاقات هو يومي تبلو التي ينبغي
بمقتضاها ان يطرد من ولاية هوباي (التي تقع فيها بكين) كل موظف تعرض
السلطات اليابانية عليه وان تجلو عن تلك الولاية جنود الكومنتانج جميعا
ووكالات الحكومة المركزية. وبذلك أصبح الجزء الشمال من الصين يعامل
معاملة منطقة مستقلة، وأقيمت في شرق هوباي تحت رعاية اليابانيين حكومة
مضادة للشيوعية - بل ان تشانج وحكومة نانكينج نفسها وافقت على انشاء
مجلس تشاهاار السياسي في هوباي.

وعندئذ لاحت اليابان كأنما هي تطلأ بنجاح نفس السيل الذي مهدته
بريطانيا في الهند، وهو طريق تم لها فيه على مراحل اقاعة ملوك ودول اعترفت
هي بهم وأصبحوا الاعيب بين يديها. ولكن الوطنية الصينية هبت شاكية
السلاح. ولممكن انقلاب سيان من ارغام تشانج كاي تشيك على الموافقة على

إقامة جبهة موحدة ضد اليابان. وبعد ذلك القرار وبعد الاتفاق مع زعماء الشيوعيين، أجمعت الصين رأيها على السياسة المقاومة لليابان. بينما قررت اليابان أيضا توجيه طريقتها قبل أن تتم الوحدة الوطنية وتجمع القوة التي تحت إقامتها بعد تصريح سيان. وكانت نتيجة ذلك "حادثة" كويرى ماركو بولو (٨ يوليو ١٩٣٧)، وهي حادثة بدأت دورا من المقاومة الصينية تزامنت في النهاية إلى اشتعال نار الحرب بين اليابان والصين، وهي الحرب التي اندلعت بعد ١٩٤١ في أحداث الحرب العالمية الثانية.^(٥٩)

اليابان والحرب العالمية الثانية

بعد العدوان الجوى الياباني على الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور، اندفع اليابانيون بهجوم في المحيط كل المواقع التي وضعوا خططهم للاستيلاء عليها، وظل هذا الاندفاع السريع لمدة ستة أشهر (نوفمبر ١٩٤١ - مارس ١٩٤٢) هاجموا أثناءها القواعد البحرية التي تمتلكها الدول الغربية، وسقطت في أيديهم جزر ماليزيا وبورما وجاوه، وأصبحت كل من استراليا والهند والصين مهددة بالغزو أيضا. ولكن قوات الحلفاء الجوية والبحرية قضت في شهر مايو ١٩٤٢ على أمل اليابانيين في غزو استراليا بعد انتصارهم في معركة بحر كورال. وفي شهر يونيو ألحقت قوة بحرية يابانية أخرى بالقرب من جزيرة ميدواي. وكانت سيام (تايلند) قد عقدت معاهدة تحالف مع اليابان (ديسمبر ١٩٤١). ولكن الشعار الذي أطلقه اليابانيون (آسيا للآسيويين) لم ينطل على أحد، فلم تقم ثورة في الهند، ولم يتحارب الصينيون مع اليابان، بل عرف الآسيويون أن الخطة اليابانية هي استعمار تلك المناطق من آسيا. ومع ذلك فقد استطاعت اليابان في مدة قصيرة أن تحكم أممراطورية تضم نحو ربع عدد سكان العالم. ونجح اليابانيون لبعض الوقت في السيطرة على تلك الأنحاء لانشغال الحلفاء في ميادين أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية.

ولكن إعتباراً من أغسطس ١٩٤٢ استطاعت القوات البحرية الأمريكية التزول في مناطق بريطانيا الجديدة وغينيا الجديدة، وبذلك زال الخطر عن أستراليا، وبعد نوفمبر ١٩٤٢ حسر اليابانيون ٢٨ سفينة حربية وعددا كبيرا من ناقلات الجنود والطائرات في دفاعهم عن وجودهم في تلك المناطق.

وكانت الخطة التي وضعها الحلفاء لطرد اليابانيين من مستعمراتهم المبعثرة في المحيط تقضي بقطع الخطوط التي تربط اليابان بهذه المستعمرات. (١٠)

ومع أواخر عام ١٩٤٢، أصبح غرب المحيط الهادى من أستراليا إلى ألاسكا عبارة عن سلسلة من المناطق للتدخل موزعة بين القوات الأمريكية واليابانية، حيث أحاطت غواصات الطرفين بخطوط المواصلات، وتبادلت الطائرات الإغارة على الخطوط البحرية للخصمين. أما القطع البحرية الكسرى فظلت بالقرب من قواعدها تحميها مظلة من الطائرات. وقد نجح الأمريكيون بفضل تفوقهم الجوي في الاستيلاء على بعض الجزر، وحولتها إلى قواعد جوية، ثم كررت هذه الخطة بالتقدم حيثما نحو جزر أخرى. ولكن زلزال اليابانين في القفز من جزيرة إلى أخرى بطيئة ومكلفة. ولكن نحو القوة الأمريكية المطرد جعل تلك العملية تزداد سرعة وجسارة، وتعمل آلاف اليابانين في الجزر المبعثرة في المحيط، بينما كانت القوات الأمريكية تقتحم القواعد اليابانية، وتقترب من السواحل اليابانية.

وفي الوقت الذي اندحرت فيه قوى المحور في الميادين الأوربية في أواخر سنة ١٩٤٣، تحول الموقف أيضا في المحيط الهادى، ففي نوفمبر ١٩٤٣ استولت القوات الأمريكية على جزر جلبرت، وفي يناير ١٩٤٤ هاجمت جزر مارشال، وفي ٦ فبراير ١٩٤٤ دخلت جزر كواجالين وغيرها. وكانت الخسائر فادحة لدى الفريقين المتحاربين في تلك العمليات.

وفي شهر أكتوبر ١٩٤٤ استعد الأمريكيون للاستيلاء على الفلبين، وتمكن الجنرال دوجلاس آرثر من الغزو في جزيرة ليتي (٢٠ أكتوبر ١٩٤٤) وانسحروا أسطول ياباني حاول التدخل لمنع نزول اليابانيين إلى الجزيرة. وهكذا بدأ سلاح الجو الأمريكي يشن غاراته المتوالية من قواعد الجديدة على اليابان نفسها. ومع ذلك كان اليابانيون مصممين على الاستمرار في القتال، معتمدين على أن انتصار الحلفاء عليهم بعيد الاحتمال، لأن بلادهم كالجزر البريطانية التي استعصت على ألمانيا في بداية الحرب العالمية الثانية. إلا أن اليابانيين عانوا كثيرا من الحصار الذي ضرب عليهم، وأعاق خطوط الملاحة التي تصلهم بالعالم الخارجي، وحرهم من الواردات الكثيرة التي لا غنى عنها للمجهود الحربي، ومن نقل المعدات الحربية اللازمة لقواتهم في الصين والمحيط الهادئ، فوقعوا في أزمة اقتصادية وحربية بسبب تلك الأزمة البحرية الناتجة عن إغارات القوات الجوية الأمريكية والغواصات التي كلفت اليابانيين خسائر فادحة في سفنهم التجارية والحربية. وما وافى عام ١٩٤٥ حتى تحطمت قوة اليابان البحرية التي كانت ثالث قوة بحرية في العالم بعد بريطانيا والولايات المتحدة، حتى أن السفن البحرية الأمريكية استطاعت قبيل انتهاء الحرب الاقتراب يوميا من السواحل اليابانية وقصف المصانع والمنشآت البحرية، ثم العودة دون أن تواجه مقاومة تذكر. وتجلى عجز اليابانيين عن المقاومة في كل مكان بسبب فقدانهم السيطرة على خطوط المواصلات البحرية التي تربطهم بالوطن.

اليابان والقنبلة الذرية

كان اليابانيون يفتخرون دائما بأن بلادهم لم تشهد غزوا خارجيا منذ فجر التاريخ، وأن غزو الجزر اليابانية أمر يعجز عنه الغزاة، ولذلك كان على الحلفاء أن يستعدوا استعدادا حارقا لتنجح عملية الغزو، وعلى هذا الأساس تحطمت قيادة الحلفاء لتعبئة ثلاث آلاف سفينة، ومليون مقاتل وآلاف من

قاذفات القنابل لعملية الغزو... ولكن لم يكتب لهذا المشروع أن يخرج إلى حيز التنفيذ، فمنذ أن استسلمت المانيا كان اليابانيون قد أنهكت قواهم، كما كان ينقصهم البترول، ومخبطت مصانعهم واحترقت، بينما كانت قدرة الحلفاء على الانتاج الحربي تزيد وتتضاعف.

وكان الرئيس الأمريكي ترومان يشعر بأن الحرب مع اليابانيين قد تطول، وتكلف غالبا، لذلك أمر باستخدام القنبلة الذرية، التي كان العلماء قد توصلوا إلى صنعها. وفي ٦ أغسطس ١٩٤٥ ألقت القاذفات الأمريكية أول قنبلة ذرية على هيروشيما، وأدى ذلك إلى أمدح كارثة في تاريخ الحروب، فقد دمرت ثلاثة أرباع المدينة، وتسبب عنها مصرع ٧٨١٥٠ من سكانها، وتشويه عشرات الألوف الآخرين.

وفي ٩ أغسطس ١٩٤٥ ألقيت القنبلة الذرية الثانية على مدينة نجازاكي، وسقط عشرات الألوف من القتلى والمشوهين، وعلى أثر ذلك اتضح للحكومة اليابانية أن المقاومة أصبحت عديمة الجدو، وأن كل تأخير في الاستسلام ستكون نتيجته ملايين الضحايا، وهكذا قرر مجلس الوزراء الياباني في ١٠ أغسطس ١٩٤٥ الاستسلام بدون قيد أو شرط. ووقعت الحكومة اليابانية شروط الحلفاء في طوكيو في ١٤ أغسطس ١٩٤٥، وكان توقيعها على ظهر السفينة الأمريكية ميسوري الراسية في خليج طوكيو في ٢ سبتمبر، وذلك بعد أن نزلت القوات الأمريكية لاحتلال البلاد.

ولم تجدد القوات اليابانية في الصين بدا من التسليم للجنرال تشانج كسي تشيك، وتحمرت كوريا كذلك من الاحتلال الياباني، واستسلمت القوات اليابانية في سنغافورة وبورما وجزر الهند الشرقية الهولندية للقائد الأعلى للقوات المتحالفة في جنوب شرق آسيا.

وسارع الحلفاء إلى تسريح الجيش الياباني، وحل قيادته العامة، ووقف صناعة الأسلحة، مع الإبقاء على الامبراطور هيروهيتو على عرشه، وإن كان قد تنازل طواعية عن مظاهر التقديس التي كان يحيطه بها رعاياه. ^(١١)

اليابان بعد الحرب العالمية الثانية

منذ بداية عام ١٩٤٢، بدأ الأمريكيون في إعداد إدارة عسكرية لليابان، وتنطلق الخطة الأصلية للاحتلال من فرض تمهيش مباشر للعقلية اليابانية العسكرية، وقبل توقيع اليابان لوثيقة الاستسلام في ٢ سبتمبر ١٩٤٥ دون قيد أو شرط، وكانت الولايات المتحدة قد اقترحت في ٢٢ أغسطس ١٩٤٥ لجنة استشارية لشرق آسيا تتكون من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصين وبريطانيا وفرنسا وأستراليا وكندا ونيوزيلندا والفلبين وهولندا. وفي مؤتمر لشدة الذي عقد وزراء خارجية الدول الكبرى في سبتمبر ١٩٤٥ تمت الموافقة على تأسيس هذه اللجنة، على أن تعقد اجتماعاتها في كل من واشنطن وطوكيو، وتشترك فيها الهند.

وبالرغم من أن الاحتلال الأمريكي لليابان - من الناحية النظرية - مسئولية جماعية لقوى متحالفة، إلا أنه فعليا كان عملية أمريكية واسعة النطاق. ولم تسمح الولايات المتحدة لأي قوة أخرى أن تكون لها نفوذ في اليابان، وبالتالي كان الاحتلال احتلالا أمريكيا كاملا. وتم تحديد أهداف الولايات المتحدة من احتلالها لليابان في:

أولاً: ضمان عدم عودة اليابان لتهديد الولايات المتحدة والسلام العالمي مرة ثانية.

ثانياً: بناء حكومة ديمقراطية مسالمة ومسئولة عن كبح جماح طموحات اليابان التوسعية.

ومن أجل تحقيق الهدف الأول تم اتخاذ الخطوات التالية:

- ١ - تعطيل الامكانيات العسكرية اليابانية.
 - ٢ - إلغاء التوسع الياباني.
 - ٣ - إلغاء وظائف وزارتي البحرية والجيش.
 - ٤ - نزع أسلحة القوات المسلحة اليابانية.
 - ٥ - إقامة محاكم عسكرية لمحاكمة مجرمي الحرب.
 - ٦ - تحديد السيادة اليابانية لتشمل الجزر اليابانية الأربع فقط.
أما بالنسبة للهدف الثاني فقد تم اتخاذ الخطوات التالية:
١ - تشجيع النمو الديمقراطي وإزالة العقبات التي تعترضه.
٢ - تحديد سلطات الأجهزة الحكومية.
- وأدى انفراد الولايات المتحدة بالسيطرة على اليابان، إلى مهاجمة الإنمساك السوفيتي لهذه السياسة، ولم تنجح المؤتمرات التالية في تحقيق التفاهم السوفيتي الأمريكي بالنسبة للانفراد الأمريكي باحتلال اليابان.
- ومن أهم مظاهر السياسة الجديدة موافقة اليابانيين على وضع دستور جديد، ومن القوانين التي تسانده وتمززه. وقد أقر تنفيذ الدستور الجديد في ٣ مايو ١٩٤٧، وركز هذا الدستور على أن الإمبراطور هو رمز لوحدة الأمة اليابانية، ولكن بدون سلطات، وهو الوضع الذي كان عليه الإمبراطور عمليا منذ فترة طويلة. كما حدد الدستور سلطة البرلمان بوصفه أعلى سلطة في البلاد، وأصبحت الحكومة اليابانية مسئولة أمامه، وأصبح انتخاب رئيس الوزراء مهمة مجلس النواب، كما تم تشكيل مجلس منتخب للمستشارين حل محل مجلس الشيوخ السابق. كما أقر الدستور حقوق الإنسان والحريات السياسية، وحصلت المرأة على المساواة الكاملة مع الرجل، وأصبح النظام القضائي مستقلا عن تدخل السلطات التنفيذية، كما تأسست محكمة عليا تختص بمراجعة دستورية القوانين، ومنحت للحكومات المحلية مزيد من السلطات.

كما شجعت سلطات الاحتلال إنشاء الشركات الكبرى الاقتصادية وكذلك تحسين الأحوال في الريف، وتنظيم اتحاد للعمال. وقد استمر الاحتلال الأمريكى لليابان حتى ١٩٥٢/٤/٢٨ حين تم توقيع اتفاقية السلام التي أعادت السيادة الوطنية للشعب الياباني على أرضه. (٦٢)

اتفاقية الصلح ونهاية الاحتلال الأمريكى

في الفترة من ١٩٤٥ - ١٩٤٧ مرت اليابان بمرحلة تحول ديمقراطي، وذلك عن طريق إطلاق حرية المعتقدات والصحافة، وفي هذه الفترة عملت سلطات الاحتلال الأمريكى على إقصاء العناصر المحافظة السابقة عن المراكز المهمة في الحكومة، وترتب على ذلك ظهور أحزاب يسارية، وأستطاع الحزب الشيوعى الياباني أن يعمل بصورة شرعية لأول مرة، وفي سنة ١٩٥١ سمحت سلطات الاحتلال لبعض القوى اليمينية المحافظة السابقة بالعودة لممارسة قوتها السياسية لمواجهة الشيوعيين في اليابان، ويمكن تحديد الأسباب التي أدت إلى تغير سياسة واشنطن وبالتالي تغير سياستها في اليابان على النحو الآتى:

١ - استفحال الخطر الشيوعى بعد عام ١٩٤٩، أى بعد نجاح الثورة الشيوعية في الصين، والذي اقترن بالخطر السوفيتي في الشرق الأقصى.

٢ - دور الشركات الأمريكية الخاصة التي توقع تحقيق مكاسب خاصة في اليابان بعد تهليص دور الحزب الشيوعى الياباني.

٣ - دور وسائل الإعلام في تمهيد الطريق للتوصل إلى اتفاقية مع اليابان. وهكذا رأت الولايات المتحدة أن تطور علاقاتها مع اليابان، وتوثق الصلات، وبالتالي إنهاء الاحتلال، ووضع اتفاقية الصلح. ولتحقيق ذلك سعت الولايات المتحدة لمساعدة اليابان للنهوض من كبوتها. وجاءت الخطوة الأولى من جانب اليابان التي أعلنت في يونيو ١٩٥٠ عن رغبتها في توقيع اتفاقية صلح مع الولايات المتحدة، واقترحت أن تؤمن الولايات المتحدة اليابان من أى ثورة

شيوعية داخلية محتملة، ومن أى اعتداء سوفيتي محتمل. وبعد أن تطورت الحرب الكورية في غير صالح الولايات المتحدة، اضطرت الأخيرة إلى سحب بعض قواتها من اليابان، وإرسالها إلى كوريا. وتم عقد مؤتمر سان فرانسيسكو في الفترة من ٤-٧ سبتمبر ١٩٥١، وترتب عليه توقيع اتفاقية الصلح مع اليابان من قبل ٤٩ دولة.

وفي ٨ سبتمبر ١٩٥١ تم توقيع اتفاقية الصلح مع اليابان، وفي اليوم التالي وقعت الولايات المتحدة مع اليابان على معاهدة أمن، تعهدت اليابان بموجبها بالسماح للقوات الأمريكية بالبقاء في البلاد حتى تتمكن اليابان من الدفاع عن نفسها بقواتها الخاصة، وبالتالي أصبحت اليابان محمية أمريكية، بعد أن حدث الانقلاب الكبير في سياسة الولايات المتحدة في آسيا بعد نجاح الثورة الشيوعية في الصين.

وفي ٢٨ أبريل ١٩٥٢ وضعت اتفاقية الصلح موضع التنفيذ، وانتهى الاحتلال الأمريكي لليابان رسمياً، وتم الاعتراف باليابان كدولة مستقلة ذات سيادة. وبموجب هذه الاتفاقية تنازلت اليابان لمائتين عن كل الأراضي التي كانت قد احتلتها من الصين. كما نصت الاتفاقية على استقلال كوريا، كما سيطرت الولايات المتحدة على بعض الجزر التي كانت تابعة لليابان في المحيط الهادئ، وبذلك أعيدت حدود اليابان إلى ما كانت عليه سنة ١٨٥٤.

وبعد أن كانت الولايات المتحدة تنزع إلى حماية الصين على حساب اليابان، صارت سياستها الجديدة تنزع إلى دعم علاقاتها باليابان على حساب الصين.

ومع بداية عام ١٩٥٤، بدأت اليابان عملية تسوية التعويضات التي التزمت بدفعها. وفي عام ١٩٥٦ بدأت المفاوضات بين اليابان والاتحاد السوفيتي، بعد أن سحبت موسكو اعتراضها على انضمام اليابان لعضوية الأمم المتحدة،

وبالتالى انتهت حالة العداء بين الدولتين، ولكن دون عقد معاهدة سلام كامل.
وفي عام ١٩٦٥ عادت العلاقات بين اليابان وكوريا الجنوبية إلى وضعها
الطبيعى، بعد أن دفعت اليابان لها تعويضات مالية كبيرة وظلت علاقات اليابان
مع الصين متوترة حتى عام ١٩٧٢ عندما عادت العلاقات الدبلوماسية الكاملة
بين الطرفين، وبعد حدوث التقارب الصينى الأمريكى إثر زيارة الرئيس الأمريكى
ريتشارد نيكسون لجمهورية الصين الشعبية في عام ١٩٧٢، وترتب على ذلك
بداية التعاون الصينى اليابانى على الصعيد الاقتصادى .

وتعد أزمة عام ١٩٦٠ حول تجديد معاهدة الأمن مع الولايات المتحدة من
أكبر الأزمات التى شهدتها اليابان في فترة ما بعد الحرب، وقد نشأت هذه الأزمة
من الثقة المتزايدة لليابان بنفسها، والتطور العلمى والتكنولوجى الذى حققته بين
دول العالم، فالمفاوضات التى استؤنفت في ذلك العام حول المعاهدة الأمنية أثارت
جدلا عنيفا على مستوى البلاد، وأدت إلى حدوث اضطرابات على نطاق واسع.
كما أدى تورط الولايات المتحدة في حرب فيتنام إلى مشكلات في العلاقات
الأمريكية اليابانية، على أساس أن التدخل الأمريكى في فيتنام قد يجر اليابان إلى
هذه الحرب، ولكن الولايات المتحدة قامت بإعادة بعض جزر المحيط الهادى إلى
اليابان في الفترة بين عام ١٩٦٩ و ١٩٧٢، مما أدى إلى هدوء الأحوال بين
الطرفين، واستمرار المعاهدة الأمنية بين الطرفين، أى استمرار الوجود العسكرى
الأمريكى في اليابان. (١٣)

ورغم كل شىء فقد أثبت الشعب اليابان وجوده، وذلك بالتفوق
الصناعى والعلمى والتكنولوجى، وأصبحت الصناعات اليابانية رمزا للحدوة على
المستوى العالمى، بل تحولت اليابان إلى غول اقتصادى مؤثر على كل السياسات
الاقتصادية العالمية.

الفصل الخامس

تطور تاريخ كوريا الحديث والمعاصر

تطور تاريخ كوريا الحديث:

تقع شبه جزيرة كوريا في شرق آسيا، ويبلغ متوسط طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ٩٦٠ كم، واتساعها بين الشرق والغرب نحو ٢٨٠ كم. وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي ٢١٩,٠٠٠ كم^٢. وقد ظلت شبه جزيرة كوريا والجزر التي حولها جسرا ومعبرا طبيعيا مهما يصل بين جزر اليابان وأراضي القارة الآسيوية. وتدين الحضارة اليابانية بالكثير إلى كوريا، التي من خلالها استطاعت المؤثرات الحضارية الصينية أن تصل إلى اليابان، وإثراء ما بها من حضارة أصيلة. وأدركت كل من اليابان والصين منذ القدم أهمية الموقع الجغرافي والاستراتيجي لشبه جزيرة كوريا، وقيمتها الكبرى لكل منهما، وبذلك الدولتان جهودا كبيرة في سبيل السيطرة على كوريا.

والمدونات عن التاريخ الكوري تشير إلى أنه منذ نحو خمسة آلاف سنة جاءت هجرات بشرية من شمال الصين ومنشوريا إلى كوريا. وكانت أولى الممالك التي نشأت في كوريا هي مملكة ولمان التي حكمت البلاد ابتداء من عام ١٩٤ ق.م، ثم تلتها أسرة الهان، إلى أن أصبحت كوريا تابعة للصين حتى القرن الرابع م. وفي حوالي منتصف القرن ٧م استطاعت أسرة كيم توحيد البلاد في دولة مستقلة. وفي هذه الفترة أيضا دخلت البوذية كوريا، واعتنقها عدد كبير من السكان، وتمكن كهنتها من السيطرة على مقدرات البلاد.

وفي أوائل القرن العاشر م انتقلت مقاليد الحكم إلى أسرة كوريو (٩١٨ - ١٣٩٢). وقد كثرت في فترة حكم هذه الأسرة الاضطرابات الداخلية، ثم عادت كوريا إلى الاستقرار بعد تولي أسرة يي. واستطاع الكوريون أن يؤسسوا حضارة راقية، وابتدعوا أجدية بسيطة للفتهم.

ولكن بسبب تعرض كوريا لغزوات جيرانها المتكررة أخذت بسياسة العزلة ابتداء من القرن السادس عشر. واستطاع الكوريون صد الغزو الياباني بين عامي

١٥٩٢ و ١٥٩٨، وكان هذا الغزو خطوة أولى لغزو الصين. وتمكنت القوات الصينية أن توقف تقدم القوات اليابانية عند شمال كوريا، وبعد أن أخفقت في محاولة تقدمها نحو الصين، اضطرت القوات اليابانية إلى الانسحاب من كوريا في سنة ١٥٩٨.

كما تعرضت كوريا للغزو الصيني في عامي ١٦٢٧، ١٦٣٧. إلا أنها استطاعت أن تحافظ على عزلتها، ونجحت في إبعاد الطامعين عنها حتى أواخر القرن التاسع عشر، حين أرغمت على فتح أبوابها للتجارة الدولية. فتم عقد معاهدات تجارية بين كوريا وكل من الولايات المتحدة وفرنسا. وفي عام ١٨٦٧ وقعت معاهدة أخرى مع اليابان، فتحت بموجبها كل الموانئ الكورية للتجارة مع اليابان، مقابل اعتراف الأخيرة باستقلال كوريا.

الصراع الياباني الصيني حول كوريا:

تطلعت أسرة المنج في الصين (١٣٦٨-١٦٤٤) إلى السيطرة على كوريا، وقدم «الصينيون معاونات فعالة لكوريا لمواجهة الغزوات اليابانية في أواخر القرن السادس عشر. وكان الكوريون يكتون كل الاحترام والعرفان بالجميل للصين. ومنذ عام ١٦٣٧ لجأ الكوريون إلى العزلة.

ولكن منذ عام ١٨٦٧ بدأت المنافسة بين الصين واليابان على كوريا، إلى أن قدم الكوريون أنفسهم السبب المباشر للتدخل في شؤونهم ولاندلاع الحرب بين الصين واليابان. ففي عام ١٨٩٤ قامت فتنة داخلية في كوريا، لم يستطع حاكمها القضاء عليها، فاستعان بالحكومة الصينية، التي أرسلت قواتها التي أعادت الأمن والنظام في البلاد.

وأدى تدخل الصين في الشؤون الكورية إلى نشوب الحرب بين الصين واليابان (١٨٩٤، ١٨٩٥)، وقد انتهت هذه الحرب بهزيمة الصين في سنة ١٨٩٥ وتوقيع معاهدة شيمونسكي في ١٧ أبريل ١٨٩٥، ونصت المعاهدة على

الاعتراف باستقلال كوريا، ودفع تعويضات لليابان، وتنازلت الصين لليابان عن تايوان وشبه جزيرة لياوتونغ، وحق الرعايا اليابانيين في إقامة المصانع ، والانشطة الاقتصادية في الصين^(٦١).

الاحتلال الياباني لكوريا:

منذ الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٥) فان الأوساط الحكومية الأمريكية وافقت على الاستعمار الياباني لكوريا، وبعد ذلك وافقت على مشروعية الاحتلال الياباني لكوريا طبقا للاتفاقية الموقعة سنة ١٩٠٥، فيما سمي باتفاقية Taft - Kastura ، وتأكد ذلك في اتفاقية ١٩٠٨ بين السفير الياباني في الولايات المتحدة ووزير الخارجية الأمريكية فيما سمي باتفاقية Root - Takashira . أما البريطانيون فقد اعترفوا بالسيطرة اليابانية التجارية والصناعية على كوريا، منذ عقد الوفاق الأنجلو ياباني في يناير ١٩٠٢ ، وتأكد ذلك في موافقتهم على الحماية اليابانية على كوريا في أغسطس سنة ١٩٠٥.

وبتدعيم الاحتلال الياباني لكوريا سنة ١٩١٠ ، وبالمعاونة الكاملة من الأمريكيين والإنجليز، بدأ اليابانيون سياستهم الاستعمارية ثقيلة الوطأة، فقد حول اليابانيون كوريا إلى مصدر للمواد الخام، وإلى قوة للعمل، وكذلك إلى سوقه لمنتجاتهم ، وقاعدة للعدوان في القارة الآسيوية .^(٦٢)

وأقام اليابانيون حكومة عامة مركزية لكوريا، وخصصوا القوات اليابانية اللازمة لتنفيذ أحكامها. وكان أول حاكم ياباني لكوريا هو Teruchi الذي أعلن أن على الكوريين تنفيذ القانون الياباني أو التعرض للحكم بالاعدام، الأمر الذي أدى إلى الانتفاضة الكورية ضد الاحتلال الياباني سنة ١٩١٩، وبالتالي ازداد الحكم الياباني قسوة وقمعا، ونحلت كوريا إلى أراض عملوها ثكنات القوات اليابانية والشرطة والسجون.

وكانت الأحكام القاسية تصدر على الأفراد لاجتراحاتهم الوطنية، وقد رصد اليابانيون أنفسهم هذه الأحكام، فطبقا للوثائق اليابانية، فإنه بين عامي ١٩١١، ١٩١٨، فإن حالات الأحكام بالسجن بتهمة مناهضة الاحتلال وصلت إلى ٤٦١٤٤٢ شخصا، كما وصل عدد المعتقلين السياسيين بدون محاكمة ٧٩٣٤٣ سنة ١٩١٩، ووصل عددهم سنة ١٩٢٩ إلى ١٣٨٠٠٠ شخص^(٦٦).

كما أقام اليابانيون نظاما تعليميا في كوريا يقضى باعمال العملية التعليمية، وبلغت نسبة الأمية أكثر من ٨٠% حتى مع بداية الثلاثينات.

كما سيطر اليابانيون على الحياة الثقافية، ونهبوا التراث الأثري للشعب الكوري، فنهبوا محتويات المقابر الملكية القديمة في ميونج يانج وكيونج وكيونجيو، كما استولوا على الأعمال الفنية الثمينة، وحملوا الوثائق ومئات الألوف من الملفات إلى طوكيو... لقد حاول اليابانيون طمس معالم التاريخ الكوري، من أجل تحقيق مصالح حكمهم الاستعماري.

كما سيطر اليابانيون على الاقتصاد الكوري، وأدت السياسة الاستعمارية القاسية إلى وقف التقدم الصناعي في كوريا، وبالتالي فإنه مع منتصف العشرينات، فإن الرأسمال اليابان في كوريا شكل أكثر من ٩٠% من الرأسمال الصناعي في كوريا. وأكثر من ذلك فإنه خطط للصناعة الكورية كي تكون أساسا لتقدم المواد الخام، والمواد نصف المصنوعة للمصانع اليابانية، أي أن الصناعة الكورية لم تكن أكثر من ذيل للصناعات اليابانية.

وأجبر العمال الكوريون على العمل أكثر من إثني عشر ساعة يوميا، وكانوا يتقاضون أجورا ضئيلة لقاء عملهم، أو أقل من ثلث ما كان يتقاضاه العامل الياباني. هذا بالإضافة إلى أنه لم تكن هناك هيئة لرعاية العمال، ولا تعويضات عند العجز أو الشيخوخة.

أما بالنسبة للأراضي الزراعية، فإن اليابانيين استولوا على مساحات شاسعة منها، فبين عامي ١٩١٠، ١٩١٩، وبعد تأسيس الشركة اليابانية للتنمية الزراعية، فإن الهدف الأساسي كان الاستيلاء على الأراضي الزراعية، مما أدى إلى ملكية اليابان لأكثر من ٢٠% من الأراضي الزراعية الكورية. كما عمد اليابانيون إلى استغلال الانتاج الزراعي، فهم كانوا ينقلون منذ عام ١٩٢٧ نحو ٦,٦٠٠,٠٠٠ سوك Sok من الأرز سنويا وحتى عام ١٩٣١ بما يساوي ٤٢% من إنتاج الأرز في كوريا.^(٦٧)

الحركة الوطنية في كوريا حتى قيام الحرب العالمية الثانية:

تعود الحركة الوطنية الكورية إلى بداية الاستعمار الياباني لكوريا، ولكن القفزة الوطنية كانت واضحة ومؤكدة في ثورة أول مارس ١٩١٩. وقد ظلت الانتفاضة مستمرة نحو عشرة أشهر، واشترك فيها نحو ٢ مليون كوري، ووصل الحال بالحركة الوطنية الكورية إلى إعلان الاستقلال في أول مارس ١٩١٩ في سول، ولكن سرعان ما هبط المد الوطني، وقامت الشرطة اليابانية باعتقال زعماء الثورة.

وفي عام ١٩٢٤ تشكل اتحاد العمال والفلاحين، والذي انقسم بعد ذلك إلى اتحادين أحدهما للعمال والثاني للفلاحين، ثم تشكل بعد ذلك اتحاد الشباب الكوري، وكل هذه الاتحادات كانت منوطة للاحتلال الياباني للبلاد. وبين عامي ١٩٢٠، ١٩٢٥ وقع ٣٣٠ إضرابا للعمال في كوريا باشتراك ٢٧٠٠٠ عامل، كما قام الفلاحون بنحو ٥٧٠ إضرابا باشتراك ٣٠٠٠٠ فلاح، كما وقعت مظاهرات طلابية عديدة.

وفي أبريل ١٩٢٥ تشكل الحزب الشيوعي الكوري، ولكن اختفى الأمر الانتظار بضع سنوات حتى يتمكن من تدعيم موقفه. وقد واجهت الحركة الشيوعية الكورية العنف الياباني الشديد، كما كان هناك العديد من تقصّلات

الضعف في الكوادر الشيوعية، وعدم استطاعتها الانتشار بين الجماهير، وذلك لصعوبة فهم النظرية الماركسية، وعدم مسايرة الحزب الشيوعي الكوري لظروف الدولة الكورية^(٦٨).

وتعتبر المرحلة بين أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات مرحلة الإعداد للثورة الكورية المسلحة، وفي ٦ يوليو ١٩٣٠ تشكلت أول وحدة عسكرية في جيش التحرير الكوري، وأمكن الحصول على السلاح بعدة وسائل منها الاستيلاء عليه من العدو الياباني، والشراء من قنوات مختلفة.

واستلزم الأمر البحث عن قاعدة عسكرية رئيسية لجيش الثورة، وكان ذلك مستحيلاً داخل كوريا بسبب قسوة الاحتلال الياباني، وهكذا أنشئت القاعدة العسكرية لجيش الثورة في منطقة الغابات على طول نهر تومان Tuman في شرق منشوريا، وهي منطقة جبلية وعرة، كما أن ٨٠% من السكان (حوالي ٤٠٠,٠٠٠) كانوا من الكوريين المهاجرين من الغزو الياباني، وتحلى جيش الثورة الوليد بروح عالية، واستخدم التضلُّيس بمهارة.

واعتباراً من عام ١٩٣١ بدأت العمليات الحزبية للثوار، ولكن القاعدة الثورية الكورية تعرضت لهجوم ياباني ثقيل الوطأة في سبتمبر ١٩٣١، ووقعت هناك مذبحه قاسية بين صفوف الفرق الثورية الكورية في شرق منشوريا، وتم إحراق القرى، مع قتل الرجال والنساء والأطفال، في محاولة للقضاء على جيش الثوار.

وفي مارس ١٩٣٢ تم تشكيل قوة من الثوار الكوريين على شكل جماعات حرب العصابات، وذلك لتجنب المواجهة العسكرية المباشرة مع قوات متفوقة عدداً وعدة. وأمكن الانتهاء من تشكيل هذه القوة في ٢٥ أبريل ١٩٣٢. واتخذت القوات الثورية قواعدها على طول نهر تومان، وبدأت المواجهات الدموية اليومية بين الطرفين.

وفي عامي ١٩٣٤، ١٩٣٥ ازدادت العمليات الناجحة لحرب العصابات، وأمكن للقوات الثورية الكورية توجيه ضربات موجة للقوت اليابانية. وفي عام ١٩٣٧ بدأت العمليات المركزة لقوات التحرير الكورية ضد القوات اليابانية في داخل كوريا.

وكان الزعيم الكوري الشيوعي كيم إيل سونج من أبرز القيادات التي أخذت على عاتقها إعداد قوات التحرير، واستغل كيم فترة الحسب الصينية اليابانية في يوليو ١٩٣٧، ومحاولة اليابان احتلال الصين في تصعيد هجمات الثوار على القوات اليابانية في كوريا، بحيث اجتاحت عمليات الثوار كل مكان في كوريا، حتى جاء شهر مارس عام ١٩٣٨ عندما ألقت القوات اليابانية القبض على العديد من مؤيدي الثورة الكورية. (٦٩)

تقسيم كوريا:

عاشت كوريا ظروفًا صعبة إبان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) وتعرضت لحركات قمع عنيفة من حكومة الاحتلال الياباني، وقيدت الحريات، وتم اعتقال عشرات الألوف من المواطنين.

ومنذ عام ١٩٤٣ - أي أثناء الحرب العالمية الثانية - بدأ الحلفاء يفكرون في المصير الذي ستؤول إليه كوريا بعد تحريرها من الاستعمار الياباني. وكان أول مؤتمر دولي درس مصير كوريا هو مؤتمر يالطا Yalta (في شبه جزيرة القرم) في ٤ نوفمبر ١٩٤٥، حيث اتفق المؤتمرون (روزفلت وستالين وتشرشل) على تقسيمها إلى منطقتي احتلال: تحتل القوات الأمريكية القسم الجنوبي، وتحتل القوات السوفيتية القسم الشمالي. ثم عين مؤتمر بوتسدام (قرب برلين) في الفترة من ١٦ يوليو إلى ٢ أغسطس ١٩٤٥ الحد الفاصل بين المنطقتين الجنوبية والشمالية بخط العرض ٣٨.٥. ولم يقصد المؤتمرون بهذا الخط المصطلح تقسيم كوريا، وإنما الفصل بين القوات السوفيتية التي دخلت شمال كوريا في ١٢ أغسطس ١٩٤٥،

والأمريكية التي احتلت القسم الجنوبي في سبتمبر من نفس السنة. وهذا الحل الذي قرره مؤتمر يالطا، وشرح تفاصيله مؤتمر بوتسدام لم يكن يمثل في نظر المؤتمرين الحل النهائي والدائم للمسألة الكورية، وإنما كان حلاً مؤقتاً يجب تعديله، خاصة أن الولايات المتحدة كانت تريد منذ عام ١٩٤٣ أن توضع كوريا كلها تحت نظام الوصاية الدولية. وفي الاجتماع الذي عقده وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى في موسكو في أواخر عام ١٩٤٥ ناقش المؤتمرون موضوع الوصاية، وأقرّوه من حيث المبدأ.

ولكن رد الفعل لدى القوى الثورية في كوريا، بما في ذلك الحزب الشيوعي الكوري المعارض لنظام الوصاية كان قوياً وعنيفاً، فقررت رفضه. إلا أن الحزب الشيوعي الكوري سرعان ما غير موقفه المعارض لنظام الوصاية إلى موقف المؤيد. وبدأت الخلافات في وجهات النظر الأمريكية والسوفيتية حول التفاوض مع كوريا، ومن هي الجبهة التي تمثل الشعب الكوري، وبالتالي بدأ الخلاف على مستقبل كوريا برمته.

ثم عرضت القضية الكورية على الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ولكن عندما فشل الأمريكيون والسوفيت في التوصل إلى صيغة مقبولة لإقامة حكومة موحدة، تم في عام ١٩٤٨ إعلان قيام دولتين كوريتين إحداهما شيوعية في الشمال وعاصمتها بيونغ ياتنج والأخرى رأسمالية تدعمها الولايات المتحدة في الجنوب وعاصمتها سيول. واعترفت الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الاشتراكي - في ذلك الوقت - بحكومة كوريا الشعبية في الشمال، واعترفت الولايات المتحدة وبعض حلفائها بحكومة كوريا الجنوبية . ومن ناحية أخرى قرر الاتحاد السوفيتي سحب قواته من كوريا الشمالية، مما دفع الولايات المتحدة إلى اتخاذ موقف مماثل. إلا أن جلاء القوات السوفيتية والأمريكية عن كوريا لم يحل المشكلة، إذ قامت على طرفي خط العرض ٣٨ ٥ حكومتان الأولى تعتمد على الدعم

السوفييت في الشمال، والأخرى في الجنوب تدعمها وتؤيدها الولايات المتحدة. وهكذا بعد أن تحررت كوريا من الحكم الياباني سنة ١٩٤٥، وبعد ٣٥ عاما من الاحتلال، انقسمت إلى دولتين.

الحرب الكورية ١٩٥٠ - ١٩٥٣:

تعتبر الحرب الكورية أول نزاع عالمي مباشر أدت إليه الحرب الباردة، فبعد انسحاب القوات الأجنبية من الشمال والجنوب، وقعت اشتباكات بين قوات كل من كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية في عام ١٩٤٩، حتى أن خط العرض ٣٨ أصبح مسرحا لمعارك عسكرية دائمة بين الطرفين، ولم يتمكن أحد من تحديد المستول عنها. وجاءت الامدادات السوفيتية إلى كوريا الشمالية (الشيوعية) والمالت الامدادات العسكرية الأمريكية على كوريا الجنوبية (الرأسمالية).

وإزاء هذا الموقف، أقدمت الولايات المتحدة على دعوة مجلس الأمن للانعقاد والنظر في المسألة الكورية.

وفي ٢٥ يونيو ١٩٥٠، انعقد مجلس الأمن في غياب مندوب الاتحاد السوفييتي، الذي أعلن أن بلاده لن تشارك في جلسات المجلس، طالما أن الصين الشعبية لم تمثل المركز الدائم الذي تحتله الصين الوطنية في مجلس الأمن، وأن بلاده لن تعترف بشرعية أي قرار يتخذ بمشاركة ممثل الصين الوطنية. وأدى غياب الاتحاد السوفييتي عن جلسة مجلس الأمن إلى نجاح الولايات المتحدة في الحصول على مانريد من المجلس دون الاصطدام بحق النقض (الفيتو) السوفييتي. وهكذا صدر قرار مجلس الأمن بإدانة هجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية، وسحب القوات الشمالية إلى شمال خط عرض ٣٨.

وفي ٢٧ يونيو ١٩٥٠ أمر الرئيس الأمريكي هاري ترومان القوات الأمريكية بمعاونة قوات كوريا الجنوبية، بل ومهاجمة كوريا الشمالية ذاتها. وقد

اتخذ مجلس الأمن قراراً آخر يطلب فيه إلى الولايات المتحدة اختيار القائد العام للقوات الدولية، وأعطى هذه القوات الحق في استخدام علم الأمم المتحدة، أي أن التدخل الأمريكي في كوريا كان ولو شكلياً تحت مظلة التنظيم الدولي^(٧٠). ولكن هذا التدخل الأمريكي في الصراع الدائر بين الكوريتين أدى إلى التدخل السوفيتي، وكذلك التدخل الصيني إلى جانب كوريا الشمالية، واستطاعت القوات الشيوعية أن تحرز انتصارات عديدة، مما اضطر قوات الأمم المتحدة إلى التهاجر بغير نظام نحو الجنوب^(٧١).

وقد ظهرت نداءات في الولايات المتحدة نفسها تطالب بإيقاف هذه الحرب، ففي ربيع عام ١٩٥٢ قام دعاة السلام بمظاهرة كبرى ضد إنغماس الولايات المتحدة في الحرب الكورية، واستخدامها للأسلحة المخطورة دولياً، كما اندلعت مظاهرات في دول العالم الاشتراكي ضد الممارسات القمعية في الحرب الكورية^(٧٢).

ولم يكن في الإمكان الاستمرار في هذه الحرب إلى ما لا نهاية، وهكذا بدأت المفاوضات في ١٠ يوليو ١٩٥١ للتوصل إلى الهدنة، ولكنها لم تصل إلى نتيجة حاسمة بشأن وقف القتال إلا في أواخر يوليو ١٩٥٣، وقد أدى الاختلاف في وجهات النظر إلى قطع المفاوضات أكثر من مرة. ولكن بعد جهود كبيرة تم التغلب على كل المصاعب، وهكذا وفي ٢٧ يوليو ١٩٥٣ تم توقيع الاتفاق الأخير الذي حدد المنطقة المجردة من السلاح بامتداد ٢ كم على كل جانب، وبالتالي تم التوصل إلى اتفاق الهدنة وبذلك انتهت الحرب الكورية. وفي هذه الحرب تكبد الأمريكيون ١٤٢,٠٠٠ قتيل، وكوريا الجنوبية حوالي ٣٠٠,٠٠٠، وكوريا الشمالية ٥٢٠,٠٠٠ والصين الشعبية حوالي ٩٠٠,٠٠٠^(٧٣) أما خسائر الولايات المتحدة العسكرية والمادية فكانت عبارة عن تدمير ١٢,٢٢٤ طائرة حربية، ٥٦٤ سفينة حربية من أنواع مختلفة، ٣٢٥٥ دبابة وعربة مصفحة،

٧٦٩٥ من قطع المدفعية الثقيلة، وتكلفت الولايات المتحدة ١٦٥ مليار دولار من تكاليف الحرب (٧٤).

وبالرغم من نشوب الحرب الكورية، فإن الوضع في شبه الجزيرة ظل كما كان عليه دون تغيير، وتمكنت هيئة الأمم المتحدة من الحصول على موافقة الطرفين على تثبيت الوضع الراهن، وهذا يعني أن الحرب الكورية قد انتهت بلاغالب أو مغلوب، وبقيت كوريا الشمالية تدور في فلك الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية، وإن كان الموقف قد تغير الآن بعد اختيار الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩١، أما كوريا الجنوبية فبقيت في دائرة فلك الولايات المتحدة.

لقد أكدت الحرب الكورية تقسيم البلاد، وأرست قواعده، وزادت من حدة الخلاف بين الجنوب والشمال، ولم يكن التقسيم على امتداد خط عرض ٣٨ شمالاً في صالح البلاد على كافة المستويات، فالشعب في كلا القسمين شعب كوري واحد، واقتصاد القسمين واحد ومتكامل، والفصل بينهما قد أضر بالتأكيد بالاقتصاد الكوري كثيراً، لأن الثروة المعدنية تتركز في كوريا الشمالية الجبلية، بينما تتميز كوريا الجنوبية بالثروة الزراعية لسهولة الواسعة الخصبة، وأدى التقسيم إلى نقص في المواد الخام اللازمة للصناعة في الجنوب وإلى نقص في المواد الغذائية في الشمال (٧٥).

وقد تحطمت كل محاولات تحقيق الوحدة لكورية على صخرة الوجود العسكري الأمريكي في كوريا الجنوبية (حوالي ٤٠,٠٠٠ جندي) هذا بالإضافة إلى اختلاف نظام الحكم في الكوريتين، إذ تتبع كوريا الشمالية النظام الاشتراكي حتى الآن، بينما تتبع كوريا الجنوبية النظام الرأسمالي، وتحاول كوريا الشمالية التمسك بإمكانية تحقيق الوحدة الكورية على النظام الكونفدرالي، ولكن بشرط انسحاب القوات الأمريكية من كوريا الجنوبية. ولكن كوريا الجنوبية لها شروطها أيضاً والمتعارضة مع آراء كوريا الشمالية. ولكن مع اختيار الاتحاد السوفيتي،

وإحلال الخصخصة واقتصاديات السوق في الصين، والمجيار الشيوعية في شرق أوروبا، فإن كوريا الشمالية بقيت حتى الآن محافظة على النظام الشيوعي، وكأنها تمثل متحفا للحياة الشيوعية المنقرضة في العقد الأول من القرن الحادى والعشرين. وعلى أية حال فإنه من المتوقع بعد تشابه نظام الحكم في الكوريتين، أن يتم وضع الأسس الحقيقية اللازمة لتحقيق الوحدة الكورية.

الفصل العاشر

تطور تاريخ الهندويزم والمذيع والمعاصر

تتكون اندونيسيا من ١٧٠٠٠ جزيرة تمتد على مسافة ٥٠٠٠ ميل، ومع امتداد خط الاستواء. وتقع شبه جزيرة الملايو والهند الصينية إلى الشمال والغرب، كما تقع القارة الأسترالية في الجنوب، وتقدم الجزر حياة فريدة مليئة بالبراكين والجبال والحياة البرية. وغالبية الجزر صغيرة وبلا أهمية، ولكن هناك جزر كبيرة مثل سومطره وكاليمانتان (بورنيو سابقا) وجاوا التي تعتبر أكثر الجزر سكانا، وهي تضم العاصمة جاكارتا، وهناك جزر مثل بالي ولومباك وغيرها (٧٦).

أندونيسيا في بداية العصور الحديثة:

قام التجار المسلمون من فارس والهند بزيارات تجارية إلى إندونيسيا منذ القرن الثالث عشر، وأسسوا علاقات تجارية بين إندونيسيا والهند وفارس. وقد أدى هذا إلى انتشار الإسلام في هذه المنطقة وخاصة على السواحل. وفي مرحلة تالية أمكن لهؤلاء التجار نشر الإسلام في داخل البلاد، وفي داخل القصور الملكية، وكان من أوائل من أعتنقوا الإسلام من ملوك جزر إندونيسيا سلطان ديماك، وقد نشر هذا الملك الإسلام على طول الساحل الشمالي لخليج جاوا غربا إلى باتن، وشرقا إلى مملكة جريبسك. وأمكن له في النهاية إسقاط مملكة ماجا باهت القوية (١٢٩٣ - ١٥٢٠). وبعد سقوط ماجا باهت انتشر الإسلام في سلطنات بون وجوا وترنات وتيودور ومالوكو.

وانتشرت العقيدة الإسلامية شمالا إلى جاوا، في بورنيو وغربا إلى ستومطره وباساي وبرلاك وغيرها.

وكانت عاصمة مملكة غرب جاوا (مملكة باجاجاران) هي سوندا كلايا (منذ عام ١٣٠٠) ولكن حلت محلها العاصمة الحديثة جاكارتا. وفي عام ١٥٢٧ تمكن سلطان ديماك من فتح سوندا كلايا، والتي سميت بعد ذلك باسم جايا كارتا بمعنى المدينة الكبيرة، وهذا هو أصل الاسم الحديث جاكارتا.

البرتغاليون في إندونيسيا:

وصل البرتغاليين إلى إندونيسيا سنة ١٥١١، بعد أن هزموا السلطنة الإسلامية في ملقا في شبه جزيرة الملايو، وحاولوا نشر المسيحية في تلك الأنحاء.

وقد توحد سلاطين أكو في سومطرة، وسلطان ديماك في جاوا وسلطان ترنات في جزر مالوكو في محاولة للتصدي للقوات البرتغالية، وفي غضون ذلك الوقت اعترفت نحو ٧٢ جزيرة إندونيسية بسلطة سلطنة ترنات، وتضمن ذلك جزيرة تيمور. وفي عام ١٥٧٠ نجح البرتغاليون في قتل سلطان ترنات السلطان خيرون، وقد تمكن خلفه السلطان باب الله من حصار القلعة البرتغالية في ترنات، ثم تحالف باب الله مع الهولنديين لمواجهة البرتغاليين.

وفي عام ١٦٥١ هاجم الهولنديون كوبانج في تيمور الغربية. وعلى الرغم من تواجد الهولنديين في تيمور، فإن التحديد الرسمي للحدود بين القسوتين الاستعماريين لم يتم إلا بعد قرنين من الانتصار الهولندي في كوبانج، فقد تم ذلك في ٢٠ أبريل ١٨٥٩، حين وقعت هولندا معاهدة مع البرتغال لتقسيم تيمور إلى منطقتي نفوذ هولندية وبرتغالية، حيث احتل الهولنديون الجزء الغربي، واحتل البرتغاليون الجزء الشرقي من الجزيرة، وظلت البرتغال مهيمنة على شرقي تيمور إلى أن انسحبت منها في عام ١٩٧٥.

بداية الاستعمار الهولندي:

حاول الهولنديون المشاركة في تجارة التوابل مع بداية القرن السابع عشر، وأسسوا لهذا الغرض شركة الهند الشرقية الهولندية سنة ١٦٠٢، وخصصوا لسفن شحن التوابل سفنا حربية مسلحة لحمايتها.

(٢) انظر الفصل الأول من الكتاب

وفي غضون ذلك الوقت كان سلطان ماتارام السلطان أجونج هانيو كروزومو قد اعتنق الإسلام، وتم نشر الإسلام في السلطنة، وتقدمت الثقافات والفنون، واعتبارا من عام ١٦٢٣، نظم هذا السلطان سلطته طبقا للنهج الإسلامي.

وكان السلطان أجونج عدوا صعب المراس للمولنديين، فقد أرسل قواته في عام ١٦٢٩ لمهاجمة باتافيا، ولكن أمكن للحاكم العام المولندي الجنرال جان بيرتززون كوين ردها على أعقابها.

وكان المولنديون منذ الاستيلاء على أمبون في ملقا سنة ١٦٠٥، وجزيرة باندا في عام ١٦٢٣، قد تمكنوا من احتكار التجارة في جزر التوابل.

كما قام السلطان حسن الدين في جوا بحرب ضد المولنديين في عام ١٦٦٦، ولكنه هزم، وأصبحت جوا كدولة تابعة لهولندا طبقا لمعاهدة بونجاو سنة ١٦٦٧. كما هاجم أمير مادورا القوات المولندية أيضا، ولكنه هزم وقتل في عام ١٦٨٠.

وفي عام ١٧٤٠ قضى المولنديون على ثورة في جاكرتا، والتي قام بها الصينيون، والذين انضم إليهم بعد ذلك الإندونيسيون، وقد قتل في هذه الثورة عشرة آلاف من الصينيين.

أما مملكة ماتارام، فقد بدأت في الاضمحلال بعد أن تم تقسيمها إلى ولايتين يوجيا كارتا، وسورا كارتا، وأدى ذلك إلى السيطرة المولندية الإدارية منذ تسعينات القرن الثامن عشر على كل باتافيا^(٧٧).

وكانت السفن الدنماركية والأمريكية كثيرا ما تأتي في هذه الفترة إلى هذه المناطق. على أن الثورة الفرنسية وحروب نابليون زادت في المتاعب، فإن فرنسا احتلت البلاد المولندية في سنة ١٧٩٥ وقلبت الهيئة الحاكمة القديمة وألغيت الشركة المولندية الشرقية بعد سنوات قليلة، وقامت الحكومة الجديدة في هولندا

بإدارة أعمالها، وحتى قبل ذلك كان البريطانيون قد تغلبوا على الأسطول الهندي للشركة في مياه جزر الهند الشرقية.

الهندوتيسيا بين هولندا وبريطانيا:

في سنة ١٧٩٦ كانت كل الأراضي الهولندية هناك فيما عدا جاوة والجزر الشرقية قد استولى عليها البريطانيون، ثم أعيدت في معاهدة اميان، ولكن لم تخض سنة حتى قامت حرب أخرى وحسّر الهولنديون أكثر الجزر. ونصبت نابليون أخاه لويس بوناپرت ملكا على هولندا، وفي سنة ١٨١٠ ضم هذه الدولة رسميا فصارت جزر الهند أرضا فرنسية لبعض الزمن ولو أن الرجاء العسادي في إندونيسيا لم يكن يعلم بحجريات الأمور في مسرح العالم وكان إندونيسيا كسرة تقذف وترد من دولة إلى دولة.

كان البريطانيون يعرفون أن الدفاع عن المستعمرة ضعيف وأن نابليون لا يستطيع أن يرسل قوة تساعد هذا الجانب البعيد من امبراطوريته، لذلك تحركوا في قوة كبيرة واستولوا هذه المرة حتى على جاوة.

كان مدير هذا الهجوم البريطاني لورد متو الحاكم العام في الهند، وكان رجلا مستعمرا بعيد النظر ولكن لا تقوم شهرته في الشرق الأقصى على أعماله، بل على مساعدة البارز توماس س. رافلز الذي عرف فيما بعد بمحتشئ ستغافوره الحديثة.

حكم رافلز جزر الهند أكثر من أربع سنوات ابتداء من ١٨١١، وكانت فكرته الجديدة عن الحكم الاستعماري واهتمامه العميق بحياة الإندونيسيين وتقفيهم لها أثر كبير في تاريخ البلاد فيما بعد، ولم يتم فعلا الكثير في أيام حكم رافلز، ولكن عندما تنظر إلى آرائه نرى أنها غرست للمستقبل.

كان المستعمرون الهولنديون يتعاملون عادة مع الأمراء وعليه القوم ويتجاهلون عادة ثقافة الشعب وديانته وطريقة حياته مع أن مكاسب الأوروبيين

توقف على مجهود الشعب. أما رافلز ورئيسه لورد منتو فكانا ينظران إلى الجانب العملي كما ينظران إلى الجانب الإنسانى الذى يقضى بالتفكير فيما ينفع الناس، وكانا فضلا عن ذلك عندهما اهتمام حقيقى بتاريخ وطرق معيشة أولئك الناس. فكانا يحيطان نفسيهما بالخبراء الدارسين لحضارة الإندونيسيين وأمورهم، وكتب رافلز نفسه فيها بعد كتابا قيما فى تاريخ جاوة.

كان رافلز طموحا مغرورا شديد المراس ، وفيما بعد كان يقوم بدساتس ليقاوم الصلح بين الهولنديين والبريطانيين، ويشعر بعض الناس أنه كاد يقع فى الخيانة فى سبيل مقاومة حكومته. ولكن الواقع مع ذلك أن رافلز كان أول أوربي فى مركز عال وضع أهل إندونيسيا فى المكان الجدير بهم ، وهذا فهو جدير بأن يشغل مكانا محترما فى تاريخ الدولة ولو أنه لم يعمل كثيرا إلا أن يقطع الصلة بالماضى فى الوقت الذى عادت فيه إندونيسيا إلى الهولنديين فى سنة ١٨١٦ بعد مؤتمر فينا.

ربما أن رافلز كان يعلم بمدى الظلم الواقع على الإندونيسيين، وكان يشعر أن النظام السابق الذى يقضى على الأهالى بتسليم المنتجات قسرا عن طريق الأمراء لا يمكن أن يدوم طويلا، فإن الموظفين الهولنديين كانوا يطلبون كمية محددة من الأرز أو الفلفل أو البن بأثمان محددة، فكان ذلك يؤدي إلى ضغط الأمراء وطحنهم للفلاح. وليس هؤلاء الذين يعملون العمل الحقيقى أى صالح فى العمل أو فائدة ملحة لتحسين الزرع. وكانت نظرية رافلز قائمة على أن جزءا كبيرا من الأرض ملك للأوروبيين فى بنافيا ويمكن تأجيرها للفلاحين الذين يتعاملون مباشرة مع أصحاب الأرض فى بنافيا بدلا من أولئك الاقطاعيين.

ولكن زعماء القرية كان يعتقدون اتفاقهم تحت نظام الإيجار للفلاحين، وكثيرا ما كانوا يسيئون استعمال سلطانهم بقدر إساءة الأمراء فى الماضى، وكانت هنالك أخطاء أخرى فى النظرية ولكنها كانت تشير للطريق إلى نظام

اجتماعى أحدث، وفي بضع سنوات يقضى على النظام الإقطاعى نهائيا، وحسب
لانساعده على رضاء الناس في التطبيق العملى إلا قليلا، وفي رأى النقاد الكثيرين
لنظريته عن المولنديين أن لا علاقة لها بأية آراء إنسانية ولكنها في الواقع تفتح أفقا
جديدا، فقد أعلنت فعلا على الأقل أن الإدارة الاستعمارية يجب أن يكون
مرمها الأول رضاء العامة من السكان.

وبعد اثني عشر عاما من عودة المستعمرة إلى المولنديين بعد إنتزاعها من
رافلز حدث تغير من أهم التغيرات في الحياة الاقتصادية، ذلك هو اتباع "نظام
الانتاج الزراعى" فقد أدى إلى تعديلات واسعة النطاق، وبهذه السياسة صارت
جزر الهند في الواقع مزرعة هولندية عظيمة تنظمها وتشرف عليها حكومة بنافيا،
فلم يعد الإشراف على الفرد الإندونيسى مباشرا فقط، بل صار المولنديون أكثر
نشاطا في مجرى الأمور العملية، فهم يتولون انتخاب الحاصلات وتقرير طريقة
إنتاجها وهم الذين يقومون بالبحوث الواسعة وينشئون الأعمال الهندسية
كالتنظيم الواسع للرأى.

وقبل ذلك كان المولنديون مجرد تجار يشترون الحاصلات، والإندونيسيون
مجهزين على تسليمها لهم، ولكنهم أصبحوا مزارعين ناشطين يتولون أكبر مزرعة
في العالم، وفي زمن سابق حاولوا في جزر ملوكو أن يتولوا انتاج القرنفل وجوز
الطيب ولكنهم في غيرها ولاسيما في بنافيا قبل نظام الانتاج الزراعى، كان
للمولنديين مراكز تجارية لحد ما كالمراكز التي أنشأها شركة خليج هدسون في
كندا أو مثل حصن بنت وغيره من المواقع التي أقامها تجار الفرو الأمريكيون في
الغرب الأمريكى.

ظلت الطريقة الجديدة في التنظيم والإدارة تزيد المكاسب بعض الوقت، ثم
كان لها تأثير كبير في تقدم الزراعة في إندونيسيا. على أن الفلاح الذى قاسى
طويلا لم يستفد إلا مجرد استبدال الحكم القديم للأمرء بحكم دولة أجنبية.

والواقع أنه صار أسوأ حالا. لأن السيطرة الهولندية على حياته كمزارع لم تنه أنواع السيطرة الأخرى التي يتألم منها، فقد ظلت للملك ورؤساء القرى سيطرتهم الكبيرة يؤيدها الهولنديون ما دامت لا تتعارض مع أعمالهم.

وقد أصيبت "المجالس القروية" المحلية بضرر حقيقي، وكانت نوعا من الديمقراطية الأساسية، وكانت هذه المجالس لابد أن تتخذ قراراتها بالإجماع، ويؤجل التنفيذ حتى يتفق الأعضاء جميعا، وكان زعيم القرية مجرد متحدث عن الجماعة لا حاكم القرية، ولكنه بموجب نظام الانتاج الزراعي صار الحاكم المستبد الفعلي بحكم القوة الاقتصادية التي منحها له الهولنديون.

زاد النظام الزراعي الهولندي مساحة الأرض التي صارت تحت سيطرة الهولنديين زيادة كبيرة أو على الأصح صارت سيطرتهم على مساحة فعلية بعد أن كانت لهم مراكز متفرقة في الماضي وكانت الزيادة نتيجة للفكرة الجديدة عن التوسع في زراعة المحاصيل في الداخل بدلا من الاعتماد على مواقع التجارة والمساحات القريبة من الموانئ.

وقامت أيضا حركة يراد بها مقاومة مغامر جرىء بريطاني هو جيمس بروك الذي سمي فيما بعد الراجا الأبيض لساراواك، ففي سنة ١٨٤٠ وضع يده على الطرف الشمالي لجزيرة بورنيو حيث لاتزال ثلاثة أقسام من أرضها بريطانية وهي: ساراواك، وبرونى، وشمال بورنيو.

فإن الطريقة التي هي أشبه بما يجري في أفلام هوليوود السينمائية والتي بين بها بروك إمبراطورية على إحدى الجزر التي تنتمي إلى هولندا جعلت الهولنديين يفكرون في أن الوقت حان لتثبيت حقوقهم، لذلك عملوا في الخمس عشرة سنة التالية لمقاومة التهديد البريطاني ووجدوا فرصة للاستفادة من حاصلات جديدة بزيادة رقعة الأرض التي تحت سيطرتهم إلى نحو حجم الجمهورية الاندونيسية الحاضرة.

وفي أثناء منتصف القرن التاسع عشر أخذ الإصلاحيون الهولنديون يمتحنون على المعاملة غير العادلة بل الوحشية التي يعامل بها الإندونيسيون لا سيما ما يسمى "التهدة" الإجبارية في المساحات التي يضعون اليد عليها، وصارت الحكومة منذ ذاك الزمن تهاجم دائما على الأقل من جانب الرأي فيتهم الموظفون بتقضى للمعاملات والسماح بالرق وتشجيع تجارة الأفيون وتجريد الجزر من مواردها دون أن تكون لإندونيسيا فوائد في مقابل ذلك. ومعاملة الأهالي كمواطنين من الدرجة الثانية في نفس موطنهم، وكان النقد يوجه بصفة خاصة إلى إهمال الضروريات، لا سيما التعليم، مع أن الأهالي هم تحت وصاية هولندا. وكما أن كتاب "كوخ العم توم" أثار قلوب الأمريكيان على الرق في تلك البلاد، كذلك أثار كتاب هولندي شهير اسمه "ماكس هافيلار" الرأي العام على سياسة هولندا في جزر الهند وكان مؤلفة داووس ديكر الذي نشره تحت اسم "ملتانولي" موظفا استعماريًا سابقا. وقد رأى الأمور رأى العين وكذلك شأن و.ر. فان هيفل القس الذي صار مدافعا قويا عن الكرامة والمعاملة الإنسانية بعد أن طرد من جزر الهند للتصريح بمثل هذه الأقوال فيها.

وكان الرجال من أمثال ديكر وفان هيفل وغيرهما يجادلون تأييدا في تيسار التحرر الأوربي الناشئ، وكان من نتيجة هذا الضغط أن أجريت إصلاحات كثيرة عندئذ أو بعد قليل فمنع الرق سنة ١٨٦٠ أي قبل أن يعلن لنكولن في أمريكا إلغاء الرق بستين وأجريت تحسينات في المحاكم والقضاء وحرمت وسائل الغش الصارخ للإندونيسيين في المعاملات نظريا وانتهت لحد ما عمليا، على أن الإصلاح الذي كان له أثر ثابت باقي فهو قانون منع غير الإندونيسيين من شراء الأراضي.

وما يناسب الآراء التحررية في ذاك الزمن كانت هنالك حركة كبيرة للذهاب الأفراد للعمل في جزر الهند وهجرة متسعة من الوطن الهولندي الأصلي،

وحاول الموظفون بمدينة بنافيا في بادئ الأمر أن يستفيدوا ماليا ببيع الأراضي، وكان هنالك خطر حقيقى في أنه لو استمرت هذه السياسة لسيطر أصحاب الأموال الأجانب لا على موارد أعمال الجزر وحدها، بل على كل أراضئها، ولتملك الأرض عدد أقل وأقل من الأيدى فتتشأ طبقة من أصحاب الأراضي وتقوم مشكلة ملاك الأرض التى لاتزال مثار المتاعب في جهات أخرى من آسيا. ومن مواطن ضعف الدعوة الشيوعية في إندونيسيا أن أصحاب هذه الدعوة لا يستطيعون التوسع في الكلام عن مشكلة ملاك الأرض وهى نقطة ارتكاز لدعوتهم في غيرها من البلاد، فإن في إندونيسيا مشاكل قد تدعو للباس ولكن فيها أسس متين هو الاتساع في توزيع الأراضي. وهذا الاتجاه زاد في سنة ١٩٦١ حين صار من برنامج الرئيس سوكارنو تحديد الأرض التى يمكن أن يمتلكها أحد الأفراد.

وفي تاريخ إندونيسيا كثير من التحولات فيما إذا كانت الحكومة تشارك في المعاملات التجارية أو تمتنع عنها، ولم يكن نظام الانتاج الزراعى إلا أهم خطوة اتخذتها الحكومة. أما السيطرة على إنتاج التوابل في جزر ملوكو فانتهت بعد رافلز بقليل، وأما نظام الانتاج الزراعى فقد أعاد الموظفين بنافيا إلى المعاملات التجارية ثانية، وأخذوا يتاجرون في كثرة لاسيما في البن والسكر، وظل الحال على ذلك إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حين ابتدأ الأفراد من الهولنديين يتدخلون ويبيعون الموظفين. وركزوا على نوع من المنتجات وهو البن.

وكان آخر تغير كبير في العلاقات الهولندية مع المستعمرة في بدء القرن الحالى وهو ما عرف باسم "السياسة الأخلاقية" وهذه السياسة تظهر في أن واحد الأثر الإنسان للإصلاح وإزدياد الشعور بين رجال الأعمال الهولنديين بأن رخاء جزر الهند سيجعل منها سوقا عجيبة لمبيعاتهم. وفكروا أيضا في أن الضرائب على

عمل الأفراد في الجزر تساهم في نفقات إدارة المستعمرة، فقد صارت هذه النفقات عبئا ثقيلا على الوطن^(٧٨).

هولندا والاستغلال الزراعي:

من العسير على المرء أن يتحدث في شيء من ضبط النفس عن النظام الهولندي في إندونيسيا، وبحسبنا أن تنقل الفاظ مؤرخ هولندي بحذافيرها، إذ قال: (أن التدمير والمقاومة والانتقامات كانت هي القصة المتكررة الرتيبة بجزر ملكا). وقد وضع كوين مؤسس باتافيا الذي يقول عنه الكتاب الهولنديون في عصره (أنه واصل تنفيذ سياسته بطريقة فيها من الإحرام وسفك الدماء والقتل ما يجعل دم الفقراء الواقع على أم رأسه يصبح مطالبا بالنار والانتقام) وهو الذي وضع المبدأ الذي أقيمت على أسسه السياسة الهولندية فيما بعد، فلقد تساءل قائلا (أفلا يستطيع أي رجل في أوروبا أن يفعل مايشاء بما شئته؟ هكذا يفعل السيد هنا برجاله، ذلك لأن هؤلاء بكل ما يملكون إنما هم في كل مكان ملك للسيد بالمثل، شأنهم في ذلك شأن البهائم بالأراضي المنخفضة. والقانون بهذه البلاد هو إرادة الملك، والملك هنا هو من يكون أقوى الناس) وقديما ادعى ملوك أوروبا أيضا أن القانون هو مشيئتهم، وبعد عهد كوين بزمن قصير، ادعى لويس الرابع عشر أنه هو الدولة. ولم يحدث قط، لا في نظرية الحكم عند الهنود أو المسلمين، أن ادعى أحد أن الحاكم يملك الشعب ولكن مذهب كوين السياسي أصبح أساسا لمعاملات الهولنديين وممارستهم، والدعامة النظرية التي تقوم عليها علاقة المستعمر الهولندي بالكوئلي الإندونيسي، تلك العلاقة التي سادت في إندونيسيا مدة مائة سنة.

والآن وقد تسلم الهولنديون بنظرية مناسبة من هذا الطراز لم يعد لديهم أية فرصة يدعون بها أن عليهم أي التزام خلقى نحو سكان جاوة. بل الواقع أنه ينبغي أن يقال إنصافا لهم أن الغرض الصريح المعترف به من وجودهم بجزر الهند

الشرقية هو الحصول على أقصى ما يمكن الحصول عليه من الأرباح بكل وسيلة تنهياً لهم خلقية كانت أو غير خلقية. كما أن الهولنديين أنفسهم لم يكونوا ينظرون البتة في مطالب السكان حتى ترغمهم الأحداث الدولية في مختلف العصور على فعل ذلك كارهين.^(٧٩)

كانت تجارة التوابل قد عادت على الهولنديين حتى بداية القرن الثامن عشر بأعظم الأرباح، وكانت أرباحهم طائلة جداً في تجارة القرنفل إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر. ولا أدل على ذلك من أن السفينة فكتوريا سقينة ماجلان، أخذت شحنة من القرنفل من ملكا، وباعتها بمكسب مقداره ٢٥٠٠ في المائة. على أن هذه الأرباح أخذت تضمحل عند ابتداء القرن الثامن عشر وذلك لان احتكار الهولنديين اضطر دولا أخرى إلى تشجيع زراعة القرنفل ببلاد الهند وبأماكن أخرى. ثم تبين للقوم أن للين سوقاً ضخمة بأوروبا، وأنه سيكون سلعة تجارية موفورة الأرباح جداً. وفي قريب من ١٦٠٠م أصبح استخدام القهوة شائعاً بأوروبا، وسرعان ما أصبحت شراباً شعبياً. وظهر أن الطلب عليها لا ينتهي عند حد. وقد أدخلت شجرة البن إلى جاوة من ساحل ملبار بجنوب الهند عند ابتداء القرن. ولم تنقض بضعة سنين حتى أصبحت محصولاً من أكبر محصولات الجزيرة. ولما كان البن يتطلب أسعاراً عالية من أسواق العالم، فلعله كان من المأمّل أن يعيد هذا المحصول الرغد إلى فلاحى الجزر، ولكن الشركة لم تكن ترغب في ذلك، وكان الخوف الذى يكثر من تردد التعبير عنه في وثائق تلك المدة هو: (أن سكان جاوة قد يشتد ثراؤهم)، وذلك على حين أن الخيلولة دون تمتع أهل جاوة بأى رغد، وجمع الهولنديين أقصى ما يستطيعون سلبه من ثروة الجزيرة في خزاناتهم هما أبسط أهداف الهولنديين التى يعبرون عنها على الملأ. من أجل ذلك اتبعت الشركة سياسة ذات ثلاث شعب، أولها تخفيض حيزى في أسعار البن بياتافيا، وتحديد للزراعة ونظام صريح للغش كان المنتجون

يضطرون بمقتضاه أن يسلموا ٢٤٠ رطلا إلى ٢٧٠ مقابل ثمن ١٢٥ رطلا فقط. يقبضونه، وبعد ذلك كله، وبعد إجراء تخفيضات لأسباب وذرائع مختلفة لا يصل إلى جيب المزارع الإندونيسي الاثنان ١٤ رطلا. وبذلك كان الجاويون يخادعون في أرباحهم ثوبا وغشا ويحرمون وينكر عليهم حتى الحصول على سعر معتدل لحصولهم، فلا عجب إذن أن يرغب الفلاحون عن زراعة البن. وفوق هذا لم يد "الأقبال" الذين كانوا الوكلاء الإندونيسيين للشركة أبة حماسة في هذا الصدد. ولذلك قرر الهولنديون أن يرغموا كلا من الأقبال والفلاحين على زراعة البن وتقنيمه اليهم بسر محدد. وكانت نظرية الشركة في ذلك بسيطة... ذلك أنهم ورثوا حقوق السيادة التي كانت للسلاطين، وكان لهم من أجل ذلك الحق في الملكية المطلقة للأرض، وكان حق الاستثمار ملكهم بأكملته. وكان الأقبال والفلاحون مجرد وكلاء لهم في العملية. بل الحق أن جاوة كانت في نظر الشركة قد أصبحت مزرعة ضخمة للبن يملكها الهولنديون. ولم يكن المقصود من حق السيادة الذي كانوا يمارسونه إلا أن يعطوا صاحب الزراعة (وهو الشركة في هذه الحالة) الحق على أساس بعض الذرائع القانونية، في جرمان الإندونيسيين حتى من الحصول على أجور معقولة لقاء عمله.

ومن قبل ذلك جعل البن من السلع المحتكرة، وقرابة عام ١٧٦٠ جعل الأقبال مسئولين عن الزراعة، ووضعوا تحت إشراف موظف هولندي، وعين عدد من ضباط الصف يعرفون باسم جاويشية البن، للتأكد من أن الأقبال والفلاحين لا يهملون زراعة البن. والواقع أن خطة المسألة دبرت بنظام محكم كما لو كانت تتم في مزرعة عادية، كما أن البن الذي كان يزرع بتلك الطريقة كانت الشركة تتولى جمعه وبيعه.

كان ما أدخله نظام الضياع الكبيرة في علاقة الهولنديين بالإندونيسيين ثورة صامتة ولكنها بعيدة المدى. وقبل ذلك لم يكن الهولنديون إلا تجارا يشترون

التوابل والأرز اللذين كانت البلاد تنتجهما ويبيعونهما بالأرباح. أجل أنهم استخدموا في ذلك سلطانهم لإنشاء احتكار، ولكن نشاط الشركة التجاري لم يكن يتجاوز هذا الحد إلى التدخل في حياة الأهلىن. على أن التحول إلى اقتصاد يقوم على نظام الضياع الكبرى كان لا ينفوى فقط على الاستغلال الفعلى للعمال، والتحكم الوثيق فى اقتصاد الأهلىن والاشراف الفعلى عليهم، بل ينفوى فى الواقع على تطبيق "نظام إدارة الضياع الكبرى" على قطر بأكمله. فلقب أصبحت جزيرة جاوة مزرعة كبيرة للشركة، كما أن العلاقة بين الحاكم صاحب الحق فى السيادة، وهى الشخصية التى ادعتها الشركة آنذاك لنفسها، وبين رعاياها لم تكن فى صميمها إلا علاقة صاحب ضيعة بعماله الكولية، ولم يكن فيها الطرف الأول صاحب العمل الذى يستخدم العامل فحسب، بل كان أيضا السلطة التى تملك بيمينها حقوق الحياة والموت، وصاحبة وسائل الظلم الشامل الذى لا يستطيع أن يستنبطه إلا نظام قانون تعززه سلطة الحاكم، ولم يكن الطرف الثانى كولا فقط، بل كان كولا ليست له حتى حقوق اسمية على مستخدمه صاحب العمل، الذى لم يكن يستطيع أن يلجأ حياه إلى جهة قضائية ولا جهة تنفيذية. وليس هناك نظير فى التاريخ لتلك الحالة التى حولت فيها ممارسة حق السيادة شعبا بأكمله إلى أمة من كولية الضياع الكبرى، مع السزول بالطبقة الأرستقراطية الأصلية بينهم إلى مركز رؤساء عمال ومشرفين، يفرض عن طريقهم العمل قهرا وينفذ الظلم جورا. ولا ريب أن جماعة "الإنكسا" فى بىرو كانت على هذا النحو من انعدام الرحمة فى إستغلالهم المطرد المستظم للاعمالكن ولكنهم كانوا على الأقل يعيشون فى البلاد كما كانت جميع مكاسبهم تنفق بها. فأما هنا، فكانت المكاسب ترسل إلى بلاد بعيدة ليتمكن بها السادة من الاستمتاع بأسباب الترف العيش بعيدا عن مناظر الكدح والشقاء.

وكان الأقيال هم آلات التعذيب التي تمكن الهولنديون بواسطتها من تنفيذ هذه السياسة القاسية المجرمة من كل رحمة، وكان يعينهم المدير العام، وإن كان المنصب يعد وراثياً، وكان الهولنديون يضعون في اعتبارهم المسدعات الوراثية ويحترمونها على وجه الجملة. ومع أن الهولنديين كانوا يعينونهم في وظائفهم فإنهم كانوا يعدون الفلاح والأرض نفسها ملكاً خاصاً لهم، ويفرضون على الناس جميعاً العمل بالسخرة في مزارع البن. فأما أن الأقيال أنفسهم لم يكن مسموحاً لهم أن يثروا، فأمر يتحلى في أن قوميسر الشؤون الوطنية، وهو السيد الذي كان الأقيال يعملون بإرشاداته كان يضطر عادة إلى إعطائهم قروضا بأسعار الربا الفاحش، لكي يردوها إليه أيام تسليم محصول البن. وكانت الديون تصبح من الفداحة بحيث أنه لم تكن تنقضى فترة قصيرة إلا ويصبح البن المسلم غير كاف لتغطية الفائدة. ولذلك لم يكن أى من الإندونيسيين الفقراء الذين كانوا يضطرون إلى العمل في الحقول بنظام "السخرة" الجارى استخدامه ولا الأقيال الذين يشرفون على العمال يحصلون على أية أرباح، وكانت سياسة منع الإندونيسيين من جمع الثروات تنفذ بأقصى دقة^(٨٠).

الحاصلات الزراعية الأخرى:

كان البن هو المحصول الجديد الوحيد قبل أن يؤدي نظام الانتاج الزراعى إلى التفات الجميع للبحث والتجربة، فلما حدث ذلك كانت النتائج المثيرة الواحدة تلو الأخرى. وصارت الحدائق النباتية في بوجور على مقربة من بنافيا مركز البحوث الزراعية وصار العلماء في أجزاء كثيرة من الجزر لا يكونون ممن البحث عن نباتات جديدة وطرق جديدة لانتاجها.

وبعد الفشل عدة مرات ظهر أن الشاي من ولاية اسام الهندية قابل للزراعة في جاوة، فحديقة الشاي تحتاج إلى أن يكون الجو ملائماً تماماً، يجمع بين الدفء في الحرارة والمطر الغزير والارتفاع المناسب، وهذه الشروط تتوافر على

سفوح الجبال في جاوة، وقد صارت حدائق الشاي من أجمل المناظر الجذابة في البلاد وصارت إندونيسيا الدولة الثالثة في انتاج الشاي في العالم.

وجاء التبغ من أمريكا عن طريق الإسبان في القرن السابع عشر وضار بزراع القليل منه منذ ذلك العهد، ولكن كان الفضل لشركة خاصة في القرن التاسع عشر في أن عرفت كيف ينمو النبات وينتشر في أراض أخليت بين الإدغال في شمال سومطرة وكيف يستجيب النبات للطريقة العلمية التي اتبعت وتنمو أنواع خاصة منه في سومطرة و جاوة ومدورا وكل منها له صفات خاصة لا توجد في أنواع التبغ الأخرى.

واستورد نخيل الزيت من غرب أفريقيا إلى إندونيسيا في منتصف القرن التاسع عشر ونجح من البداية تقريبا ويخرج من ثماره نوعان من الزيت: زيت النخيل من اللباب. وزيت حبة النخيل من الداخل. والأخير أصلح للطعام ومنه يعمل الزيت الصناعي.

أما أهم استعمال لزيت النخيل فهو في صناعة الصابون والشموع.

ومن النباتات الجميلة المستوردة شجرة الكنكونا التي جىء بها من جنوب أمريكا واعتادت الشجرة الجديدة حياة إندونيسيا وتأقلمت حتى ان جاوة صارت تكسب أكثر وأكثر من السوق في العالم إلى أن صار نحو تسعين في المائة من الكينين العظمى (الذى يستعمل في علاج الحمى) يرد إلى العالم من قشر الأشجار الإندونيسية. على أن المبيعات هبطت في السنوات الأخيرة إذ تستعمل الآن مواد أخرى كيميائية بدلا من هذه المادة.

والكابوك التي يطلقون عليها شجرة القطن الحربرى هي أيضا من الأشجار المهاجرة، والغالب أنها جاءت من جنوب أمريكا، والقطن الذى يستخرج من البذرة مغيد جدا لأنه خفيف في وزنه ويقاوم الماء كذلك، وهذا يجعل الإنسال

عليه كبيراً للحشو والمخدرات وأكياس النوم، وليس ذلك فقط، بل الملابس الوقاية من الفرق.

وقد نجحت الشجرة في جهات أخرى من آسيا ولكن ليس بمثل النجاح الذي لاقته في إندونيسيا حيث صارت أهم البلاد التي تمون بها العالم.

وكانت أشجار المطاط هي أهم الحاصلات التي أدخلت في البلاد حسب نظام الانتاج الزراعي، وجنت البلاد من ورائها أموالاً، على أن النتائج منها تأخرت طويلاً، حتى أنها لم تظهر إلا زمن الحرب العالمية الأولى حين تبينت نتيجة زراعة المطاط في إندونيسيا، إذ قبل ذلك كان العصير يجمع بمحض المصادفة من أشجار المطاط البرية في سومطرة، ولكن بعد أن جاءت الأنواع البرازيلية عن طريق الحدائق النباتية في بوجور، وبعد تطور طريقة الزراعة للإنتاج شغلت إندونيسيا مكانها كأكثر منتجة للمطاط الطبيعي في العالم. غمرتها في سنة ١٩٥٩ جاءت بعد الملايو للمرة الأولى. على أنه إذا تحسنت الأحوال العامة في إندونيسيا فإنه يمكن للبلاد أن تعود إلى المركز الأول في إنتاج تلك المادة.

أما السكر فهو في البلاد من زمن قديم، ولكن باتباع طرق الزراعة الجديدة زاد محصوله كثيراً وزادت مكاسبه. وغير المطاط والسكر توجد حاصلات أخرى هي أكثر ما تنتجه الزراعات، نذكر من أهمها البن والشاي والتبغ وغنجل الزيت والكنكونا والكاكاو (الذي من بذوره يعمل الكاكاو والشيكولاته، والذي كان من شأن وجوده في إندونيسيا الهولندية أن اشتهرت الشيكولاته الهولندية المعسلة) والسيسال الذي تصنع منه الخيال، والأربطة.

وقد ظلت بعض الحاصلات الهامة التي تدر مكاسب في أيدي صغار المزارعين من البداية إلى اليوم، فحدائق الفلفل التي توجد بصفة خاصة في سومطرة هي عادة صغيرة، وكثيراً ما تكون عملاً إضافياً لغيرها من الأنواع، مثل

يلدور عباد الشمس. وكانت إندونيسيا إلى الحرب العالمية الثانية أكبر مورد للفلفل، على أن الهند احتلت الآن المكان الأول.

وانتاج جوز الهند يكاد يكون بأكمله في أيدي صغار الملاك، ويستعمل لأغراض جديدة في البلاد، ويصدر لأغراض متعددة في جهات أخرى من العالم، ويكون التصدير على هيئة زيت جوز الهند أو على هيئة الكوبرا (وهي لحم جوز الهند المجفف) وكما حدث في حاصلات كثيرة هبط المحصول كثيرا في أثناء الحرب العالمية الثانية وفيما بعدها. على أن إندونيسيا لاتزال أكبر مصدر في العالم لزيت جوز الهند الذي يستعمل في الصابون والمسلي الصناعي والجليسرين دون ذكر المنتجات الفرعية الأخرى للشجرة، ومنها كمكة الزيت وهي طعام للمواشي يستعمل من اللحم بعد استخراج الزيت منه و "الكوير" وهو خليط يستخلص من ألياف القشرة ويستعمل حبالا أو حصيرا أو أشرطة جوز الهند، ومنها الكمك الأمريكي وأسلاك جوز الهند المعسل.

حتى الحاصلات التي تستعمل للاستهلاك المنزلي لا للبيع الخارجي، والتي تنتجها العائلات لا الشركات الزراعية، استفادت من التقدم العلمي، وأكبر مثل لذلك "الكسافا" وهو نبات جذري أغزر انتاجا من البطاطس، ومنه ينتج النشا. وقد أدخل الإسبان والبرتغاليون هذا النبات في القرن السابع عشر، ولكن أفضل الأنواع جاء بها العلماء من أمريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر، وصارت الكسافا فيما بعد من أكبر مصادر الطعام بعد الأرز والحنطة لتقويم أود الإندونيسيين في حياتهم.

واعتبر الباحثون في بادئ الأمر الغابات من أعدائهم، فقد كانوا يبحثون عن الأراضي التي تنتج حاصلات، وحصار العمل على التخلص من الغابات من الأعمال المرهقة التي تقصم الظهر، ولكن بعد قليل صاروا يهتمون كثيرا بما يجدونه من ثروة في الغابات لاسيما أن ثلثي مساحة الأرض في إندونيسيا مغطاة

بالغابات. ويستعمل الكثير من أخشاب اندونيسيا وغاباتها محليا، ولكن يصدر منها الساج والراتان (وهو تخيل متسلق يقطع شرائط فيصبح من أهم مصادر مقاعد الجلوس والأنسجة الخشبية) والبامبو والكافور وأخشاب صباغة الجلود، ومنها أخشاب ذات رائحة عطرية من زيتها تستخرج العطور، وكانت من أهم الصادرات التي يقدروها الأوروبيون في الأيام الخالية. (٨١)

الاستقلال:

إن انتصار اليابانيين في الحرب بين روسيا واليابان سنة ١٩٠٥ أثبتت أن الآسيويين يستطيعون هزيمة الغربيين، وكانت ثورة الصين سنة ١٩١١ التي عزت أرجاء العالم تثبت أن الشعوب الآسيوية تستطيع أن تسيطر على أقدارها وتلقى بعيدا بنظام عتيق عفى عليه الزمن.

وجاءت أنواء قوية كثيرة من الخارج، والواقع أن حركة الاستقلال الحقيقية انتشرت بأكثر قوة في تلك الأجزاء من البلاد التي لها أكبر اتصال بالعالم الخارجى، وكانت أقوى المؤثرات الثلاثة الآتية من الخارج، ودخلت عليها تعديلات كبيرة في إندونيسيا كما هو الحال دائما، هي الفكرة الأوروبية عن العدالة الاجتماعية، والحركة الجديدة في الإسلام التي حاولت الجمع بين الإصلاح الاجتماعى والسياسى وبين الدين، ثم فكرة الشيوعية الدولية.

ومن أوائل الجمعيات التي عملت على خلق حركة وطنية على نسق إندونيسى بحث كانت جمعية "بودى إيتومو" (أى رفعة المقاصد) التي ألفها ثلاثة من طلبة الطب في سنة ١٩٠٨ لتشجيع الاهتمام بالحضارة الاندونيسية، وصار أحد الثلاثة وهو "سوتومو" فيما بعد من أهم زعماء حركة التحرير. أما الجمعية نفسها فكانت نزعتها ثقافية بحيث لم تجد تأييدا من جمهور العامة ولكنها كانت ذات فائدة في وضع جذور عملية للحركة التي تبنت في الكثير آراء من الخارج.

وقد جذبت الديمقراطية الاشتراكية من النوع المعروف في أوروبا أولا الهولنديين المتدمرين والآسيويين للتأثرين بأوروبا والصينيين، ومنهم انتقلت الآراء الاجتماعية الراديكالية إلى جزر الهند الشرقية. وكنت أهم المسائل في حركة الاستقلال هي: هل يمكن بلوغ الحرية والديمقراطية دون الوقوع في مصيدة الشيوعية.

كان الدين هو القوة الأساسية التي تمنع الشيوعيين من تحقيق غرضهم وهو السيطرة على الحركة الوطنية. وكانت أهم للمنظمات الإسلامية الجماعة المسماة "سريكات إسلام" وهي جماعة تأثر أفرادها كثيرا بالتعاليم الإسلامية "الحديثة" في الشرق الأدنى، وكانت لهم حيوية جديدة في نزعتهم الإسلامية، وفي الوقت ذاته يعملون في سبيل الإصلاح السياسي والاجتماعي، وكانت سريكات إسلام، هي الجانب الشرقي المتطرف في هذه الحركة وكانوا عازمين على أن يظلوا مسلمين وإن دونيسيين وغير شيوعيين.

وكان أحد زعماء جمعية سريكات إسلام هو حاجي عجزوز سالم (حاجي أي أنه قام بفريضة الحج إلى مكة المكرمة) وكان من أكبر المستثمرين في حركة التحرير، ثم كان وزيرا للأمر الخارجية في الجمهورية، وفي أحد أدوار النضال لابعاد الشيوعيين قال الحاج: أنه لايجتكر الآراء التقدمية. وقال: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينادى باقتصاديات الاشتراكية قبل اثني عشر قرنا من ولادة كارل ماركس.

وقد فشل الشيوعيون في محاولتهم كسب هذه الجمعية إلى صفوفهم، ولكنهم تقدموا في جهات أخرى، ففي منتصف سنة ١٩٢٠ وجدت حركة شيوعية سرية، ولكن من الغريب أنها لم تكن تجد في بادئ الأمر تشجيعا من موسكو، وقد قامت ثورة شيوعية في سنة ١٩٢٦ ولكن لم يؤيدها الكرملين لأن الزعماء الروس لم ينتظروا للشيوعية النجاح في بلد كان في نظرهم متأخرا، فظل

زعماء حركة الشيوعية العالمية في موسكو يصدون منظماً الحركة المستعجلين في إندونيسيا. ولكن فيما بعد شعر زعماء السوفييت أنهم كانوا مخطئين، وبدأوا هم والشيوعيون الصينيون يفكرون في أن إندونيسيا منطقة هامة لنشاطهم، وكادت الشيوعية تستولى على الحركة الثورية في أخرج لحظاتها وزاد الحزب الشيوعي في عدد أعضائه وفي نفوذه منذ الاستقلال.

كانت الروح الوطنية مركزة في جاوا، وهي أغنى الجزر وأكثرها سكاناً وأقربها تأثيراً بالآراء الواردة من الخارج، ولكن حدثت أيضاً حركات من أجل الاستقلال والديمقراطية الاشتراكية في الجزر الأخرى أيضاً لاسيما سومطرة، على أن فكرة ضم جميع الأقسام معا كانت بطيئة في تكوينها. وظن كثيرون من الإندونيسيين فضلاً عن الهولنديين أنها لن تتحقق. ومن عجيب الأمر أن اثنين من الأعداء الأجانب - هولندا واليابان - هما صاحبتا الفضل في تحقيقها.

ربما كانت وحدة النظام الهولندي داخل مستعمرهم هي السبب الأساسي في وجود جمهورية إندونيسيا اليوم. ولو ترك الأمر للإندونيسيين وحدهم دون أن يكون هنالك نظام هولندي مركزي لكان من المحتمل جداً أن تسلك الجزر في أنظمتها مسلكاً مختلفاً بالرغم من وحدة الجزر في حياتها الثقافية عامة.

ولقد بذل الهولنديون كل ما وسعهم لمنع الاتحاد الإندونيسي. والمثال على ذلك أنهم حرموا استعمال كلمة "إندونيسيا"، وكانوا بين وقت وآخر يجرمون استعمال اللغة الوطنية في نغمها، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون القيام كمديرين استعماريين دون اتباع نوع من الوحدة التي يضطرون إليها في المعاملة وهو النظام الذي اقتبسه الإندونيسيون.

ولكن إذا كان الهولنديون قد وضعوا الأساس فإن اليابانيين هم السذين حددوا الوقت المناسب، لأن غزو اليابانيين لجزر الهند في سنة ١٩٤٢ وحوادث الحرب العالمية الثانية أسرعت بمحادثات الاتحاد والحريّة. فأولاً اليابانيون لاستطاعت

هولندية في رأى كثيرين من الهولنديين أن تضع نظاما للحكم الذاتي داخل نظام هولندي مثل الكومنولث البريطانى، على أن الهولنديين تأخروا في الأمر طويلا ولو أن أصحاب هذا النظام الإصلاحي سمح لهم بأن يفعلوا ما يشاءون لما استطاعوا أن يعوضوا الوقت الذى ضاع بتردد الهولنديين، في حين كانت الهند البريطانية مثلا تستعد للحرية.

وفي تطور الحرب العالمية الثانية احتل الألمان هولنده في سنة ١٩٤٠، وكان احتلال اليابانيين لجزر الهند الشرقية، وتمهيدات الدول بموجب ميثاق الأطلنطى وإعلان الأمم المتحدة، كل ذلك يؤكد أن النظام القديم للأمر لن يستأنف بعد الحرب، وكانت المسألة الكبرى عما إذا كان يفرض نوع من الإشراف الهولندي مرة أخرى أو تكون إندونيسيا حرة تماما، هذا إذا كانت الشيوعية لا تقضى على الحرية وعلى الاستعمار الرأسمالى معا.

وفي بدء الحرب العالمية الثانية شعر بعض الوطنيين الإندونيسيين أن نوعا من التحالف الآسيوى سيؤدى إلى تخلصهم من قبضة الهولنديين. وقال هؤلاء الناس أنه لا شأن لهم بالحوادث التى تجرى في أوروبا.

ورأى آخرون أن نظام هتلر يهدد الحرية في كل مكان، وكانو يؤمنون بمبادئ ميثاق الأطلنطى الذى وقعه الرئيس روزفلت ورئيس الوزراء البريطانى تشرشل ثم وقعته دول أخرى من بينها هولندا، بل أن العلامات التى بدأت تشير إلى أن اليابان، وهى الدولة الآسيوية الكبرى، ستتنضم إلى جانب ألمانيا، لم توقفهم في تأييد الحرب ضد هتلر، فكانوا معارضين للهولنديين ولكنهم غير معارضين للحلفاء.

وحق قبل بيرل هاربور ودخول أمريكا الحرب، كان اليابانيون يتحركون جنوبا إلى مواطن البترول والمطاط والقصدير والمواد الغذائية في الجنوب الشرقى لآسيا، وكان من البين أن غزوا سيتم، وكان من الواضح تماما أن القوات الصغيرة

للحلفاء لن تستطيع صد اليابانيين، فضلا عن ذلك كانت هنالك أسطورة قديم
تزعم أن شعبا قريب الشبه باليابانيين سيأتى يوما ليظهر أرض إندونيسيا من الغزاة
الأجانب.

كان الغزو اليابانى فى سنة ١٩٤٢ وتم الاستيلاء على الجزر سريعا وطرد
اليابانيون الهولنديين وغيرهم من قوات الحلفاء أو أسروهم وتولوا جميع الأمور فى
الجزر، وأظهر اليابانيون فى الحال أنهم متحمسون جدا لفكرة استقلال إندونيسيا،
وقالوا أنهم جاءوا ليخلصوا السكان المساكين من قسوة الحكم الأوربي.
وكان عند الإندونيسيين مواضع شكوى حقيقية كما رأينا، فكان للدعاية
اليابانية تأثير كبير فى النفوس. وتآلفت جمعيات و وحدات عسكرية تحت رعاية
اليابانيين وكانت تعلن عن مراميها فى بيانات خلاصة لا ريب فى أن يرضى عنها
المواطن الإندونيسى.

وفهم كثيرون من الإندونيسيين الحيلة فى الحال، ورفضوا الاتصال بممثل
هذه المنظمات، ولكن كثيرين اشتركوا فيها، البعض لأطماع فى نفوسهم
والبعض لأنهم عدعوا، والبعض لأنهم ظنوا فيها الطريق إلى الحرية تائيا.
وكان من بين هذه الجماعة الأخيرة اثنان هما أشهر رجال إندونيسيا قاطبة
وهما: سوكارنو وحق، اللذان صارا فيما بعد رئيسا للوزارة ونائب الرئيس
للجمهورية.

وقد فعل هذان "المتعاونان" ذلك عن قصد وباتفاق مع كثيرين من أبرز
زعماء الثورة، وكانت الفكرة أن البعض يكونون متعاونين فى الظاهر مع
اليابانيين، ويقوم البعض بحركة سرية خفية، والبعض يقصدون السلال حيث
ينظمون عصابات قتال على الطريقة التى ألفها الإندونسيون من زمن بعيد.
وكما كان الأمر فى حركات المقاومة فى أوروبا فى أثناء الاحتلال الألمان
لعب الشيوعيون دورا كاملا وناجما إلى جانب غير الشيوعيين أكثر الوقت، ولم

يتحولوا إلا بعد ذلك الى غرضهم الأساسى، وهو خدمة الشيوعية العالمية قبل قضية الحرية فى إندونيسيا، وإلى ذلك الوقت كان مرماهم الأول التخلص من اليابانيين، والثانى منع عودة الهولنديين، والأخير تقرير نوع الحكم الذى تريده البلاد، وفى تلك اللحظة كانت الآراء البعيدة موضوعة إلى جانب.

ثم تحول قليلا قليلا أن غرض اليابانيين هو التسلط ووضع إندونيسيا تحت عبودية لم يحلم بها الهولنديون، وبالرغم من أن اليابانيين كانوا أخوة آسيويين ويؤدون الأسطورة القديمة عن المنقذين الصفر الوجه، إلا أن الإندونيسيين تحققوا قبل نهاية الحرب بزمان طويل أن الحياة فى ظل حكومة خاضعة يقيمها اليابانيون ستكون أسوأ وأقل جاذبية من الحياة تحت الحكم الهولندى.

ولما اقتربت نهاية الحرب حاول اليابانيون أن يحبسوا الأمور بأن يتقدموا بالاستقلال للإندونيسيين ولكن جماعة قوية من الوطنيين كانت تعارض فى قبول أى شىء على سبيل الهدية من جيش غزا البلاد، وقامت مناقشة كبيرة بين الزعماء، وفى إحدى اللحظات خطف سوكارنو وحى، ليحال بينهما وبين إصدار بيان لا يوافق عليه الزعماء الآخرون: وأخيرا وافق أكثر الزعماء، وقرأ سوكارنو بيانا قصيرا تعلن فيه إندونيسيا استقلالها فى ١٧ من أغسطس سنة ١٩٤٥ وقد حصن الإندونيسيون المريدون أنفسهم فى محطات الراديو والتلغراف ليبلغوا النبا إلى جميع أنحاء البلاد.

بدأت جمهورية إندونيسيا أولى خطواتها. وكان السؤال هو كيف تستطيع العيش طويلا بين الأخطار الكثيرة التى تهددها. فالهولنديون يريدون استرداد مستعمراتهم والشيوعيون يريدون أن يتولوا أمور الثورة خدمة لأغراضهم، ولم يكن أحد يعرف ما إذا كانت المناطق المختلفة تتفق حقا لتأليف وطن واحد.

النضال في سبيل الحرية:

إن إعلان الاستقلال أمر ، إلا أن تثبيته في الواقع أمر آخر يختلف اختلافا كبيرا، كما يعرف الأمريكيون والاندونيسيون من تاريخ نضالهم من أجل الحرية. فإعلان الرئيس سو كارتو في سنة ١٩٤٥ كان بدء نضال مرير ظل أكثر من أربع سنوات قبل أن يكتسب الاستقلال الحقيقي.

أراد الهولنديون بطبيعة الحال أن يعودوا إلى إدارة مستعمرهم في أسرع وقت ممكن، وظنوا أن أمريكا وبريطانيا وغيرهما من الحلفاء في القتال ضد ألمانيا واليابان لابد أن يعاونوهم على مقصدهم ، وكان الشيوعيون في هذه الأثناء يتحدثون عن الاستقلال للبلاد ولكنهم في الواقع يريدون أن يضموها تحت زعامة الاتحاد السوفيتي، وكان ذلك لم يكن بكاف للجمهورية ناشئة. فقد أخذ الإندونيسيون يختلفون بعضهم مع بعض على مستقبل بلادهم الجديدة، وكان البعض مخلصين في وطنيتهم ولكنهم يختلفون في الوسائل ، والبعض يحاولون السيطرة الشخصية أو الوصول إلى غرض خاص.

فبينما كان اليابانيون هم المسيطرين على الجزر كان القائمون بالمناوشات ورجال المقاومة الخفية من الإندونيسيين يدبرون ثورة يكون وقتها غزو الحلفاء المنتظر. ولما جاءت الأنباء بتسليم اليابانيين للحلفاء بقيادة الجنرال ماك آرثر في أغسطس سنة ١٩٤٥ سبب القنابل الذرية، وكان ذلك قبل أشهر من الموعد المنتظر تحرك الإندونيسيون لزرع السلاح من الجنود في الجزر.

ولكن القيادة العليا للحلفاء لم تكن تقدر قوة الحركة الاستقلالية فأخبرت الجنود اليابانيين في الجزر أن يحتفظوا بأسلحتهم ويحافظوا على النظام وينتظروا وصول قوات الحلفاء قبل التسليم. وكان من الصعب على الإندونيسيين أن يفهموا ذلك بعد انتظارهم طويلا، ولكن كان أمامهم ماعوا أسوأ من ذلك.

جاء الجنود البريطانيون في البداية ولم يكن الإندونيسيون ليستاءوا منهم على أن الجنود الهولنديين بدأوا يصلون تحت حماية البريطانيين، وطلب الهولنديون اعتقال سوكارنو وأخذوا يحاولون اقناع حلفائهم بأن حركة الاستقلال المزعومة ان هي الا مؤامرة يابانية، وأن الزعماء الإندونيسيين إن هم إلا العوبة وخونة. ووقعت اثر ذلك حوادث مخزنة لاسيما في القتال المرير في سورابايا حيث لم تستطيع الحكومة الوطنية مقاومة قوات نصف منظمة انقضوا عليها، وارتكبت فظائع من الجانبين.

وبعد مناقشات طويلة وبعض القتال عقدت هدنة بين الإندونيسيين وبين الهولنديين في نوفمبر سنة ١٩٤٧، وتبعها الاتفاق على تأليف "الولايات المتحدة الاندونيسية" وتكون جمهورية إندونيسيا إحدى ولاياتها. أما الولايات الأخرى الفدرالية، فهي حكومات نظمها الهولنديون من أقسام أخرى من الجزر. ورأى شعب الجمهورية في هذا الاتفاق أنه مجرد فكرة لعودة الحكم "غير المباشر" القديم في إطار جديد، وفي الشهور القليلة التالية كانت هنالك مناقشات ومباحثات عن طريقة تنفيذ الاتفاق، وفي يولية سنة ١٩٤٧ قام الهولنديون بمحوّل واسع النطاق على أراضي الجمهورية.

وكان الفضل لمئة الأمم المتحدة في إنهاء هذا العدوان الحربى في يناير سنة ١٩٤٨، ولكن بعد أن انتصت أراضي الجمهورية واقتصرت على قسم من جاوة وقطعة صغيرة من سومطرة. وكانت عاصمة الجمهورية في جواكرتا، أما الهولنديون فيقوا في بنافيا.

وبعد ذلك ببضعة أشهر اختار الشيوعيون القيام بثورة داخل الجمهورية، وشغل الزعماء كثيرا بالقضاء على الثورة الشيوعية بيد، ومحاولة حمل الهولنديين على الاحتفاظ بخطوط الهدنة باليد الأخرى.

ضيق على الجمهورية في مساحتها الصغيرة، ونشط الهولنديون في تنظيم الأقسام الأخرى في الجزر، وكان الأمور تسم بالأمّة الاندونيسية مرة أخرى إلى آخر الطريق. وأخيرا توقفت المناقشات حول إتفاق الجمهورية، وأرسلت القوات الهولندية للسيطرة على الموقف.

وأسر الرئيس سوكارنو وغيره من الزعماء واحتلت المئذنة الكبرى في جاوة، وكان الستار يسدل نهائيا ولكن الإندونيسيين رفضوا التسليم.

وكان الزعماء الذين أخذوا إلى الأسر في جوجاكرتا فضلا عن سوكارنو، منهم حتى وشاهيرير وحاجي عجزو سالم، فمن هم هؤلاء الناس؟ وماهي صفاتهم؟ لعل الوقت مناسب للذكر بعض الوقائع عن هؤلاء الرجال الذين كان لهم تأثير قوى في الشعب، حتى أنهم، وهم في الأسر، كانوا قلب الثورة.

ان الرئيس سوكارنو له شهرة هو حدير بما بأنه من أعظم سحرة الجماهير في العالم الحديث، وهو دائما أنيق الثياب، يتحلى بمظاهر القوة و"الاندفاع" مع إنسامة جذابة، وله قوة تكاد تكون سحرية وتأثير عجيب في تحذئة للجماهير، وقد ولد ليكون أستاذا للاجتماعات والحفلات، وفي بهجة ونشاط يقبل أية فرصة ليكون منظما لاجتماع أو حفلة غناء أو حفلة رقص شعبي أو ثورة. وهو - على أنه رئيس جمهورية - يفضل أن يدعى "بنج سوكارنو" وكلمة بنج معناها أخ، وتستعمل لدعوة خدم المطاعم أو أمثالهم، وصارت رمزا للمساواة في أثناء الثورة. درس سوكارنو ليكون مهندسا، ولكن يشار إليه أحيانا بلقب ايرسوكارنو، أى المهندس سوكارنو، ولكن مهنته الحقيقية هي الزعامة، وكثيرا ما يستعمل الغربيون اسمه الأول وهو أحمد في الكلام عنه، إذ لا يألون العادة الاندونيسية بإطلاق اسم واحد، على أن أكثر مواطنيه لا يشار إليه إلا باسم بنج سوكارنو.

ويقول خصومه انه كان مثيرا للفرغاء، وباحثا عن السلطة بالتأثير في الجماهير، ويرى المعجبون به أنه غير حقا عن آراء الشعب وآماله، وأنصاره على كل حال هم جبهة الشعب أكثر من الإندونيسيين الذين تنقّبوا في الغرب، وكثيرون منهم كانوا غير راضين عن قبوله المساعدة الشيوعية.

ومهما تكن نتائج السياسة التي يتبعها سوكارنو فيما بعد، فيحسب ألا ننسى أنه الرجل الذي عمل أكثر من أي انسان آخر على ضم أجزاء الوطن، وقاده في عطوب الثورة، وأنه هزم الثوار الشيوعيين والمستعمرين الهولنديين وحافظ على إندونيسيا دولة مستقلة.

ومحمد حنّى هو مثال المتعلم المثقف، منطقي في تفكيره، وله تأثير كبير في المثقفين، وكان شريك سوكارنو من مدة طويلة في الثورة، وكان زميلا متآلفا معه، وكانا معا هما البطلين الأساسيين لحركة الاستقلال، وقد عمل "حنّى" وهو طالب جامعى في هولندا على تأليف جمعية الاستقلال الإندونيسى، وبعد اعتقال الهولنديين لسوكارنو عاد "حنّى" الى جزر الهند في سنة ١٩٣٢، وتولى إدارة ذلك القسم من حركة الحرية الذي صار فيما بعد رأس الحركة وقلبها، واعتقل هو بعد ذلك بستين وظل معتقلا ثمان سنوت، أولا في مركز ناء من جزيرة غينيا الجديدة يقع في الغابة، ثم في إحدى جزر باندا.

وكان سوكارنو وحنّى متزاملين في إنشاء الثورة والأيام الأولى من الجمهورية حتى صار يجمع بين اسميهما فيقال "سوكارنو - حنّى" في التعبير حتى لكأنهما اسم واحد، وكان من الطبيعي في أوقات مختلفة أن يلقب "حنّى" بلقب نائب رئيس الجمهورية، أو رئيس الوزارة، وأن يكون العامل الأساسى في توجيه السياسة الوطنية في لحظات حرجة كثيرة. وقد استقال من منصب نائب رئيس الجمهورية سنة ١٩٥٦، وانتقد سوكارنو علنا في بعض الإجراءات في السنوات

الأخيرة، وهذه القطيعة بين الزعيمين الكبيرين مصدر حزن للكثير من الإندونيسيين.

وكان سوتان شاهرير أحد الزعماء الذين اعتقلوا حين أرسل الهولنديون حملة عسكرية إلى جواكرتا سنة ١٩٤٨ وفيما لحق في السجن والاعتقال، وكان أيضا طالبا جامعا في هولندا، وعاد إلى وطنه، ورسائله المؤثرة الجذابة إلى زوجته الهولندية التي نشرت بأمريكا في ترجمة إنجليزية تحت عنوان "من خسارح الاعتقال" تظهر عمق التجربة الروحية والثقافية التي مر فيها الرجلان.

وقد شغل شاهرير منصب رئيس الوزارة ثلاث مرات، وكان مغاضبا أساسيا مع الهولنديين، وكان أهم الإندونيسيين جميعا في إعلان قصتهم للعالم حين جاء إلى نيويورك ليعرض القصة على الأمم المتحدة.

وكان قبول شاهرير للعوامل الوطنية لدى سوكارنو التي دفعت به للتعاون البارز مع اليابانيين في أثناء الحرب أمرا مقنعا، لأن شاهرير نفسه اختار الطريق الخطر وهو المقاومة السرية، وكان له تنظيمه الذي يدير وهو ينتقل في أنحاء جاوة ويزعم أنه من العمال عند أحد أقاربه، وكان على صلة بالجماعات الأخرى، ومنها الشيوعيون، وكان يجتمع سرا بحثي فكان المتعاونون والمقاومون يعرفون بذلك ما يعمل كل منهم.

وقد توفي حاجي عجزو سالم في سنة ١٩٥٤، وكان الرجل الشيخ العظيم في الاستقلال الإندونيسي، وكان - على إسلامه - تقيا حج بيت الله سبع مرات إلا أنه كان متيقظا لكل اتجاه جهيد في الدراسات العالمية، وقد ألقى محاضرات في عدد من الجامعات وكان الكثيرون من الذين يعرفونه في العالم يلقبونه بالسيد "إندونيسيا". وكان يجمع بين الحضارة الحديثة والتقوى في موقفه نحو الديانة الإسلامية، وقد ساعد على حماية الفرع الإسلامي من حركة الاستقلال من الوقوع في الشيوعية، فهو بحسده الضئيل ووجهه الذكي المرح كان يمثل صفات

الذكاء مع الراحة وهي صفات يقدرها جميع الإندونيسيين، وقد شغل منصب وزير الخارجية عدة مرات ومثل بلاده خير تمثيل أمام العالم.

اعتقل الهولنديون هذه الجماعة، ولكن الثورة لمتمتد يوم بها آخرون في شجاعة، وقد ألقت حكومة مؤقتة في سومطرة بعيدة عن أيادي الهولنديين وظل القتال مستمرا في شجاعة بمحاربة تحت قيادة الجنرال سوديرمان الذي كان مريضا في آخر أيام الحياة، ومع ذلك استمر يقود الجنود حتى بعد أن بلغ به المرض مبلغا اضطر معه أن يحمل من مكان إلى مكان.

وكان في كل مرة يعرض فيها الهولنديون عقد هدنة يطلب الإندونيسيون إطلاق سراح سوكارنو وزملائه أولا، والموافقة على عودة عاصمة الجمهورية إلى جواكرتا، ونشطت من جديد لجنة الأمم المتحدة التي كانت قد عينت من قبل، وكان الإندونيسيون يتساهلون أحيانا تحت الحاح الولايات المتحدة الأمريكية، وبالرغم من أن الهولنديين يلومون أمريكا ويتهمونها بتأييد الإندونيسيين في النضال، فإن الإندونيسيين يرون أن الأمريكيين لا يفهمون الأحوال في جزر الهند الشرقية تماما، ولذلك كثيرا ما قبلوا مزاعم الهولنديين في سهولة وكانوا يقتطعون على الجمهورية في مواضع تقضى بأن يتمسكوا بها.

وكان الرأي العام في أمريكا من مبدأ الأمر مؤيما للجمهورية كل التأييد، ولكن الحكومة الأمريكية كانت مهتمة بالدفاع عن أوروبا أمام التهديدات الحربية الروسية وأمام احتياح الشيوعية للدول الأوروبية الضعيفة، لذلك لم تكن تريد أن تفعل شيئا في جزر الهند قد يضعف هولندا في موطنها. عسى أن الإندونيسيين وأصدقاءهم من الولايات المتحدة كانوا يقولون أن آلاف الجنود ومئات الملايين من الدولارات التي يستعملها الهولنديون في محاولتهم احتلال جزر الهند من جديد قد تستعمل على وجه أفيد في أوروبا، ثم أوضحوا أن المال الذي تصرفه هولندا

على الحركات العسكرية في جزر الهند يكاد يكون معادلا لمجموع الاعانات التي تأتيها من أمريكا بموجب نظام مارشال.

ولما عرفت الحقائق في أمريكا توجه الرأي العام بالطلبات ووجه بعضها في مجلس الشيوخ الأمريكي بالألا تساعد هولندا في بلادها حتى يوقف الهولنديون قتالهم للإندونيسيين، أو على الأقل يعودوا إلى الخط المتفق عليه في الهدنة. وفي الوقت ذاته أعلنت دول آسيوية كانت من قبل لاتدخل مطلقا في أمور العالم تأييدها لإندونيسيا وانتهاز الاتحاد السوفيتي الفرصة وهو دائما يحب أن يقف موقف الصديق للشعوب الآسيوية فأبدى تأييده الكامل أيضا.

وأخيرا تحت الضغط من جهات متعددة، أطلق سراح الزعماء وعادوا إلى جواكرتا، وعقد مؤتمر بين الإندونيسيين والهولنديين في لاهاي، وهناك في ٢٧ من نوفمبر سنة ١٩٤٩ تم توقيع اتفاق يعترف بجمهورية إندونيسيا كدولة ذات سيادة في جميع جزر الهند الشرقية الهولندية سابقا فيما عدا غينيا الجديدة التي يوجل أمرها لمفاوضة تالية. ويكون بين الدولتين اتحاد إندونيسي هولندي تحت الزعامة الرمزية للملكة هولندية على النسق تقريبا الذي تشترك فيه أستراليا أو كندا، وكل منهما حرة مستقلة في الكومنولث البريطاني، وبعد سنوات أصبحت إندونيسيا حرة.

وفي ٢٧ من ديسمبر سلمت إندونيسيا السيادة على بتافيا بغير اسهما في الحال وصارت تعرف باسم جاكارتا، وهو نوع من التعديل في الاسم القديم الذي كان يطلق على جاوة.

وكان الذي يمثل الجمهورية في احتفال التسليم رجلا من أمتع الشخصيات بين الإندونيسيين في هذا العصر هو سلطان جواكرتا، واسمه الملكي عيمتجوبونو التاسع، وكانت خدماته العامة قد جعلت منه بطلا وطنيا بالرغم من عدااء الجمهورية للملوك.

هذا السلطان من نسل سلسلة طويلة من الملوك الإندونيسيين، ونشأ تحت تقاليد الحكم الاستبدادي (لا يخضع إلا لموافقة المولنديين وحدهم)، ولكنه برهن على تشبه بقواعد الديمقراطية. وبينما كان بعض الملوك الآخرين يسدرون مع المولنديين للقضاء على الثورة ليستعيدوا عروشهم كان سلطان جوجاكرتا يضع في شجاعة غلة مع الجمهورية، ورفض أية مناقشة مع المولنديين إلا في جلالتهم عن البلاد.

وفي أثناء الحملات العسكرية للمولنديين كان السلطان يعمل بصفة كولونيل في الجيش الوطني الإندونيسي، ثم عمل فيما بعد وزيرا للدفاع ونائب رئيس وزراء في وزارة أخرى، وهو يهتم اهتماما خاصا بمشكلات الشباب، ومن خدماته أنه زعيم لحركة الرواد.

وكان أهم أعمال الوطنيين تحت زعامة سوكارنو أقم ألفوا بين جميع الإندونيسيين من أية جزيرة فصاروا وحدة متآلفة، فالقلاح من منطقة نائية صار مواطنا للجمهورية مع السلطان.

ومن الاتجاهات الجديدة بالذكر دفع النساء إلى الاشتراك في الحياة العامة، فكان لمن دور هام في حركة التحرير. وكثيرا ما تميزن بالشجاعة بل البطولة. وقد صار للنساء منذ الاستقلال دور يزداد أهمية على مر السنين في حياة الجمهورية.

وقد شغلت سيدة قديرة هي السيدة ماريا الفة سانتوزو منصب وزيرة للشئون الاجتماعية في إحدى الوزارات الأولى. ولعلها على الراجح أولى النساء اللاتي شغلن مناصبا وزاريا في أية دولة إسلامية، وعملت فيما بعد كمساعدة تنفيذية لرؤساء الوزارة الواحد بعد الآخر ولو أنهم كانوا من أحزاب مختلفة، وكثيرا ما كانت بحق مفتاحا حقيقيا لسمو الأمور في الحكومة الإندونيسية.

وقد صار عدد يستحق الذكر من النساء أعضاء في المجلس الوطني، كما عمل بعضهن أعضاء في وفود الأمم المتحدة أو غيرها من الأعمال. وفي كل أقسام الحكومة نجد إدارات تديرها النساء.

وقد رأينا من قبل أن الدين الإسلامي قوة مساعدة على بقاء البلاد كوحدة، ولكن في الوقت ذاته نرى الآراء الإسلامية الحديثة تساعد حركة العدالة الاجتماعية، ولكن كان هنالك ولا يزال جماعة إسلامية متطرفة - لاسيما الجماعة المعروفة باسم دار الإسلام - هذه الجماعة تعتقد في استعمال الشدة والعنف لمحاولة قلب الجمهورية إلى دولة دينية صرفة، وهذه الجماعة قاومت السلطة المدنية، وهي تتسلط في الريف حيث تجد أنصارا، وقد استطاعت مقاومة الحكومة عدة سنوات لاسيما في سومطرة الشمالية وبورنيو وسليبي وجبال غرب جاوة.

وخفتت سطوة الشيوعيين بعض الوقت - لاسيما بعد إخفاقهم في ثورة سنة ١٩٤٨ - ثم اضطراب الأنصار بسبب التحولات الراقية التي أقدم عليها الزعماء في خطوط "اتحاد الحزب". على أنه في السنوات الأخيرة - لاسيما بنمو عدم الرضا العام عن أخطاء الحكومة - زاد أنصار الحزب الشيوعي زيادة كبيرة، وفضلا عن ذلك يظهر أن الرئيس سوكارنو حكم يشجعهم باتخاذ "الحياة" ومجهوده في السير على حبل سياسي وسط بين الأحزاب، فهو كعدد من الزعماء الآسيويين يريد أن يبقى معزلة عن الحرب الباردة بين الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية، وفي الوقت ذاته يحافظ على تأييد وصداقة القوتين الكبيرتين. ومما لا ريب فيه أن أغلب الإنдонيسييين كانوا يؤيدون سياسة الحياد في الأمور الخارجية، وبينهم كثيرون من الذين يكرهون الشيوعية، فهم يريدون أن يكون ولاء إندونيسيا لنفسها لا لأية دولة أجنبية.

على أن بعض الاتجاهات السياسية للرئيس أثارت مناقشات كبيرة في البلاد لاسيما فكرته عن الديمقراطية الموجهة. فليس لهذا النوع من النظام مثل في الغرب كما نعلم، وفيه توضع قيود على الأحزاب وقيود على حرية الكلام وعلى الصحافة.

وقد أيد الشيوعيون هذه الفكرة. ويرى المدافعون عن فكرة الرئيس سوكارنو أنه بالرغم من ذلك فإن سياسته هي الوحيدة التي تحول دون الشيوعيين وسيطرتهم على الحكومة.

وإندونيسيا أيضا في متاعب جدية من الوجهة المالية، فقد اتبع الاحتلال سياسة "تخفيف الأرض" لاستخدامها في قتال الهولنديين في أجزاء من جاوة وسومطرة، وكان حصار الهولنديين لأراضي الجمهورية كبير الضرر، ومن الطبيعي أن ينقص انتاج الطعام وتقل كذلك مولود الدخل الأجنبي (مثل المطاط والبتروول وغيرهما).

ثم حلت الفترة الصعبة في بدء الجمهورية الجديدة، ثم تبعها فترة محاولة الإندونيسيين الذين لم يتدربوا جيدا على أن يحلوا محل الإخصائيين الهولنديين الذين انسحبوا أو طردوا نتيجة النزاع والشتايق بين الدولتين. وكان كثيرون من الإندونيسيين يرون أنه ليس من الحكمة الاستغناء عن العمالة الهولندية على العمال الهولندية قبل أن يكون هنالك عدد كاف من الوطنيين المدربين على إدارتها.

وأخيرا في سنة ١٩٥٨ قامت ثورة سافرة في سومطرة يتزعمها رجال قاموا بخدشات هامة للجمهورية من قبل، مثل محافظ بنك إندونيسيا ومدير الجامعة وزعيم أحد الأحزاب السياسية الهامة، وبدا للعيان كأن جمهورية إندونيسيا توشك أن تنفك.

ولكن كما حدث كثيرا في الماضي كانت إندونيسيا تضم مفاجآت للعالم فقد تحركت الحكومة ولاسيما الجيش في سرعة ومهارة. والرغم من أن وحدات من الجيش انضمت للثوار إلا أن الثورة أهدت سريعا وفر الزعماء إلى التلال أو إلى سنغافورة أو هونغ كونج وسيطرت الحكومة مرة أخرى على البلاد. ويجب أن نلاحظ في عناية الدور الذي قام به الجيش في هذا الحادث وفي الحوادث الأخرى منذ الاستقلال. فتحت القيادة للنشيطه الرشيدة للجنرال ناسوتيون القائد الأعلى ، وهو رجل مسلم تقي، كان الجيش نوعا من عجلة الميزان في الحياة السياسية الإندونيسية. ويعتقد الكثيرون أن نفوذ الجيش واتجاهه الديني والديمقراطي هما اللذان حالاً دون استيلاء الشيوعيين على الحكم في الأزمات الكثيرة الحديثة.

لقد استطاع الإندونيسيون - بالرغم من جميع المتاعب من حرب وثورة واحتلال وجماعة وفساد وتهديد التسلط الشيوعي - أن يصمدوا، وأظهروا شجاعة ومقاومة وصبرا وأملا.

فهناك ميدان إندونيسيان قديمان جدا لا يزالان يقومان بدور في حياة هذا الشعب : أحدهما فكرة "جوتنج روجنج" أو "تبادل التعاون" وهو مبدأ لا يزال حيا بينهم ، فبالرغم من التضال المستمر لكي يجد الشخص الطعام الذي يأكله فهو يقول : "قد تموت القرية جوعا ولكن لا يجب ألا يموت الفرد وحده" فهذا التعاون بين الناس يقضى بأن يتقاسم الناس، سواء في الخير أم في الشر.

والقاعدة الأساسية الأخرى هي "المشاورة". وقد يكره الأوربي هذه الكلمة لأن معناها عنده ليست كمعناها عند الإندونيسي.

فالرجل غير الصبور يفهم المشاورة على أنها مجرد الكلام طول الوقت دون أن يعمل شيئا.

ويظن بعض الأحناف أن هذين المبدأين من نقائص الحياة الاندونيسية، ولكن من المحتمل أن مبدأى جوتنج وروجنج ومشاورة هما لب الديمقراطية في إندونيسيا، وقد يكونان مختلفين كل الاختلاف عن الطرق الغربية، ولكنهما قد يعبران تعبيرا أميناً عن آراء جيفرسون التي ساعد الرئيس سوهارنو على انتشارها بين الناس في إندونيسيا. (٨٢)

وفي عام ١٩٦٥ وقع انقلاب شيوعي ضد سوهارنو، ولكن أمكن لسوهارنو إسقاط هذا الانقلاب، ولكن أمكن للقائد العسكري الذي قضى على الانقلاب (سوهارتو) اعتلاء السلطة خلفاً لسوهارنو (٨٣). وفي السنوات الأخيرة تواجه إندونيسيا مشكلات داخلية إثنية وعقائدية داخلية، كما تتعرض لمؤامرات خارجية مفروضة، ونتمنى أن تنجح هذه الدولة الإسلامية الكبرى في أن تتخطى هذه المشكلات، وتحتل المكانة اللائقة بها في منطقة الشرق الأقصى.

الفصل العاشر

تطور تاريخ فنتا (المدينة) والمعاصر

تهيد

تقع الهند الصينية في جنوب شرق آسيا، وتطل على بحر الصين الجنوبي، وغليج تونكين من الشرق، وتمتد في الغرب إلى بورما، وتتصل حدودها الشمالية بحدود الصين. كما تمتد منها تجاه الجنوب شبه جزيرة الملايو، وتحيط بها من الجانب البحري جزيرة تايوان أو فرموزا، ثم مجموعة جزر الفلبين، ثم جزر إندونيسيا في الجنوب، حيث تكمل القوس الكبير الذي يفصل بحر الصين الجنوبي عن المحيط الهادئ.

أما فيتنام فلها تحتل الجزء الشرقي من شبه جزيرة الهند الصينية، على شكل قوس كبير يتسع في الشمال وفي الجنوب، وتاخها في الشمال الصين، حيث تتصل حدودها بحدود مقاطعتي يانان وكوانجسي، وتاخها في الغرب لاوس وكمبوديا، وتطل سواحلها الجنوبية والشرقية على بحر الصين الجنوبي والخليج الممتدة منه، ويتميز ساحلها الطويل بكثرة التعاريج التي تساعد على قيام الموانئ. وإذا ما نظرنا إلى شبه جزيرة الهند الصينية بصفة عامة نجد أن مسطحها يتكون من سلسلة مرتفعات أنام التي تمتد من الشمال إلى الجنوب تاركة سهولا ساحليا ضيقا في شرقها، وتنحدر تدريجيا تجاه الغرب، حيث تقع هضاب لاوس، ثم سهول كمبوديا في الجنوب. ويجري في غرب جبال أنام نهر الميكونج الذي يبلغ طوله نحو ٢٧٠٠ كم، وينبع من مرتفعات التبت وسط آسيا، ثم يمر بمنطقة يانان الصينية، ثم يجري في الجزء الشمالي من لاوس في منطقة جبلية وعرة، ويمر بمنطقة واد صغير حول مدينة لوانج برابانج، وفي جزء كبير من مجراه الأوسط يمثل الحدود السياسية بين لاوس وتايلاند (سيام) ويدخل بعدها إلى سهل كمبوديا. ويتصل بنهر الميكونج في أرض كمبوديا عدة وافد أهمها نهر كويج الذي ينبع من مرتفعات أنام، ونهر سي الذي ينبع من الشرق من أراضي تايلاند. وتتوسط سهل كمبوديا بحيرة توتلي ساب التي يتصل النهر الخارج منها بنهر الميكونج

عند مدينة بنوم بنه عاصمة كمبوديا. ويخرج الميكونج من حدود كمبوديا ليدخل منطقة كوشين الصين، التي تكون السهل الجنوبي لفيتنام، حيث تتكون دلتا هذا النهر العديد الفروع.

وإلى الشمال من فيتنام تقع منطقة مرتفعات بانان في جنوب الصين، حيث ينبع النهر الأحمر (سونج هونج) ورافداه الرئيسيان النهر الأسود (سونج دا) والنهر الصافي (سونج لو).

ويبلغ طول سونج هونج ١٢٠٠ كم منها فقط ٥٠٨ كم في داخل أراضي فيتنام، بينما نجد أن الجزء الأكبر من مجرى نهر سونج و سونج لو واقع في داخل فيتنام. وتتجمع مياه هذه الأنهار الثلاثة مسافة بضعة عشرات من الكيلو مترات شمال هانوي، ثم تعود فتتفرع قرب هانوي إلى فروع تكون الدلتا العظيمة الخصبة المعروفة بدلتا تونكين.

وإلى جانب هذين النهرين الكبيرين، يجري في فيتنام عدد من الأنهار الصغيرة تنبع من مرتفعات أنام وتتحه نحو بحر الصين الجنوبي، وأهم هذه الأنهار "سونج ما" الذي يصب عند ثان هو، و سونج كا الذي يصب عند أنجيان. أما بقية الأنهار الساحلية، فالأما صغيرة للغاية، لاتعدو أن تكون بحار تحمل السيول من المرتفعات إلى السهل الساحلي.

وتتميز فيتنام بتنوع مظاهر السطح فيها، ففي شمالها توجد المرتفعات الشمالية، وتعرف باسم فيت باك، ويتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠، ٢٠٠٠ م فوق سطح البحر، كما توجد المرتفعات الشمالية الغربية وتعرف باسم تساي باك، وتعتبر سلسلة جبال هوانج لين سون أعلى هذه السلاسل الجبلية، وتبلغ أقصى ارتفاعها عند قمة فانسيان التي تصل إلى ٣١٤٠ م فوق سطح البحر.

ويؤثر امتداد فيتنام الطويل على طول مسافة تزيد على ١٠٠٠ كم بين هانوي وسايغون، وموقعها في الأطراف الجنوبية الشرقية للقارة الآسيوية بين خطتي

الصين القارية في الشمال، وامتداد القارة في الشمال الشرقي من جهة وبين المساحات المائية الواسعة في شرقها وجنوبها من جهة أخرى، يؤثر ذلك في المناخ تأثيراً واضحاً، فبينما نجد أن المناطق الشمالية تتعرض لشتاء بارد وصيف حار، نجد المناطق الجنوبية تتميز بارتفاع الحرارة طول العام لقرها من خط الاستواء. وكان لهذا كله أثره في تنوع الحياة النباتية بين شمال وجنوب فيتنام^(٨١). وقد شملت الهند الصينية الفرنسية الأراضي الواقعة في المثلث الجنوبي الشرقي لآسيا، والتي امتدت من الصين شمالاً حتى خليج تايلاند جنوباً، وضمت كلا من تونكين (فيتنام الشمالية) وأنام (فيتنام الجنوبية) والصين الكوشينية، ولاوس، وكمبوديا^(٨٢).

وقد تأثرت الهند الصينية بحضارتين مختلفتين، الحضارة الهندية والحضارة الصينية، وقد ظهر التأثير الهندي بوضوح في الأجزاء الغربية، أي في سيام وبورما، بينما امتد التأثير الصيني في الجهات الشرقية أي في الهند الصينية الفرنسية، مما كان له أثره الواضح في الصراع الذي دار بين فرنسا والقوى الوطنية في المنطقة، وإلحاحاً في تونكين وأنام، فقد نظرت تلك القوى للصين على أنها الحليف القوي ضد العدو الأوربي.

وإذا تحدثنا عن بداية الاتصال الأوربي بالهند الصينية، فينبغي أن نذكر أن البرتغال كانت من أوائل الدول الأوربية التي قامت بعمليات الكشف الجغرافية^(٨٣).

فرنسا والهند الصينية

اتخذ النشاط الفرنسي في الهند الصينية منذ القرن السابع عشر طابعاً صليبياً.. كما وكر الفرنسيون على منطقة من الهند الصينية، ألا وهي منطقة فيتنام بأقسامها الثلاث أنام (فيتنام الجنوبية) والصين الكوشينية، وتونكين (فيتنام

(٨١) انظر الفصل الأول من الكتاب

الشمالية). فخلال القرن الثامن عشر سعت فرنسا لتحقيق هدفين في المنطقة، الأول نشر المسيحية، والثاني السيطرة التجارية، وبالتالي اتجهت أنظارها إلى جزيرة بولو كوندور لتكون مركزا للفرنسيين^(٨٦) إلا أن الاهتمام الفعلي بهذه المنطقة من جانب فرنسا بدأ يظهر بعد حرب السنوات السبع، بعد أن فقدت فرنسا الكثير من مستعمراتها، وتبنى دي شوازل وزير البحرية الفرنسية في عام ١٧٦٨ فكرة إرسال حملة عسكرية إلى الصين الكوشينية، وكذلك وضع وزير الخارجية الفرنسي دي فرجين في عام ١٧٧٥ خطة لإرسال حملة إلى أنام، ولكن المشروع قوبل بالرفض من الحكومة. ثم جاء الدعم الفرنسي لحرب الاستقلال الأمريكية، فتأجلت المشروعات الفرنسية في الهند الصينية.

ولكن نتيجة للخدمات التي قدمها الفرنسيون للامبراطور جياالونج - وهو أول من وحد فيتنام بضمه تونكين إلى أنام في دولة واحدة (١٨٠٣-١٨٢٠) - كان جياالونج منتميا لفرنسا لمعاونتها الكبيرة له، إلا أن خليفته منه مانج Mang (١٨٢٠-١٨٤١) كان يكره الأوروبيين، ورفض عقد أية معاهدات تجارية مع فرنسا، كما رفض استقبال القائد البحري الفرنسي دي بوجنيل، وأنقطعت الصلات تقريبا بين الطرفين.

كما عمد منج إلى اضطهاد مواطنيه الذين اعتنقوا المسيحية، وأعدم الكثيرين من رجال الدين المسيحي.

وبعد وفاة منج تولى ثيو تري Thieu - Tri الحكيم (١٨٤١-١٨٤٧) فواصل سياسة سلفه في اضطهاد المسيحيين في بلاده. وكانت فرنسا قد حصلت منذ عام ١٨٤٤ على حق حماية البعثات الكاثوليكية في الصين، واعتبرت نفسها حامية الكاثوليكية في الشرق الأقصى.

وفي عام ١٨٤٧ قامت الحكومة الفرنسية بعمل حاسم ضد تيو تيرى، بعد أن قتل عددا من الأوربيين، ورفض تسليم أعضاء حدى البعثات الكاثوليكية، فقامت السفن الحربية الفرنسية بضرب ميناء توران بالمدفعية .

فرنسا وضم الصين الكوشينية

استمرت سياسة اضطهاد أعضاء البعثات الدينية في عهد الامبراطور تودوك Tu-Duc (١٨٤٨ - ١٨٨٣) فأصدر ثلاثة مراسيم في أعوام ١٨٤٨ ، ١٨٥١ ، ١٨٥٥ باعدام أعضاء البعثات الدينية المسيحية، مما أدى إلى إزدياد التوتر بينه وبين فرنسا.

وقد أرسلت فرنسا حملة بالفعل بقيادة جونوي، قامت بالاغارة على ميناء توران سنة ١٨٥٨ ، وعلى سايجون ١٨٥٩ ، إلا أن القوات الفرنسية خشيت من التوغل في بلاد مجهولة بالنسبة لها، وفضلت التفاوض مع تودوك ، وظلت حالة التوتر بين الطرفين قائمة، إلى أن عقدت ماهدة مع تودوك، وقد وقعت المعاهدة في ٢٦ مايو ١٨٦٢ في سايجون، وافق فيها تودوك على تسليم ثلاث مقاطعات في شرق الصين الكوشينية لفرنسا، وبدفع غرامة مالية، كما أنه سمح باعتناق المسيحية في أراضيه، وافتتح ميناء توران للتجارة. وبذلك تكون الصين الكوشينية من أولى المناطق التي وضعت فرنسا يدها عليها مكونة مستعمرة فيها. وتؤكد ذلك الوضع بمعاهدة في ٥ مارس ١٨٧٤، اعترف فيها تودوك بالحماية الفرنسية على الصين الكوشينية (٨٧).

فرنسا وضم تونكين

الواقع أن فرنسا كانت حريصة على استبعاد نفوذ أية دولة أوروبية في المنطقة وخاصة بريطانيا، وقد حرت اتصالات فرنسية ألمانية، أكد فيها المسئولون الألمان أن اهتمامهم بالشرق الأقصى قاصر على التجارة، وأنه من مصلحة ألمانيا سيطرة فرنسا على تونكين لتأمين التجارة الألمانية، وواضح ان هذا الكرم الألماني

تجاه فرنسا هو لابعاد فرنسا عن أوروبا، وفتح مجالات خارجية لها كي تنسى خسارتها للأكرس واللورين في أعقاب حرب السبعين.

وفي يوليو ١٨٧١ اعتمد البرلمان الفرنسي ميزانية للعمليات العسكرية في تونكين، وقد أثارت هذه الخطوة الصين، وبدأت بالفعل الحملة العسكرية التي تورطت فيها فرنسا واستمرت عدة سنوات، لأن فرنسا واجهت مقاومة عنيفة أثناء تقدمها في تونكين، وخاصة في هانوي، وقد أسرع الامبراطور تودوك إلى الاستنجاد بالصين، فأرسلت قواتها العسكرية، واحتلت ثلث مساحة تونكين.

وقد حاول السفير الفرنسي في الصين تسوية النزاع، فتقدم بعدة اقتراحات للحكومة الصينية، منها إخلاء القوات الصينية لتونكين، وإنشاء وكالات فرنسية في المنطقة، وأن يكون النهر الأحمر هو خط الحدود الفاصل بينهما. وقد تظاهرت الحكومة الصينية في البداية بالموافقة، وسحبت بالفعل بعض قواتها في يناير ١٨٨٣، ولكن هذه القوات لم تمثل في الواقع إلا نسبة ضئيلة من القوات الصينية في تونكين، وظلت القوات الفرنسية تعاني هناك من هجمات المقاومة الوطنية.

وخلال هذه الفترة قتل الامبراطور تودوك، وقد قبل الحاكم الجديد الامبراطور هيب هوا توقيع معاهدة حماية مع الفرنسيين في ٢٥ أغسطس ١٨٨٣، ووافق على إعلان الحماية على أراضيه، وإشراف فرنسا على شئونته الخارجية، واحتلال القوات الفرنسية للحصون في تونكين، وأن تكون إدارة البلاد في يد الفرنسيين، كما تعهد بفتح النهر الأحمر للملاحة والتجارة^(٨٨).

وقد استمرت الاضطرابات في تونكين رغم عقد معاهدة الحماية، ولكن سرعان ما تحول الموقف لصالح الفرنسيين، عندما نجح الفرنسيون في صد هجوم قامت به القوات الصينية احتجاجاً على توقيع معاهدة الحماية، وفضلت الصين في هذه الفترة مهادنة فرنسا، فقبلت توقيع معاهدة سنة ١٨٨٤ مع فرنسا، وتعهدت بسحب قواتها من تونكين، كما اعترفت بالمعاهدات التي عقدت بين فرنسا

وأنام. كما تم توقيع معاهدة بين الطرفين في ٢٥ أبريل ١٨٨٦، حددت فيها الحدود بين تونكين في فيتنام الشمالية وبين الصين. ورغم ذلك ظلت فرنسا تواجه الهجمات الوطنية المسلحة حتى عام ١٨٩٦، إلى أن تمكنت من إضعاف الحركات المناوئة لها.

فرنسا وضم كمبوديا

إذا كانت فرنسا قد مارست نشاطها مبكرا في منطقة فيتنام، فإن هذا النشاط قد تأخر في منطقة هامة من مناطق الهند الصينية وهي كمبوديا، فلم يظهر بوضوح إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر، خاصة بعد أن فرضت فرنسا حمايتها على الصين الكوشينية عام ١٨٦٢، فرأت ضرورة مد نفوذها على الأراضي المجاورة لمستعمراتها الجديدة غربا، وتحقيق الاتصال بينها وبين كمبوديا. ومنذ أواخر القرن الثامن عشر عمل حكام كمبوديا على إرضاء جيرانهم خاصة كلا من حكام أنام وسيام، فقاموا بدفع الضرائب السنوية لهم، وقد استمرت هذه السياسة حتى القرن التاسع عشر.

وقد رأت فرنسا الإفادة من الموقف المضطرب في كمبوديا، ومن الصراع الدائر بين كل من أنام وسيام للاستحواذ عليها، وافقت الملك آنج ديونج Ang Duong (١٨٤٨ - ١٨٦٠) بتوقيع معاهدة تجارية معها، وقد قبل الملك تدعيم صلاته بالفرنسيين لمساعدته ضد منافسيه. ولكن خلال هذه الفترة لم يكن الساسة الفرنسيون قد قرروا بعد التوغل في كمبوديا، وإنما كان اهتمامهم مركزا على فيتنام، ولذلك اكتفوا بالمحافظة على علاقاتهم الودية مع كمبوديا. وفي عهد الملك نورودوم (١٨٦٠-١٩٠٤) نجحت فرنسا في تدعيم سيطرتها على كمبوديا، حيث عاونت نورودوم في السيطرة على البلاد وضد منافسيه الأقوياء، وعرضت عليه الحماية الفرنسية، ولكن نورودوم رفض ذلك في أول الأمر، ولكن مع الضغوط الفرنسية قبل نورودوم الحماية سنة ١٩٠٣،

وتوقيع معاهدة مع الفرنسيين، وتعهد بضمان حرية التجارة، وحرية عمل البعثات المسيحية، ولكن سرعان ما تأزم الموقف، عندما ضغطت سيام على تورودوم، الذى وافق على أن يكون نائبا للملك سيام في كمبوديا. ولكن رجال البحرية الفرنسية سرعان ما احتلوا قصر تورودوم ورفعوا العلم الفرنسى عليه، وأجبروا الملك على التراجع عن موقفه، وأن يعلن من جديد قبوله للحماية الفرنسية على بلاده^(٨٩).

فرنسا وضم لاوس

تعتبر لاوس المنطقة الثالثة والأخيرة من مناطق الهند الصينية التي وضعت فرنسا يدها عليها، فلم تلفت المنطقة انتباه الفرنسيين، مثل باقى مناطق الهند الصينية، وذلك لوعورة أراضيها، وانتشار الاضطرابات بها، وأطماع جيرانها في السيطرة عليها ولاسيما فيتنام وسيام وبورما، ولذلك تأخر وقوعها في أيدي الفرنسيين.

وقد بدأ إرسال البعثات الكشفية الفرنسية إلى لاوس منذ عام ١٨٨٢، وفي عام ١٨٨٩ عقدت فرنسا اتفاقية مع لاوس احتلت فرنسا بمقتضاها الضفة اليسرى لنهر الميكونج. وفي عام ١٨٩٣ فرضت فرنسا حمايتها على لاوس، واعترفت سيام بتبعية الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى للميكونج لفرنسا، وهكذا ضمت فرنسا لاوس عن طريق اتفاق فرنسا مع سيام.

اتحاد الهند الصينية الفرنسية

وما كاد القرن التاسع عشر يوشك على الانتهاء حتى كانت فرنسا قد أتمت مهمتها التوسعية في الهند الصينية. وفي عام ١٨٨٧ صدر مرسوم بتكوين اتحاد الهند الصينية الفرنسية الذى ضم أنام وتونكين إلى وزارة البحرية والمستعمرات، وضمهما إلى مستعمرة الصين الكوشينية وكمبوديا، ومنذ عام

١٨٩١ تولى الاشراف على الاتحاد حاكم عام تركزت في يده كل السلطات الإدارية والمدنية والعسكرية، ثم انضمت لاوس إلى الاتحاد. وفي عام ١٩٠٠ انضمت إلى الاتحاد منطقة جديدة تنازلت عنها الصين لفرنسا عام ١٨٩٨ وهي منطقة كوانج تشو وان Kouang Tcheou Wan. وقد أفادت فرنسا من ضم هذه المنطقة لثرواتها ومناجمها.

وقد حاولت فرنسا صيغ المنطقة بالصبغة الفرنسية. وصادفت في هذا الصدد عقبات كثيرة، فقد قابل السكان الوطنيون هذه الفرنسية عنيفة، وإن كانت المقاومة الوطنية قد ظهرت بصورة أوضح في فيتنام، فلم تنقطع فيها المقاومة الوطنية، وقد ساعدت طبيعة المنطقة على شن حرب العصابات (١٩٠٠)، فقد أراد الوطنيون الحصول على حريتهم بعيدا عن السيطرة الفرنسية، ولكن ذلك تطلب جهادا طويلا وعبر عدة عقود من السنين.

فرنسا والاستغلال الاقتصادي في فيتنام

لقد أصبحت فيتنام إضافة إلى الاقتصاد الفرنسي، لقد احتوت فيتنام على كميات من مناجم الفحم والقصدير والمطاط . وكانت أكثر هذه المواد الخام تصدر إلى فرنسا. كما كانت فيتنام سوقا رائجة للمصنوعات الفرنسية. وفي العقود الأولى من القرن العشرين فإن ٥٧% من واردات فيتنام كانت تتكفل بها الشركات الفرنسية.

وللمساعدة في نقل هذه المواد الخام، والواردات، شيد الفرنسيون الطرق المعبدة وشقوا القنوات، ومدوا الخطوط الحديدية. ومن أجل تدبير الأموال لهذه المشروعات، فرض الفرنسيون الضرائب على الفلاحين الفيتناميين مما أدى إلى ازدهار حركة التعدين، وازدياد المزارع.

كما حاول الفرنسيون تغيير العادات والتقاليد الفيتنامية وعوقب السذج رفضوا التغييرات الاجتماعية، كما أن بعض الفيتناميين قبلوا هذه التغييرات وتركوا تقاليدهم واعتنقوا الكاثوليكية واعتادوا التقاليد الفرنسية، وبالتالي حاز هؤلاء على الكثير من الامتيازات عن باقي مواطنيهم، الذين تمسكوا بتقاليدهم الوطنية. وهذه المجموعة القليلة المتفرنسة ظهرت على شكل فئة من الصفوة التي ساعدت الفرنسيين على حكم نحو ثلاثين مليون نسمة في فيتنام وكمبوديا ولاوس.

واحتاج الأمر من المديرين الفيتناميين إلى طلب نشر التعليم. ولقد أنشئت المدارس الفرنسية سنة ١٩٠٢، كما افتتحت جامعة هانوي، ورغم أن الغرض من التعليم كان تخريج شباب موالٍ للامبراطورية الفرنسية، فإن البعض من هؤلاء الطلاب بدأ يتساءل عن أحقية فرنسا في حكم هذا الإقليم^(١).

الحركات الوطنية المبكرة

كانت حركة مقاومة التنصير مظهراً من مظاهر تمسك الشعب الفيتنامي بقيمته واعتزازه بشخصيته وثقافته، ولقد استمرت هذه الروح في الشعب الفيتنامي طوال عهد الحكم الفرنسي، وكان يثور في وجه الفرنسيين إذا ما اتبعوا سياسة الحكم المباشر.

وفي الفترة من عام ١٨٦١ حتى نهاية القرن التاسع عشر ظهرت بين الشعب الفيتنامي زعامات عديدة من الفلاحين، ومن الرؤساء التقليديين، وبعض الزعامات الدينية الكونفوشية، وشملت هذه الحركات كل القرى والمدن، وكان الفرنسيون يعتمدونهم بقواتهم العسكرية المتفوقة بالأسلحة.

وعلى الرغم من محاولة الحكم الفرنسي عزل الشعب الفيتنامي عن الاتصال بالعالم الخارجي، فإن انتصارات اليابانيين على الروس سنة ١٩٠٥ جعلت الشعب الفيتنامي يدرك حقيقة هامة: هي قدرة الشعوب الآسيوية على

الوقوف في وجه القوى الأوروبية الزاحفة على الشرق الأقصى، وأصبحوا ينظرون إلى الانتصار الياباني نظرة بطولية أدت إلى تشجيع قيام أولى الحركات الوطنية المنظمة بزعامة فام بوي كانو Fham Boi Chan الذي قاد ثورات متفرقة ضد الحكام الفرنسيين، ولكنه اضطر في النهاية أمام قسوة النيران الفرنسية إلى اللجوء إلى اليابان.

ومما يستحق الذكر أن قيام الثورة الوطنية في الصين سنة ١٩١١، كان له أثره على الحياة السياسية في فيتنام، فقد أدى تكوين الكومنتانج بقيادة تشانج كاي تشيك، إلى بدء قيام الأحزاب السياسية المماثلة في منطقة الشرق الأقصى، فتكون في فيتنام حزب وطني فيتنامي اتخذ اسم فيتنام - كواك - وأن - وانج، وعقد هذا الحزب أول مؤتمره له خارج أرض الوطن سنة ١٩١٤ في كانتون بالصين، نظرا لأن السلطات الفرنسية لم تسمح له بالقيام بساى تشااط داخل البلاد^(١٢).

كما تميزت فترة ما بين الحربين العالميتين، بأنها فترة الصراع بين الحكم الفرنسي والاتجاهات الوطنية في فيتنام وقد ترتب على الحكم الفرنسي الاستعماري انتزاع بعض المزارع من الفيتناميين ومنحها لهيئات الاستغلال الفرنسية، وبدأت مصالح بعض الاقطاعيين الفيتنامي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ونما الحزب الوطني وأصبح معترفا بوجوده، كما تكونت جمعيات أخرى عديدة، وكانت كلها تطالب بمزيد من الاصلاحات الدستورية وإقامة حكم وطني.

وتتلخص أسباب عرامة الحركة الوطنية الفيتنامية في تلك المرحلة ما بين الحربين العالميتين في:

١ - الانتصارات الآسيوية على الأوروبيين (انتصار اليابان على روسيا سنة ١٩٠٥).

٢- ظهور حركات وطنية آسيوية مجاورة مثل الحركة الوطنية في الصين سنة ١٩١١.

٣- ظهور مبدأ حق تقرير المصير الذي نادى به الرئيس الأمريكى ويلسون في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

٤- ظهور حركة غاندى القومية في الهند.

وهكذا تكونت منظمات فيتنامية وطنية تولت الحركة الوطنية منها:

١- الحزب الوطنى الفيتنامى (كودك دون ونج) الذى تشكل سنة ١٩١٣ وعقد أول مؤتمر له في كانتون بالصين سنة ١٩١٤.

٢- اتحاد الطلاب الثوريين (ثان في نا).

٣- هيئة الشباب الثورى الفيتنامى الذى كونها في أول الأمر (هو شى منه) الذى كان يحمل اسم نجوين آى كوك ، وحولها إلى حزب شيوعى تحت اسم تان نين كاش مانج دونج سنة ١٩٢٥، وكان مقرها جنوب الصين.

٤- تكوين حزبين شيوعيين آخرين سنة ١٩٢٥.

٥- في سنة ١٩٣٠ قام هو شى منه بتوحيد الأحزاب الشيوعية الثلاثة في حزب شيوعى واحد للهند الصينية.

وقد بدأت حركات العنف منذ عام ١٩٢٥ بإلقاء المتفجرات على المراكز الفرنسية، كما وقعت مصادمات دامية بين الوطنيين والفرنسيين سنة ١٩٢٩ في سايجون وهانوى وهايفونج وأعقب ذلك أحداث مماثلة في عامى ١٩٣٠ و ١٩٣١، ثم أمكن إخمادها بعمليات قمع فرنسية عنيفة.

واضطرت فرنسا إلى إعلان تنازلات كثيرة، فزادت من إشراك الوطنيين في حكم بلادهم، وقامت الحرب العالمية الثانية، وقد بلغ شعب فيتنام درجة عالية من النضج السياسى. (١٢)

فيتنام والحرب العالمية الثانية

كان قيام الحرب العالمية الثانية في أواخر عام ١٩٣٩ نقطة تحول في تاريخ العالم، ولقد تعرض جنوب شرق آسيا لظهور قوى جديدة تتحكم في توجيه الحياة السياسية فيه ممثلة في اليابان التي دخلت الحرب العالمية الثانية إلى جانب النازية والفاشية ضد العالم الغربي، والصين التي تعرضت لصراع عنيف بين القوى الوطنية اليمينية والقوى الشيوعية اليسارية. وكان لظهور هاتين القوتين في سنوات الحرب، ثم في أعقابها أثرهما الكبير في إحياء الروح الوطنية جنوب شرق آسيا بصفة عامة وفي فيتنام بصفة خاصة^(٩١).

وفي عام ١٩٤٠ اجتاحت القوات اليابانية الهند الصينية، وذلك بعد احتلال الألمان لباريس، وهكذا لم تجد القوات الفرنسية حدود من المقاومة، وسلمت للقوات اليابانية في فيتنام^(٩٢) وذلك طبقا لاتفاق طوكيو الذي وقع في سبتمبر ١٩٤٠ بين اليابان وحكومة فيشي التي كونها الجنرال بيتان بعد أن حل محل دييول في الحكم، واستسلم للاحتلال الياباني.

وقد سمح اليابانيون للمكتب الفرنسي التابع لحكومة فيشي الخاضعة للمحور بالاستمرار في ممارسة أعمال الإدارة في أجزاء فيتنام، واكتفى اليابانيون بالاحتلال العسكري للمواقع الاستراتيجية الهامة اللازمة لخطة دفاعهم، واحتفظوا بجيش قوامه ٣٥ ألف جندي في هذه المواقع^(٩٣).

ووجد الفرنسيون أنفسهم في وضع حرج، ذلك أن إبقاءهم في وظائفهم نتيجة تفاوض حكومة فيشي مع اليابان لم يعفيهم من معارضتهم الذاتية للحكم الياباني، وفي نفس الوقت كانوا يحكم طبيعتهم الاستعمارية بمشون من غم الروح الوطنية في فيتنام. وعلى الرغم من أن نشاط الحركة الوطنية التي أخذت تنمو في فيتنام كان موجها في ذلك الوقت ضد الاحتلال الياباني، إلا أن المؤرخين الفرنسيين وجهوا كل جهودهم لمقاومة توغيا.

وفي سنة ١٩٤١ قرر الحزب الشيوعي الفيتنامي تعديل سياسته بإنشاء جبهة وطنية تضم كل العناصر المعارضة للفرنسيين الأجنبي، وتكونت الجبهة من تجمع الكثير من التنظيمات والعضوات الوطنية تحت قيادة هوشي منه الذي كان قد عاد إلى جنوب الصين، وتم ذلك في مؤتمر وطني عقد في الصين بمسؤول من السلطات الصينية، وأعلن في نهايته قيام الجبهة باسم جماعة الاستقلال الفيتنامية أو "الفيت منه" وهي اختصار لاسم الجبهة باللغة الوطنية وهو (فيتنام دوك لاف دونج منه هوي).

وأرسل أحد أعضاء الفيت منه البارزين وهو فونجوين جياب إلى فيتنام لتنظيم حركة طليعية، واستطاع جياب أن يجمع نحو مائة ألف مقاتل^(١٧). واعتقد اليابانيون خطأ أنهم قادرون على استخدام الفيت منه للسيطرة على فيتنام وتوجيهها لصالح السياسة اليابانية، ولكن حدث العكس، فقد أرسلت الفيت منه ممثلين عنها إلى قوات الولايات المتحدة لطلب المساعدات العسكرية، واستطاعت هذه المساعدات أن تقاوم الاحتلال الياباني، ونجحت في السيطرة على معظم تونكين، وبذلك كان هوشي منه يستغل في أول الأمر مساعدات الولايات المتحدة الأمريكية، وتأييد حكومة الصين ضد الاحتلال الياباني.

إعلان الاستقلال

في أواخر عام ١٩٤٤ نزلت القوات الفرنسية بمساعدة الحلفاء الأمريكيين على سواحل فيتنام، وخشى اليابانيون من خطورة وجود الفرنسيين في مراكز الإدارة والحكم، مما دعاهم إلى القبض على كل الفرنسيين الموجودين في فيتنام، وإلغاء اتفاقية طوكيو التي كانت قد عقدت سنة ١٩٤٠، وإلغاء الاستعمار الفرنسي في الهند الصينية، وبذلك أبعد الفرنسيون فجأة عن الحكم والإدارة، وأصبحت الفيت منه هي الهيئة الوحيدة التي تتولى القيادة السياسية وتقارن مع الاحتلال الياباني، وفي مارس سنة ١٩٤٥ نجح اليابانيون في القضاء على الحمايات

الفرنسية تماما. (٩٨) وهكذا ألغى اليابانيون عمليا الحكومة الاستعمارية الفرنسية في فيتنام، ووضع اليابانيون على رأس السلطة إمبراطور أنام المتقاعد باوداي، الذي قرر اليابانيون استخدامه، وطلبوا إليه أن يعلن الاستقلال (٩٩) ولم يعترف الشيوعيون والقوميون بحكومة باو داي العميلة، فشكل هوشي منه الحكومة المؤقتة برئاسة.

ولما ألقت الولايات المتحدة الأمريكية قبيلتها الذرية على هوشيما، وبدأ للعالم قرب نهاية الحرب، أعلن هوشي منه في اليوم التالي قيام لجنة تحرير شعبية فيتنامية برئاسة يوم ٧ أغسطس ١٩٤٥.

كما اتجه هوشي منه إلى باوداي ليكون مستشارا للدولة، لأنه كان له مركزه لدى بعض طوائف الشعب الفيتنامي . وفي ٢٨ أغسطس ١٩٤٥ أعلن هوشي منه حل لجنة التحرير الشعبية، وشكل حكومة وطنية جديدة برئاسة، وكان باوداي مستشارا أعلى لهذه الحكومة، وكان معظم الوزراء من الشيوعيين . وقد أعلنت هذه الحكومة استقلال فيتنام في ٢ سبتمبر ١٩٤٥ . إلا أن فرنسا والحلفاء لم يعترفوا بهذا الاستقلال.

وفي الوقت الذي كانت فيه حكومة هوشي منه تعمل على تدعيم الاستقلال، كان اتفاق يوتسدام قد عقد دون أن تحضره فرنسا، وتقرر فيه أن تقوم حكومة الصين الوطنية (تايبوان) بغزو الهند الصينية حتى خط عرض ١٦° شمالا، وأن تقوم بإحتلال الجزء الجنوبي.

وتطورت الأحداث بسرعة خلال عام ١٩٤٥ - وبعد أستسلام اليابان - وبدأت الصين الوطنية (تايبوان) تغزو شمال فيتنام، ووجد هوشي منه الفرصة سانحة لتدعيم قوة الفيت منه بمساعدة الصينيين كمرحلة أولى من مراحل تحقيق الاستقلال، وذلك بتحريض المنطقة من الإحتلال اليابان، أما البريطانيون فكانوا يؤيدون إعادة النفوذ الفرنسي للمنطقة، فقد أرسلوا فواقم من البريطانيين والهنود

إلى سايغون. ولما وصلت القوات الفرنسية متأخرة في ٣ أكتوبر وجدت الوضع في غاية الاضطراب، فالفيت منه كونوا مجلسا تنفيذيا، وأعلنوا الاستقلال، والقوات البريطانية تمحلت في طرد اليابانيين، وأطلقت سراح الأسرى الفرنسيين وسلحتهم، فأخذوا يعتدون على قوات الفيت منه، الذين قسروهم بشدة، وكيلاوهم خسائر كبيرة.

وزاد الأمر تعقيدا في وجه السياسة الفرنسية أن الفيت منه نظموا في يناير ١٩٤٦ إنتخابات عامة أختير نتيجتها هوشي منه رئيسا للحكومة، مما ألبأ فرنسا إلى اتباع سياسة المهادنة المؤقتة حنيا إلى حنب مع سياسة محاولة استعادة السيطرة العسكرية.

وفي مارس من نفس السنة وقع هوشي منه مع المفاوضين الفرنسيين اتفاقية نصت على اعتراف فرنسا باستقلال فيتنام كوحدة سياسية في اتحاد الهند الصينية الفيدرالي، الذي اعترف له بالحكم الذاتي داخل نطاق الاتحاد الفرنسي، مع تمكين القوات الفرنسية من الحلول محل قوات الصين الوطنية (تايبان) التي احتلت الشمال، وقد قبل هوشي منه هذه الاتفاقية للتخلص من قوات الصين الوطنية من ناحية ولأن قوات الفيت منه لم تكن تستطيع مواجهة القوات الفرنسية التي تدعمها الدول الغربية.

الا أنه مع منتصف عام ١٩٤٦ تبين التناقض الكبير بين وجهتي نظرس حكومة جمهورية فيتنام برئاسة هوشي منه، والمندوب السامي الفرنسي في فيتنام. وهكذا بدأت المواجهات المسلحة من جديد مع ديسمبر ١٩٤٦، وسقط ستة آلاف بين قتيل وجريح من أبناء الشعب الفيتنامي في ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ في هانوي وحدها، وهكذا بدأ النضال المسلح من جديد بين الطرفين^(١٠٠).

نضال الشعب الفيتنامي ضد الاستعمار الفرنسي ١٩٤٦ - ١٩٥٤

في يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٤٦ بدأ الشعب الفيتنامي نضاله لتصفية الاستعمار الفرنسي وحتى يوم ٦ مايو ١٩٥٤، حيث سقط أقوى معادل الدفاع الفرنسية: حصن ديان بيان فو.

وقد استغرق الأمر ثلاث سنوات (١٩٤٦ - ١٩٤٩) حتى يمكن لهوشي منه بناء القوة العسكرية اللازمة لمواجهة القوات الفرنسية، وبالتالي كانت المعارك في هذه المرحلة محدودة^(١٠١).

وقد تغير الموقف الدولي بعد نجاح الثورة الصينية الشيوعية في أكتوبر ١٩٤٩ وإزدياد المد الاشتراكي في المنطقة، ووضعت الولايات المتحدة خططها لاحتواء التوسع الشيوعي في جنوب شرق آسيا.

وفي يناير ١٩٥٠ اعترفت جمهورية الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي بجمهورية هوشي منه الديمقراطية في فيتنام، وارسلت الصين إمدادات عسكرية ضخمة إلى هوشي منه. كما أن الولايات المتحدة وبريطانيا اعترفتا بالمقابل بالحكم الوطني العميل لفرنسا في جنوب فيتنام.

وفي ٢٦ يوليو ١٩٥٠ منحت الولايات المتحدة الأمريكية إمدادات عسكرية لفرنسا، كما أنفقت الولايات المتحدة ثلاثة مليارات دولار في الأربع سنوات التالية لمعاونة فرنسا في حربها ضد فيتنام الشمالية.

وقد بدأ نوع من الحرب الباردة حول مشكلة فيتنام، فبدول العالم الاشتراكي وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي والصين ويوغوسلافيا أيدت حكومة الفيت منه، أما الولايات المتحدة ودول الغرب الرأسمالي فقد أيدت حكومة فيتنام المركزية التي أقامها الفرنسيون في سايجون.

وفي أكتوبر ١٩٥٠ تقدم القائد الفيتنامي الشمالي الجنرال جياب إلى المعادل الفرنسية، وأنزل هزائم ساحقة بالفرنسيين، وذلك بعد أن حشد ٨١ فرقة

مسلحة تسليحا جيدا، بدأ بها الزحف على هانوى بسوم ١٣ يناير ١٩٥١، واستمرت المعارك المتتالية في المدن والمراكز والقرى^(١٠٢).

معركة ديان بيان فو

مع بداية عام ١٩٥١ قام نحو ٢٠,٠٠٠ جندي من الفيت منه بقيادة الجنرال جياب بمهاجمة المراكز الفرنسية العسكرية في دلتا النهر الأحمر، ولكنهم ردوا عنها مع حسارة نحو ٦,٠٠٠ قتيل، مما أدى إلى انسحاب الجنرال جياب. وفي مارس ١٩٥١ تعرضت قوات الجنرال جياب أثناء هجومها الثاني على القوات الفرنسية لخسائر فادحة قدرت بنحو ٣,٠٠٠ قتيل، وهكذا قرر جياب الانسحاب من منطقة دلتا النهر الأحمر.

واستمرت هجمات الفيت منه على القوات الفرنسية، التي أقامت استحكامات قوية في عامي ١٩٥٢، ١٩٥٣ لحماية قاعدة جوية فرنسية في أحراش وادي ديان بيان فو في شمال فيتنام. ولكن الجنرال جياب حشد قواته التي أصبحت مسلحة تسليحا جيدا بالدعم الصيني والسوفيتي. ولكن الفرنسيين لم يقدرُوا جيدا قوة وتسليح أعدائهم، فقد قام جياب في ١٣ مارس ١٩٥٤ على رأس جيش من ٥٠,٠٠٠ مقاتل من قوات الفيت منه بمهاجمة القوات الفرنسية التي كانت تحمي القاعدة الجوية في ديان بيان فو، وأمكن للفيت منه ضرب القوات الفرنسية بالمدفعية، مع تدمير عمر الطائرات الوحيد في القاعدة الجوية، مما أدى إلى عدم وصول المون إلى القوات الفرنسية إلا بالمظلات.. وتقدمت قوات الفيت منه رويدا رويدا لحصار القوات الفرنسية في ديان بيان فو. وهكذا ومسح ٣٠ مايو ١٩٥٤ تم حصار ١٠,٠٠٠ فرنسي من جانب نحو ٤٥,٠٠٠ من قوات الفيت منه. وهكذا طالب الفرنسيون بالمساعدة الأمريكية... وكان أمام الولايات المتحدة ثلاثة اختيارات: إرسال قوات أمريكية لفاك الحصار، أو ضربه جوية ساحقة، أو استخدام القنابل الذرية، ولكن الرئيس أيزنهاور استبعد الضربة

الجوية أو الخيار النووي، بعد استلامه رأيا بعدم استخدام أى من هذه الاختيارات من حليفه الرئيسى بريطانيا.

وهكذا استسلم الفرنسيون في ديان بيان فو لقوات الفيت منه، وبعد أن قدرت خسائر الطرفين في هذه المعركة بـ ٨٠٠٠ من قوات الفيت منه و ١٥٠٠ من القوات الفرنسية . وسار الأسرى الفرنسيون (٨٥٠٠ جندي) ٦٠ يوما إلى معسكرات الاعتقال على مسيرة ٥٠٠ ميل، ومات نصف هؤلاء في الطريق أو في الأسر.

وهكذا تقدمت فرنسا باقتراح الانسحاب من فيتنام بعد ثمان سنوات مريرة من القتال مع الفيت منه، حيث قتل ٤٠٠ ألف من الجنود والمدنيين من الطرفين (١٠٣).

مؤتمر جنيف ١٩٥٤

أصبح العالم ينظر إلى حرب الفرنسيين في فيتنام على أنها حرب قذرة، حتى الشعب الفرنسي ذاته كان غير راض عن هذه الحرب العدوانية، وأصبح الجو الدولي مهيأ للقيام بعمل يحقق السلام في الشرق الأقصى. وفي مؤتمر ضم رؤساء الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا ورئيس الوزراء البريطاني في يناير ١٩٥٤ تقرر أن يعقد مؤتمر لبحث مشكلتي كوريا وفيتنام تشترك فيه الأربع عشرة دولة ذوات المصالح المشتركة في هاتين المشكلتين، وتقرر أن تبدأ اجتماعات المؤتمر في ٨ مايو ١٩٥٤ في جنيف بسويسرا. وتصادف أن كان هذا التاريخ هو اليوم التالي لسقوط ديان بيان فو في أيدي قوات الفيت منه. وقد تم التوقيع على الاتفاقية الأولى التي توصل إليها المؤتمر في ٣٠ يوليو ١٩٥٤، ووقع على الاتفاق كل من الجنرال دلتيل عن الجانب الفرنسي وتاكو ونج عن جمهورية فيتنام الديمقراطية (الشمالية) ولم يطلب إلى مندوبي حكومة فيتنام المستقلة (الجنوبية) التوقيع على هذه الاتفاقية، مما أدى إلى تقديم احتجاجا

شديداً ضد موافقة القيادة الفرنسية على الهدنة، وإقرارها بالتوقيع على الاتفاقية، ولكن هذا الاحتجاج لم يلق أى اهتمام.

وعمقت اتفاقية الهدنة تعهدات كل من القوات الفرنسية وقوات الفيت منه أن تتسحب كل منهما فيما وراء الخط المحدد، وهو خط عرض ٥١٧ شمالاً بحيث تتسحب القوات الفرنسية إلى جنوب هذا الخط، وتتسحب قوات الفيت منه إلى شماله. كما نصت الاتفاقية على امتناع الجانبين عن جميع أعمال العنف. واعترف المؤتمر أن هذا الاتفاق هو مجرد اتفاق عسكري، وأن خط التقسيم (٥١٧ شمالاً) خط هدنة وليس حدوداً سياسية بين دولتين (فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية) وأن الوضع النهائي ستحققه انتخابات ستجرى في عام ١٩٥٦^(١٠٤). ولكن الولايات المتحدة عارضت عقد هذه الانتخابات خوفاً من فوز هوشي منه والفيت منه في هذه الانتخابات^(١٠٥).

واعتباراً من يوم ٢١ يوليو ١٩٥٦ أصبحت فيتنام قسمين: الأول يقع شمال خط عرض ٥١٧ شمالاً وهو فيتنام الشمالية، وتشمل المرتفعات الشمالية المتاخمة لحدود الصين ولاوس، والتي تعرف باسم فيت باك، وتاي باك وسهل تونكين الذى يتكون من دلتا النهر الأحمر. وقد تكونت في هذا القسم الشمالى من فيتنام حكومة اشتراكية ديمقراطية.

أما القسم الثانى فيقع إلى جنوب خط عرض ٥١٧ شمالاً وهو فيتنام الجنوبية، ويضم الجزء الجنوبي من مرتفعات أنام الذى يعرف باسم تاي جوين، أو هضاب الوسط، والسهل الجنوبي الذى يعرف باسم نامبو نسبة إلى موقعه أو سهل كوشن الصين حيث دلتا نهر الميكونج العظيمة الاتساع. وقد أصبحت محكمة قيادات موالية للغرب^(١٠٦).

الحرب الأهلية والحرب الباردة (١٩٥٤ - ١٩٧٥)

بعد انسحاب الفرنسيين في أكتوبر ١٩٥٤ من هانوي، عاد هوشي منه بعد ثمان سنوات من الاختباء في الأحرار، وسيطر رسمياً على فيتنام الشمالية. أما في فيتنام الجنوبية فإن باو داي عين نغودن دم كرئيس للوزراء، وعلقت الولايات المتحدة آمالها على دم لتحقيق الحكم الديمقراطي المضاد للشيوعية في جنوب فيتنام.

وكان دم كاثوليكياً، وشجع الفيتناميين الكاثوليك الذين كانوا يعيشون في فيتنام الشمالية على التوجه إلى فيتنام الجنوبية، وحوالي مليون منهم لجأوا إلى الجنوب، وكذلك فإن نحو ٩٠,٠٠٠ شيوعي جنوبى لجأوا إلى فيتنام الشمالية.

ومع أواخر عام ١٩٥٤ وبداية عام ١٩٥٥، بدأت عمليات شحن الأسلحة الأمريكية إلى سايجون (عاصمة فيتنام الجنوبية) كما قامت الولايات المتحدة بإرسال خبراء أمريكيين عسكريين لتدريب قوات فيتنام الجنوبية. وفي المقابل قام هوشي منه بزيارة موسكو في يوليو ١٩٥٥، وتلقى مساعدات حربية سوفيتية فعالة.

ومع أكتوبر ١٩٥٥ تم إقصاء باوداي عن السلطة في سايجون، وذلك بدعم وتوجيه من الولايات المتحدة لرئيس الوزراء دم وأصبح دم أول رئيس لفيتنام الجنوبية، واعترفت الولايات المتحدة بهذا التغيير، وتدفقت المعونات الأمريكية على فيتنام الجنوبية^(١٠٧).

ومع بداية المناوشات بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية بدأ التدخل الأمريكي بالمساعدات التي أخذت تقدمها لجنوب فيتنام، وفي ٢٦ أبريل ١٩٥٦ حينما تم حلاء القوات الفرنسية عن فيتنام حلت محلها هيئة أمريكية لتقديم العون لفيتنام الجنوبية. وفي الفترة من ديسمبر ١٩٥٥ إلى يوليو ١٩٥٦ كانت القوات

الأمريكية وسفن الأسطول الأمريكي ومشاة البحرية الأمريكية تنزل في مسوان ومدن فيتنام الجنوبية، وتتجول بحرية كاملة.

وتعرضت حكومة فيتنام الجنوبية لقلقل داخلي شديدة، نتيجة لزيادة المد الوطني، وتلقى الرئيس كيندي سنة ١٩٦٦ خطابا من الرئيس دم رئيس فيتنام الجنوبية يطالب فيه بمعاونة الولايات المتحدة ضد النشاط المضاد، ذلك النشاط الذي تويده وتساعد حكومة فيتنام الشمالية، ولكن الرئيس كيندي اكتفى بتقديم المساعدات العسكرية لفيتنام الجنوبية. ولكن عدد أفراد القوات الأمريكية ظل يتزايد، مع إزدياد التدخل الأمريكي، بينما كان عدد هذه القوات ١٣٠٠ سنة ١٩٦١ أصبح في عام ١٩٦٦ ٢٨٠,٠٠٠ ، ثم ارتفع الرقم إلى أكثر من نصف مليون في عام ١٩٦٧/١٩٦٨^(١٠٨).

وهكذا اندمجت الحرب الأهلية بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية مع الحرب الباردة بين القوى الغربية وتمثلها أساسا الولايات المتحدة، والقوى الاشتراكية وتمثلها أساسا الاتحاد السوفيتي والصين.

ولقد قامت الولايات المتحدة بإلقاء ملايين القنابل على الشعب الفيتنامي الشمالي في حرب ضروس عنيفة، وقاوم الفيتناميون الشماليون المسلحون بأسلحة الأسلحة السوفيتية والصينية أعواما طويلا سقط فيها مئات الألوف منهم في ميادين القتال.

ومع كثرة الخسائر الأمريكية ، وقف الشعب الأمريكي نفسه يطالب بإيقاف هذه الحرب المرفوضة دوليا.

وفي التاسع من مايو ١٩٦٩ قدم الثوار الفيتناميون الشماليون مشروعا من عشر نقاط لاقرار السلام ينص على : إنسحاب القوات الأمريكية بدون قيد أو شرط، وتولى حكومة ائتلافية مؤقتة مقاليد الحكم في فيتنام الجنوبية للإعداد لإجراء انتخابات جديدة، وأن مسألة وجود بعض وحدات القوات المسلحة

لفيتنام الديمقراطية في فيتنام الجنوبية مسألة يجب أن تحلها الأطراف الفيتنامية، مع ضرورة قيام إشراف دولي على انسحاب القوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها.

وفي الرابع عشر من مايو ١٩٦٩ اقترح الرئيس الأمريكي نيكسون برنامجاً من ثمان نقاط لإقرار السلام في فيتنام رداً على مشروع فيتنام الشمالية، وينص المشروع على الانسحاب التدريجي للقوات الأجنبية خلال عام واحد من فيتنام الجنوبية، وأن يتم وقف إطلاق النار تحت إشراف دولي يتبعه إجراء انتخابات حرة عادلة في فيتنام الجنوبية.

وفي الثامن من يوليو ١٩٦٩ أعلن الرئيس الأمريكي نيكسون قراراً بسحب ٢٥ ألف جندي من القوات الأمريكية الموجودة في فيتنام خلال شهر، ويعتبر قرار نيكسون هذا من قبيل المناورات المكشوفة، لأن هذه القوة لا تمثل شيئاً بالنسبة لمجموع القوات الأمريكية والتي كانت تتعدى النصف مليون جندي (١٠٩).

الانسحاب الأمريكي من فيتنام

مع ضراوة الحرب في فيتنام، فإنه حدث تحول كبير في المسرح السياسي في الولايات المتحدة، ذلك أن الدكتور كيسنجر أعلن أنه يتبنى سياسة إنهاء الوجود الأمريكي في فيتنام قبيل الانتخابات في الولايات المتحدة الأمريكية. والنقسي كيسنجر رئيس فيتنام الجنوبية "ثيو" لمناقشة عقد اتفاق سلام بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية وذلك في أكتوبر ١٩٧٢، ولكن المناقشات سارت من سيئ إلى أسوأ، لأن ثيو رفض بقاء قوات من فيتنام الشمالية في فيتنام الجنوبية. ومن ثم رفع الأمر للرئيس نيكسون الذي هدد ثيو بقطع كل المعاونات الأمريكية عن فيتنام الجنوبية ولكن ثيو لم يذعن، وبالتالي عاد كيسنجر إلى واشنطن.

ولقد قامت الولايات المتحدة بقصف جوى مركز على فيتنام الشمالية فيما سُمى بالعملية "ليبيكر". وهذه العملية هي عبارة عن ٤٠,٠٠٠ غارة جوية أُلقيت فيها ١٢٥,٠٠٠ طن من القنابل، مما أثر على الدفاعات الشرقية لفيتنام الشمالية. لقد عسر الشماليون نحو ١٠٠ ألف قتيل، ونصف الدبابات والمدفعية. وفي ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ هاجم الرئيس ثيو رئيس فيتنام الجنوبية علنا اقتراح كينجر بالسلام.

وفي البيت الأبيض، وقبل أسبوع من الانتخابات الرئاسية الأمريكية أعلن كينجر في مؤتمر صحفي "إننا نعتقد أن السلام وشيك... إننا نعتقد أن اتفاقا يلوح في الأفق".

وفي نوفمبر ١٩٧٢ فاز ريتشارد نيكسون في انتخابات الرئاسة الأمريكية بأكثر أغلبية في تاريخ الولايات المتحدة، ومع ٣٠ نوفمبر ١٩٧٢ كانت القوات الأمريكية قد سحبت كل قواتها من فيتنام الجنوبية رغم بقاء ١٦,٠٠٠ عنصر عسكري أمريكي لمعاونة قوات فيتنام الجنوبية.

ورغم ذلك ظلت العلاقات متوترة، ووقعت اشتباكات خطيرة، وقامت القوات الجوية الأمريكية بعمليات خطيرة ضد فيتنام الشمالية. ومع يناير ١٩٧٣، أعلن الرئيس نيكسون أن اتفاقا للسلام في طريقه للتحقيق.

وفي ٢٧ يناير ١٩٧٣ تم التوقيع على اتفاق السلام بين الولايات المتحدة وفيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية والفيت كونج (الثوار الجنوبيين) تحت شروط منها: إيقاف كل الأعمال الحربية، وانسحاب القوات الأمريكية الباقية في ظرف ستين يوما، مع بقاء ١٥٠,٠٠٠ جندي شمالي في جنوب فيتنام.

لقد انتهت بذلك أطول حرب في تاريخ الولايات المتحدة، وشكلت أول هزيمة لها، فبعد هذه الفترة الطويلة من الصراع (نحو ١٥ عاما) ومشاركة ٢ مليون جندي، وقتل ٤٧,٢٤٤ جندي، من بينهم ٨٠٠٠ من الطيارين، هذ

بالإضافة إلى ١٥٣,٣٢٩ من المصابين بإصابات خطيرة، وإنفاق أموال طائلة لتحقيق السلام.

وهكذا فتح الطريق أمام قوات فيتنام الشمالية لاجتياح فيتنام الجنوبية، دون خوف من قصف الطائرات الأمريكية.

ومع أغسطس ١٩٧٣ تم تعيين هنري كيسنجر كوزير للخارجية الأمريكية خلفاً لوليام روجرز.

ومع ١٣ ديسمبر ١٩٧٤ بدأت فيتنام الشمالية في مهاجمة مقاطعة فيسوك لونغ في فيتنام الجنوبية، واعترض الرئيس الأمريكى فورد على ذلك دبلوماسياً، ولكن بدون تدخل عسكري أمريكى.

وفي ١٨ ديسمبر ١٩٧٤، اجتمع القادة في فيتنام الشمالية في هانوى لوضع خطة النصر النهائية. وفي ٥ يناير ١٩٧٥ قام جيش فيتنام الشمالية بالهجوم على فيتنام الجنوبية، وصرح الرئيس فورد بأن الولايات المتحدة لن تتدخل في الحرب. وفي ٣٠ أبريل ١٩٧٥ اقتحمت قوات فيتنام الشمالية سايجون، وواجهت مقاومة عنيفة... ومع الساعة ١١ صباحاً رفرت أعلام الثوار على القصر الرئاسى... وهكذا انتهت الحرب الأهلية، وأخذ أدوار الحرب الباردة (١١٠)

الفصل الخامس

تطور تاريخ ماليزيا الحديث والمعاصر

ماليزيا

- الطبيعة الجغرافية والسكانية

تقع ماليزيا في قلب جنوب شرق آسيا وهي هلالية الشكل قريبة من خط الاستواء بين خطي عرض ١ و ٧ درجة شمالاً وخطي طول ١٠٠ و ١١٩ درجة شرقاً (١١١) وتمثل منطقتين واضحتين ، وهما :
 المنطقة الأولى : شبه جزيرة ماليزيا وتمتد من برزخ أكرا إلى مضيق جوهور .
 المنطقة الثانية : ولايتي صباح وسرواك التي تقع على الساحل الشمالي الغربي من جزيرة بورنيو (١١٢).

ويفصل بين هذين المنطقتين بحر الصين الجنوبي بحوالي ٧٥٠ كم ، وتتصل شبه جزيرة ماليزيا من جهة الشمال بـ تايلاند عبر حدود أرضية ، ومن الجنوب بجمهورية سنغافورة عن طريق جسر ، ومن الغرب جزيرة سومطرة الإندونيسية عبر مضيق ملقا ، ومن الشمال الشرقي لولاية صباح تقع الفلبين (١١٣).

وتبلغ مساحة ماليزيا ٣٣٠٤٣٤ كم^٢ ومنها ماليزيا الغربية (شبه جزيرة ماليزيا) ١٣١٥٩٨ كم^٢ أما ماليزيا الشرقية (ولايتي صباح وسرواك) ١٩٨٨٣٦ كم^٢ ، ويمتد ساحل ماليزيا إلى حوالي ٤٨٣٠ كم^٢ من المحيط الهندي إلى بحر الصين الجنوبي ، ويعتبر الساحل الغربي أكبر النوافذ وصولاً لشبه جزيرة ماليزيا لاحتوائه على مضيق ملقا بينما يصعب الدخول إلى الساحل الشرقي في فترة الإعصار الشمالي الشرقي ويبلغ طول ساحل ولايتي صباح وسرواك ٢١٠٠ كم^٢ (١١٤).

وعاصمة ماليزيا هي كوالالمبور منذ عام ١٩٤٧ ، غير أنه تم إنشاء عاصمة إدارية في عام ١٩٩٦ بوتراجايا Putrajaya جنوب كوالالمبور (١١٥).

أما اتحاد ماليزيا فهو اتحاد فيدرالى وعضو فى الكومنولث البريطانى تم تكوينه فى عام ١٩٦٣ (١١٦) وهى ملكية دستورية (١١٧) تنضم ثلاث عشر ولاية قسمت إلى قسمين :-

القسم الغربى : واشتمل على إحدى عشر ولاية وهى : قدح وبينانج وکلنتان وبهانج وملقا وسيلانجور ونجری وسيلان وبرلين وتربخانو وفراق .

القسم الشرقى : فقد اشتمل على ولايتى صباح وسرواك للتان تقعان فى بورنيو الشمالية (١١٨) .

تكون شعب ماليزيا من أجناس مختلفة وهم الملايو والصينيون والهنود والمورنة وأجناس أخرى (١١٩) وتوزعوا على النحو التالى : ماليزيين أصليين نحو ١٣,٥ مليون نسمة ، صينيون ٦,٥ مليون نسمة ، هنود ٢ مليون نسمة ، وآخرين مثل الإندونيسيين والفلبينيين (١٢٠) .

وقد كون هذا الخليط السكاني اتحاداً شعبياً وحد بين الملايويين والأجناس الأخرى الأصلية التى هى الطوائف الآتية :-

الدياق البحرية (إيبان) والدياق الأرضى (بيدايوه) ، الكادازان وكينياه ميلانوز والموروتس المعروف باسم بومي بوترا ولكنهم عاشوا فى وحدة وتكاتف وإخاء (١٢١) .

أما عن اللغة المستخدمة فى التفاهم فهى لغة بهاسا ملايو Bahasa melayu التى أصبحت لغة رسمية فى البلاد عام ١٩٦٧ ، وبجانبها وجد كثير من اللغات واللهجات التى استعملها السكان ، فالصينيون استعملوا عدة لهجات مثل الكانوية والهوكنية والنبوتشية وغيرها ، أما الهنود فقد استخدموا اللغة البنجابية والهندوستانية والأوردية ، وفى دوائر الحكومة التجارية والصناعية استعملت اللغة الإنجليزية على نطاق واسع وهى مادة إجبارية فى مدارس ماليزيا (١٢٢) .

أما للديانة فقد نص الدستور الماليزى على أن الدين الرسمى للبلاد هو الإسلام ولكن حرية الدين مكفولة للجميع (١٢٣) حيث كان يدين حوالى ٥٣% من السكان

معظمهم من الملايوين وبعض الهنود والصينيون بالديانة الإسلامية ، و ١٩% بالبوذية ومعظمهم من الصينيين ، أما معظم الهنود فيدينون بالهندوسية مع وجود أقلية من السيخ . كما وجدت أقلية من المسيحيين من كل الأجناس ، هذا فضلاً عن وجود حوالي ٢% من السكان ليس لهم دين ومعظمهم في صباح وسرواك ، وقد سُمح لجميع المؤسسات بامتلاك وإدارة منظماتها الخاصة بها ، ويرأس حاكم لكل ولاية الهيئة الإسلامية فيها ما عدا ولايتي بيلنج وملقا ، حيث كان الملك هو الذى يرأس الهيئة الإسلامية فيهما . وقد لعب الدين دوراً رئيسياً فى أسلوب وحياة كل مجموعة عرقية (١٢٤).

-الاستعمار الأوروبى فى ماليزيا

منذ بدء التاريخ أخذت الدول يغير بعضها على بعض ويستعبد القوى منها الضعيف ولكن طبائع الغارات والاستعباد اختلفت من عصر إلى آخر ، ودون الخوض فى دوافع الاستعمار فى العصر الحديث فقد تحدثت ما بين اقتصادية وسياسية وحربية واستراتيجية وشخصية وفكرية الخ (١٢٥)

- الاستعمار البرتغالى

بعد الاستعمار البرتغالى أول استعمار أوروبى زحف إلى هذه المنطقة ، فقد كانت معظم الامكانات الاقتصادية بجنوب شرق آسيا تتكون من منتجات طبيعية وهذا الذى ساعد ملقا على أن تحظى بنصيب كبير من التجارة البحرية عبر آسيا ، وكذلك الذهب والتصدير اللذان اجتذبا الهنود إلى الشرق فى العصور القديمة كانا لا يزالان من أهم المنتجات، ومهما يكن فقد كان أسلاف الأوربيين يسعون لاستغلال أسواق الإنتاج بجنوب شرق آسيا. وقد زار تجار الفرس منذ القرن الثالث أو الرابع موائى جنوب شرق آسيا وعقد صفقات تجارية مع التجار والهنود وحملوها إلى أوروبا (١٢٦).

وفى بداية القرن الخامس عشر كانت ملقا مؤشراً قوياً للغزو ، وفى عام ١٤٠٠ أسس إساراموارا - وهو أمير هندوسى جاء من سومطرة ونال حماية إمبراطورية الصين - مدينة ملقا وكان لإنشاء ميناء ملقا أهمية كبرى فقد استوى التجار العرب

الذين نشروا الإسلام فبدأ يعتنقه السكان وأهمهم أحد الأمراء المحليين الذي أشهر إسلامه في ١٤١٩ وأطلق على نفسه سلطان (١٢٧) وكان ثراء ميناء ملقا مفتاح تجارة التوابل وهذا هو سبب الصراع الاستعماري القوي بين الشرق والغرب وكانت البداية مع الكشوف الجغرافية في القرن الخامس عشر ، وكان البرتغاليون يستهدفون من وراء التوسع ومد نفوذهم إلى جميع أركان الأرض ليس فقط لمد حكم الصليب على المناطق الإسلامية بل أيضاً للحصول على التوابل الآسيوية وانتزاع تجارتها من أيدي المسلمين عن طريق تحويل الطريق التجاري حول أفريقيا عبر رأس الرجاء الصالح ، وكانت ملقا أحد أهم أهدافهم إذ إنها مركز جميع التوابل من جزر "مولوكاس" المعروفة بجزر التوابل (١٢٨) ومع ذلك فقد كان العرب المسلمين يسيطرون على البحار الهندية كتجار يتجرون بمنتهى الحرية بجميع الموانئ الهندية وينطلقون بسفنهم إلى المحيط الهادي بل ويبلغون ساحل الصين (١٢٩)

وفي ظل هذه الظروف ذهب البرتغاليون إلى ملقا يطلبون السماح لهم بإقامة مركز تجاري ، غير أن قنومهم قد أثار الأهالي ووقف التجار المسلمين الهنود وراء رئيس الوزراء في محاولته لأمر قطع الأسطول البرتغالي إلا أن المحاولة لم تنجح لأن إحدى النساء الملقيات حذرت قائد الأسطول فهرب بأسطوله ، ولكن بعد أن أسر الملقيون عشرين من رجاله (١٣٠) بزعملة "تون حسن" عام ١٥٠١ وأسّر البرتغاليين الذين تمكنوا من الهرب واتجهوا إلى جزيرة سومطرة بجزر الهند الشرقية . وعند مجيئهم مرة أخرى سلخوا مسلحاً عدائياً تجاه المسلمين (١٣١)

وبعد أن نجح ألفونسو البوكيرك ، القائد البرتغالي في إحكام سيطرته على ساحل الهند الغربي بعد موقعة ديو البحرية التي هزم فيها أسطول سلاطين الممالك في عام ١٥٠٩ بسبب خيانة بعض حكام الإمارات الهندية ، انتفت إلى منطقة الملايو والمحيط الهادي ولم يكن في استطاعته السيطرة التامة على تجارة هذه المناطق ما لم تتوطد هيمنته على مضيق ملقا خاصة وأن مدينة ملقا كان لها ميناءاً عظيماً إضافة إلى ذلك موقعها الجغرافي الذي جعلها مفتاحاً للمحيط الهادي (١٣٢)

وقد فاقه بحلول عام ١٥١١ وصل إلى ملقا أسطول برتغالي ضخم بقيادة الفونسو البوكيرك ركز هجومه على الجسر الذي يربط بين جانبي المدينة ، كما شقت سفنه الحربية طريقها في النهر لإتمام الحصار وقام الملقبون بشجاعة منقطعة النظير بقيادة السلطان محمود وولده إذ نزلوا في خضم معركة عنيفة راكبين الأفيال (١٣٣) ، لكن عدد من غير الوطنيين كانوا قد تحالفوا مع القوات البرتغالية ومنهم الصينيين والهنود والموازن ، مما أدى إلى إضعاف المقاومة ، وفقدت ملقا استقلالها ولم تسترد مجدها القديم خاصة بعد توالي سلسلة من غارات المستعمرين (١٣٤).

ولم يلبس الفونسو البوكيرك فوراً بإنشاء قلعة حصينة أسماها (الفوموزا) أي المشهورة ، قام ببناء من العبيد والأسرى الملبزين بتشيدها واستخدم في بنائها حجارة المساجد الضخمة التي دمرتها المدافع البرتغالية بهدف تقوية جدران القلعة ، وعندما تم بنائها ظهرت المدافع على جدرانها ووقف الجنود حراساً عليها. وبمجرد أن انتهى من البناء بدأ الفونسو بثير الخوف والرهبة في نفوس الأهالي خاصة وأن هذا البناء كان بمثابة مدينة برتغالية كاملة أحاطت جدران المدينة بالقلعة وقصرين رائعين وقاعة لمجلس الدولة ، واستطاعت هذه القلعة الصمود في وجه الهجمات المضادة طيلة ما يقرب من مائة وخمسين عاماً (١٣٥).

واتجهت أطماع البرتغاليين إلى الانفراد بتجارة التوابل والتضييق على بقية دول أوروبا وفرضوا رسوماً باهظة على دخول ميناء ملقا ، وقد أثار ذلك مشاعر الممالك المليزية ودول أوروبا ضد البرتغال وتوالت الهجمات على ملقا وأثبتت الفوموزا أنها ملق النجاة للبرتغاليين إلا أنها دُمرت على أيدي الهولنديين (١٣٦).

- الاستعمار الهولندي

لعب موقع ملقا كمركز تجاري على قدر كبير من الأهمية دوراً في خلق تأثير عميق في عقول الأوروبيين وخاصة بعد احتكار البرتغاليون لتجارة التوابل والسيطرة على هذا الميناء (١٣٧).

وكان وصول الهولنديين إلى مياه جنوب شرق آسيا نتيجة أحداث متعلقة بأوروبا، ففي عام ١٥٨٠ ضمت أسبانيا البرتغال إلى حوزتها ، وبحلول عام ١٥٩٤ أغلقت لشبونة في وجه التجار الإنجليز والهولنديين ، فكان لابد لأوروبا الشمالية أن تتجه بنفسها صوب الشرق للحصول على التوابل والبضائع الأخرى ، وقد اتحدت الشركات الهولندية لتشكيل شركة الهند الشرقية الهولندية ، وعلى الرغم من أن أهدافها الرئيسية تركزت على جزر التوابل إلا أنها اعتبرت أن الاستيلاء على ملقا ذو أهمية كبيرة ليس فقط لأهمية مضائقها استراتيجية بل أيضاً لإزالة النفوذ البرتغالي منها (١٣٨).

ويمكن تحديد بداية السيطرة الهولندية على الملايو بعام ١٦٢٣ عندما تم تعيين "أنطوني فان ديمين" حاكماً على أملاك هولندا في الهند الشرقية (١٣٩). وبحلول يوليو عام ١٦٤٠ وعقب هجوم مركز على ملقا وضرب قلعة الفوموزا نزل الهولنديون على الساحل وحاصروا المدينة ومع استمرار الحصار أصبح أفراد الحامية البرتغالية وكافة العناصر المحاصرة عاجزين عن الحصول عما يسد رمقهم فاجأوا إلى أكل كل شيء يقع تحت أيديهم وقد أدت هذه المجاعة إلى انتشار الأوبئة من ملاريا وتيفود وكوليرا (١٤٠).

وأخيراً بعد حصار دام سبعة شهور نقض الهولنديون على الفوموزا واستطاعوا طرد البرتغاليين من البلاد (١٤١) بمعاونة كبيرة من أهالي الملايو المسلمين ومن ثم جاء سقوط الإمبراطورية البرتغالية التجارية سقوطاً سريعاً (١٤٢).

والواقع أن الميناء الغني المتألق هو الميناء الذي توقعوه ، لكن القلعة التي خارب الهولنديون من أجل الاستيلاء عليها لم تصبح القلعة التي تمنوها ، فالمدينة التي صارعوا من أجلها لم تعد أكثر من خرائب وجدران مهتمة والحصن الكبير دمر وتساقلت أبراجه وجدرانه ودمر كل شيء تحت وقع المدافع الثقيلة (١٤٣).

- الاستعمار البريطاني

بدأ الاستعمار البريطاني لماليزيا عن طريق شركة الهند الشرقية البريطانية التي نشطت منذ عام ١٦٠١ عن طريق الإتجار مع تلك البلاد في التوابل ، وقد اتسعت اهتمامات الشركة بجزر أرخبيل الملايو حيث حصلت على ولاية بياج من سلطان قدح في ١٧٨٦ (١٤٤) كما استولت على سنغافورة ١٨١٩ ، وملقا عام ١٨٢٤ ، وبعد مضي عامين أي في عام ١٨٢٦ أصبحت كل من بياج وملقا وسنغافورة تعرف باسم " مستعمرات المضيق " . وفي عام ١٨٦٧ انتقلت إدارة المستعمرات من مكتبها بمستعمرات المضيق . وكانت مغادرة " بنكور " عام ١٨٧٤ بداية التغيير الجذري السياسي والإداري غنى ولايات ماليزيا ، حيث تحولت لبريطانيا الاصطناع بالمهام والواجبات التي كانت يوماً ما مقصورة على الأمراء الأرستقراطيين في ماليزيا ، وظل هذا التغيير مستمراً لسنوات طويلة (١٤٥).

وقد استحدث البريطانيون في إدارتهم للبلاد نظاماً جديداً وهو تعيين ما يُعرف بمندوب مقيم بريطاني في ولايات فراق ، ملاكجور ، تجرى سيلان ، بياج ، حتى يقدم للمشورة في جميع الأمور عدا الأمور التي كانت تمس دين ماليزيا وعاداتها . وبحلوله عام ١٨٩٥ تم تكوين اتحاد فيدرالي لهذه الولايات (١٤٦).

ولقد خضعت ماليزيا للإدارة البريطانية التي سمحت بوجود الاستثمار الضخم ، ونتيجة لذلك قامت طبقة التجار الأثرياء في مستعمرات المضيق ، وكانت هذه الاستثمارات تتم بطريقة غير مباشرة في شكل قروض تدفع مقدماً إلى طبقة حكومية ماليزية محسنة للنشاط الاقتصادي في ماليزيا ثم تصل إلى بريطانيا ، ويستفاد من بعضها المعاونين لها من الداخل (١٤٧).

وبحلول عام ١٩٠٩ تنازلت تايلاند لبريطانيا عن سلطاتها في " قدح وبيزلين وكلنتان وترنجاياف " وتم تعيين مستشاراً بريطانياً للولايات الأربعة ، ثم أُلحقت " جوهور " بهذه الولايات عام ١٩١٤ ، لتشكل ما يسمى باسم " الولايات الملاوية غير المتحدة " (١٤٧).

وفى ظل الإدارة البريطانية لماليزيا سمحت السلطات البريطانية بهجرة كبيرة من مواطني شبه القارة البريطانية منذ عام ١٩١٠ للعمل بصناعة المطاط في ماليزيا (١٤٨).

أما بالنسبة للولايات الشرقية فقد تدخلت بريطانيا في شئونها منذ يونيو ١٨٤٠ بحجة تأمين سلامة بحار تلك المنطقة ، حيث قام مغامر بريطاني يدعى " جيمس بروك " بزيارة مدينة كوتشين وكانت في ذلك الوقت جزءاً من بروناي ، وخلال إقامته هناك ساعد على قمع التمرد القائم ضد نائب السلطان ، فعينه السلطان في عام ١٨٤١ في منصب حاكم " راجا " ثم تنازل سلطان بروناي في عام ١٨٧٥ عن ملكية شمال وشرق بورنيو لاثنتين من التجار وهم البارون " فريبك " والفريد بنت " (١٤٩).

وحينما تأسست الشركة البريطانية لشمال بورنيو في ١٨٨٢ استولت على ما تبقى من ممتلكات ، وفي عام ١٨٨٨ أصبحت كل من سراك وبروناي وصباح تحت الحماية البريطانية (١٥٠)

- الحركة الوطنية في ماليزيا حتى الاستقلال

الواقع أنه لم يكن يؤمن للماليزيين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية بقيام أحزاب تهدف إلى الاستقلال ، كما أن العناصر غير الماليزية من السكان - كالهنود والصينيين - كانت قلوبهم وأهدافهم مرتبطة بأوطانهم التي وفدوا منها وممارسة النشاط الاقتصادي ، لذا لم تظهر في هذه الفترة حركة وطنية شاملة (١٥١) . وفي هذه الأونة تأثر الاقتصاد الماليزي بأزمة ١٩٢٩ ، وبخاصة من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٢ ، مع هبوط أسعار المواد الأصلية ، فانقلبت الحياة رأساً على عقب (١٥٢).

وخلال الحروب العالمية الثانية حاول اليابانيون الذين احتلوا ماليزيا عامي ١٩٤١ ، ١٩٤٢ مصالحة الماليزيين والهنود ، لكنهم اتخذوا الحذر من الصينيين الذين انسحبوا إلى الأدغال وشكلوا طليعة للمقاومة يقودها " الحزب الشيوعي السري " لكن البريطانيون ما لبثوا أن عادوا (١٥٣) وزادوا من تمسكهم بماليزيا أكبر مورد للدولار

في الإمبراطورية البريطانية بسبب مبيعاتها للولايات المتحدة الأمريكية من القصدير والمطاط (١٥٤).

ونتيجة للمكائد التي قامت بها بريطانيا ، زاد ذلك من لهيب وثائرة الشعب الماليزي ونبهتهم إلى حقوقهم المسلوبة ، لذا كونوا جبهة سياسية شعبية واحدة للمناداة بحقوقهم عام ١٩٤٦ تحت زعامة " عون بن جعفر " سُمي هذا الحزب " المنظمة الملاوية الوطنية المتحدة " واختصروها بالحروف الأولى من كل كلمة هكذا " أمنو UMNO . وكان هذا بداية للصراع الحقيقي ضد الاستعمار فكانت إنجلترا لجنة تمثل الحكومة الاستعمارية والسلطين وأمنو فأوصت بإقامة اتحاد فيدرالي لماليزيا ، بحيث يضم السلطنات التسع وملقا وبنانج ، ويسترد فيه السلطين امتيازاتهم وسلطانهم ، وبدلاً من تعيين حاكم يحكم باسم " جورج السادس " ملك إنجلترا يعين مندوب سام يحكم هذا الاتحاد باسم السلطين ، كما اعترف بالتنظيم الجديد بمكانة الماليزيين بصفة خاصة في هذا الاتحاد ووزعت الاختصاصات بين الحكومة الاتحادية وحكومات السلطنات باختصاصات أخرى كالأمن العام وبعض التشريعات وإدارة بعض المرافق الهامة . وقد بدأ العمل بهذه التوصيات عام ١٩٤٨ (١٥٥).

وقبل أن يتم تنظيم الاتحاد نشبت في البلاد ثورة شيوعية ، وبيدور أن الثوار كانوا يهدفون منها إخراج مركز الحكومة وتعطيل إنتاج القصدير والمطاط ، ولكن بحلول سبتمبر ١٩٤٨ اتخذ الحاكم البريطاني إجراءات حازمة فاعتبر الحزب الشيوعي خارجاً على القانون هو ومنظماته للدخلية، وزاد من قوات الدفاع في ماليزيا (١٥٦).

وعقب ذلك قام اتحاد ماليزيا تحت الحماية البريطانية وعاصمته " كوالالمبور " حيث يقسم المندوب السامي للاتحاد مكوناً من سلطناتها التسع ومن بنانج وملقا ، وسافرت سنغافورة وحدة سياسية منفصلة كمستعمرة بريطانية ، كما كانت هناك سراك وبورنيو الشمالية الإنجليزية وبروناي على الساحل الغربي من جزيرة بورنيو كمحميات بريطانية (١٥٧).

وقد استمر حزب أمفو في قوته ، ولكن في عام ١٩٥٢ تخلى الحزب عن زعيمه ، لرجيته في السماح لغير الماليزيين بالدخول في عضوية الحزب فخشي أن يفقد الحزب صيفته ، وفقد الحزب ثقته في "عون" وسلم قيادته إلى "تتكو عيد الرحمن" وكان محامياً تقلد بعض المناصب الإدارية ، ومن عائلة سلطانية ، وأكسبه تواضعه وسماحته ومثاله خلقه شعبية واسعة . ونتيجة لتعصب أمفو للماليزيين قامت أحزاب أخرى تدافع عن مصالحها ، فقام حزب صيني لرعاية مصالح الصينيين يسمى "الجماعة الصينية الملايوية" كما قام حزب هندي يسمى "المؤتمر الهندي الملايوي" كما قام "عون" بمحاولات لاستعادة مجده السياسي فأسس "حزب الاستقلال" ثم "الحزب الوطني" ، ولكنه فشل تماماً وفقد كثيراً من شعبيته . ولما شعر الشعب الماليزي بالخطورة التي تحقق به ، اتحدت الأحزاب الثلاثة الماليزية والصينية والهندية ، وكونوا اتحاداً سياسياً قوياً يسمى "اليانس" واتفقوا على أن يكون "تتكو" رئيسه ، وكان لوجوده على رأس الاتحاد أثر عظيم في حسن التفاهم وخل المشاكل لما كان يحظى به من ثقة الجميع (١٥٨).

لما الأجدات الخاصة التي ألهمت حماسة الماليزيين نحو الاستقلال فمن أهمها ما حدث بالبلاد المجاورة التي أحرزت استقلالها مثل إندونيسيا والهند وباكستان والفلبين وبورما ، ف شعر البريطانيون بهذا الخطر خاصة مع لوم الرأي العام العالمي ، فكان عليهم الاستجابة لرغبة الوطنيين واليضمينوا لأنفسهم في الوقت نفسه مصالحهم ، ويرتبون ضمانات لها في جو من السلم والتفاهم ، لذلك سمحوا بقيام أحزاب تمهيداً للاستقلال منذ عام ١٩٥١ ، حيث قامت مجالس تشريعية أشركت المواطنين في إدارة دفة الأمور وعهد إليهم بأمور هامة وإدارات كبرى اضطلعوا بها وتحملوا مسئوليتها (١٥٩).

وفي عام ١٩٥٣ أنشئت لجنة أكثر أعضائها من أهل البلاد لتضع دستوراً لنظام من شأنه إلغاء أكثر المسئولية للحكم الداخلي على أعضاء ينتخبهم الشعب لمجلس تشريعي ، وبدأ العمل بالدستور عام ١٩٥٥ ، وكان من أهم مقتضياته قيام مجلس

تشريعي فيدرالي ينتخب الشعب من أعضائه ٥٢ عضواً (١٦٠) وفي عام ١٩٥٥ صدر الدستور الجديد للبلاد الذي نقل معظم مسئوليات الحكم إلى ممثلي الشعب المنتخبين الذين طالبوا بالاستقلال التام ، ولأول مرة يحصل المجلس التشريعي الفيدرالي على أغلبية أصوات الناخبين (١٦١) وتمت الانتخابات في شهر يوليو من نفس السنة ، وحصل حزب الاتحاد على ٥١ مقعداً ، وأصبح "تتكو" أول رئيس للوزراء في حكومة وطنية تمتعت ببعض الاستقلال الدلطي (١٦٢).

وفي مؤتمر عقد في لندن حضره وفد من الحكومة الماليزية الوطنية برئاسة "تتكو" في يناير عام ١٩٥٦ تم الاتفاق على إعلان الاستقلال قبل نهاية أغسطس عام ١٩٥٧ ، وشكلت لجنة مستقلة عاجلة لوضع دستور لاتحاد الملايو المستقل ، وأنتت اللجنة بحثاً ومناقشاتاً وكتبت تقريرها وأذاعته في فبراير ١٩٥٧ ، وتم الاتفاق بين الجهات المعنية على الدستور الذي يحقق وجهات النظر المختلفة قدر الإمكان . وبمقتضى هذا الدستور أصبح الاتحاد الفيدرالي مملكة برلمانية دينها الرسمي الإسلام يحكمها رسمياً أحد سلاطينها التسعة الذي يكون أسبقهم في تولي السلطة في دولته على أن يحظى بموافقة خمسة منهم على الأقل في انتخاب سري يعقد بينهم ، ثم يحكم خمس سنوات يختار بعدها الذي يليه في القائمة ، فإذا اعتقر أو لم يحظ بموافقة خمسة على الأقل من بينهم وضع اسمه في أسفل القائمة وأخذ الرأي فيمن يليه . كما نص الدستور على عقد الانتخابات في ظرف سنتين على الأكثر من تاريخ الاستقلال لبرلمان من مجلسين ، الرعية : ويتكون من ١٠٤ عضو وكلهم منتخبون ، وللشيوخ : ويتكون من ممثلين لكل مجلس تشريعي بكل دولة في الاتحاد ، و ١٦ عضواً من ذوي الخبرة يعينهم الملك ، كما يعين رئيساً للوزراء زعيم الأغلبية في مجلس الرعية ، ولكل سلطنة أيضاً دستور ومجلس استشاري منتخب منتخب . ويختار السلطان رئيساً لحكومته يسمى "منترى بسار" زعيم الأغلبية بالمجلس التشريعي . أما ملقا وبنانج فيعين لكل منهما حاكم لمدة أربعة سنوات يكون له من الحقوق وعليه من التبعات ما للسلطان وما على السلطان في سلطنته . كما منح الدستور حق الجنسية لكل من يولد بماليزيا بعد الاستقلال أو من ولد بها قبل الاستقلال وصره فوق ١٨ سنة وأقاموا

بماليزيا خمس سنوات على الأقل من السنوات السبع السابقة على الاستقلال إذا كانوا على معرفة باللغة الماليزية وانضموا يمين الولاء للدولة ، ومن أقام بماليزيا ٨ سنوات على الأقل من الأثني عشر عاماً السابقة على الاستقلال من غير المولودين بماليزيا بنفس الشروط المذكورة . كما نص الدستور على أن للحكومة الحق في منح الجنسية لمن يطلبها إذا كان قد أقلم في ماليزيا لمدة عشر سنوات على الأقل من السنوات الأثنتي عشرة الماضية على تقدمه بالطلب بشرط معرفته بلغة البلاد وأن يقسم بيمين الولاء للدولة (١٦٣)

وبحلول ٣١ أغسطس في حفل باستاد مريديكا " الحرية " شهد جميع السلاطين والوفود المدعوة من الخارج والآلاف من الشعب وقف عم الملكة وألقى حديثاً سلم في نهايته صك الاستقلال إلى " تكو " فكير المؤذن في المذبح " الله أكبر الله أكبر " وأكمل الأذان إيذاناً ببداية حياة جديدة في حين أنزل العلم للبريطاني ورفع محله العلم الماليزي . ورغم ذلك رأت بريطانيا أن ماليزيا غير قادرة على صد هجوم كبير عليها من الخارج ، لذا عقدت اتفاقية دفاع بينهما وصانق عليه البرلمان الماليزي عند الاستقلال دون معارضة (١٦٤) وفي ١٦ سبتمبر ١٩٦٣ أعلن قيام دولة ماليزيا ، وكانت على شكل اتحاد مكون من ولايات " ملايو وصباح وسرواك وسنغافورة " لكن سنغافورة انفصلت عن الاتحاد في ٩ أغسطس عام ١٩٦٥ (١٦٥)

وقد قبل إعلان اتحاد ماليزيا بترحاب عظيم من العالم ، إلا في الفلبين التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية بالاتحاد ، وكذلك إندونيسيا التي اتخذت معارضتها شكل المواجهة ، لكن هذه المعارضة خفت حدتها في عام ١٩٦٦ ، لانشغال إندونيسيا بتشكيل حكومة جديدة لها . وفي نفس العام عقدت معاهدة مع ماليزيا انتهت بإعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما عام ١٩٦٧ (١٦٦) كما وافقت الفلبين على إعادة العلاقات مع ماليزيا خلال انعقاد المؤتمر الوزاري لرابطة جنوب شرق آسيا في ١٩٦٩ (١٦٧) وبحلول ١٩٧٠ قررت بريطانيا الامتناع عن التدخل المباشر في شئون الدفاع الخاص بماليزيا ، فأصبحت ماليزيا حرة في رسم سياستها الخارجية (١٦٨)

التي هي في الحقيقة هيكلية، حيث أن كل شيء في الطبيعة هو جزء من شيء أكبر، وكل شيء هو جزء من شيء أصغر. وهذا هو المبدأ الأساسي للعلم الحديث، وهو أن كل شيء هو جزء من شيء أكبر، وكل شيء هو جزء من شيء أصغر. وهذا هو المبدأ الأساسي للعلم الحديث، وهو أن كل شيء هو جزء من شيء أكبر، وكل شيء هو جزء من شيء أصغر.

الفصل الخامس

تطور التاريخ في عصرنا الحديث والمعاصر

بورما

تقع جمهورية بورما أو "اتحاد مينا نمار" في جنوب شرق آسيا تحدها من الشمال الغربي بنجلاديش والهند ، ومن الشمال الشرقي الصين ولاوس ، ومن الجنوب الشرقي تايلاند (١٦٩)

- أصل الشعب البورمي

كان قوم "مون" أول من استوطنوا أرض بورما الحالية ، فقد نزحوا إلى المنطقة منذ عام ٣٠٠ ق م واستقروا بالقرب من مصبي نهر "سلوين" نسيتانج ، وهاجروا كثيرهم من منطقة شرق آسيا جنوب غرب الصين ، كما نزحت أقوام أخرى إلى المنطقة نفسها وأهمهم "البايو" في القرن التاسع الميلادي . وعاشت هذه الأقوام كل قسماً بتميز عن الآخر ، وحافظ كل منها على ثقافته الخاصة . وبحلول عام ١٠٤٤ وجد حاكم بورمي اسمه "أنا وراها" المنطقة وأسس مملكة استمرت ما يقرب من ٢٥٠ سنة واتخذت من "باجان" التي تقع في وسط بورما عاصمة لها . وقد احتفظ البورميون بالسماوات الثقافية لقوم مون وبايو ، بما في ذلك مذهب "ثيرافاد" البوذي (١٧٠).

إلا أن الأمور لم تستقر ، حيث قام المغول بقيادة "كيبلاي باجان" في عام ١٢٨٧ بشن هجوم على المملكة ، مما أدى إلى ظهور مقاومة شديدة أسفرت عن نهوض مملكة بورمية في "توانجو" خلال القرن السادس عشر ، لكنها سقطت حينما اندلعت ثورة شنها المون عام ١٧٥٢ ، وتأسست مملكة بورمية أخرى على يد "ألو نجبايا" (١٧١)

- بورما والغرب الأوروبي

مع بداية القرن الخامس عشر الميلادي قام رحالة إيطالي يدعى "نيكولودي كوفتي" برحلة إلى آسيا ، وصل فيها حتى سومطرة ، وزار بورما حوالي عام ١٤٣٥ ، وعاد إلى أوروبا ، وقد اعتنق الدين الإسلامي ، وكانت تقاريره هي التي

دفعست للبرتغال إلى الذهاب إلى هذه المناطق عام ١٥١٩ ، بزعم طلب التوابل ، ولم يكن هذا الغزو البرتغالي يشكل خطراً في ذلك الوقت ، لأن الذين أقاموا مراكز تجارية برتغالية في بورما عام ١٦١٩ رحلوا منها في القرن نفسه ، وبدأ الصدام الفعلي بين أوروبا وبورما في القرن التاسع عشر ونصفه خاصة بينها وبين بريطانيا (١٧٢)

وقد بدأ الاتصال بين بريطانيا وبورما عن طريق إقامة شركة الهند الشرقية البريطانية ، وظلت بورما بمنأى عن تدخل بريطانيا في شئونها لمدة خمسين وثلاثين عام ، إلى أن استولى الحاكم البورمي "بودويا" على "أركان" فأصبحت حدود البلاد ملاصقة للهند ، وفي تلك الآونة أخذ أهالي أركان يفرون إلى الهند ، وأخذت بريطانيا تساعد المهاجرين على الإقامة والاستقرار ، وقد أغضبت سياسة بريطانيا تجاه أهالي أركان بورما ، وذلك لفقدائها الأيدي العاملة . ولذا فإنه خلال الفترة من ١٧٨٦ حتى ١٨٢٤ هدد البورميون عدة مرات باقتفاء أثر المهاجرين داخل الهند التابعة لبريطانيا ، وأغرم أن قوتهم العسكرية لا تقهر ، ولم يدركوا حقيقة جيرانهم البريطانيين في الهند ، وأسرة "المانشو" في الصين . وقد حاول البريطانيون في بادئ الأمر تسوية المسألة بصورة ودية سلمية لأنهم لم يكونوا قد اطمأنوا تماماً على مركزهم في الهند . وحتى تتم هذه المفاوضات السلمية أرسلت حكومة الهند عدة بعثات إلى بورما لتسوية الأمر لكن هذه البعثات فشلت في عقد أية معاهدات للصداقة مع بورما ، أو الحصول على أية امتيازات تجارية . ويرجع ذلك إلى قوة بورما في هذه الآونة ، حيث كان ملكها في أوج عظيمته ومجده ، فوجد هذا الملك البورمي ، أن اتصاله بالحاكم العام للهند يقلل من كرامته ، خاصة وأنه كان ينظر إلى هذا الحاكم نظرة دونية ، لكونه في نظر الملك البورمي أحد عملاء ملك آخر ، كما أنه لم يكن يجهل أعمال بريطانيا في الهند ، فرغب في أن يبعدها عن بلاده (١٧٣).

وفي عهد "باجيدو" ازدادت الخلافات بين السلطات البريطانية التي كانت تحكم الهند في تلك الأونة وبين البورميين على الحدود الهندية والمناطق التي استولت عليها حكومة بورما . وأخذ البورميون يكدون لبريطانيا ، حتى أنه بحلول عام ١٨٢٣ استولوا على جزيرة "شاهيو" الواقعة في دائرة النفوذ البريطاني في تلك الفترة ، مما أدى إلى تقديم بريطانيا احتجاجات دبلوماسية على ذلك الأمر الذي أقدمت عليه بورما ، إلا أن القوات البورمية التي أسكرتهم نشوة الانتصار رفضوا في ظل زعامة باجيدو الإذعان للأمر والاستماع إلى وجهة النظر البريطانية التي كانت تزعم في تلك الأونة رغبتها في تحقيق السلام بين الجانبين البريطانيين والبورمي (١٧٤).

وفي عام ١٨٢٤ استمرت بورما في التوسع صوب المناطق الهندية الحدودية التي تحتلها بريطانيا ، حيث عبرت جيوشها الحدود وبدأت الاشتباكات بين الطرفين ، وأعلنت بريطانيا الحرب رسمياً على بورما في ٥ مارس عام ١٨٢٤ ، وفي هذه الحرب ظهرت الروح البورمية الجالية ، حيث جارب البورميون بشجاعة ، وتحقق لهم في بعض الجولات النصر وخاصة في المرحلة الأولى ، إلا أنهم في هذه المرة لم يكونوا يحاربون قوات قبائلية أو غير مدربة ومسلحة تسليحاً عتيداً ، لكنهم كانوا يحاربون عدواً مختلفاً متفوقاً عليهم من الناحية العسكرية في المعدات والتدريب ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد ظل البورميون صامدين أمام هذه القوات المتفوقة عليهم ، بيد أن هجوم البريطانيين البحري على رانجون "رجح كفة البريطانيين ، ويرجع ذلك إلى عدم امتلاك بورما في هذه الأونة أسطول بحري تستطيع من خلاله الدفاع عن سواحلها (١٧٥).

وقد أدى هذا الأمر ونعني به تفوق القوات البريطانية على القوات البورمية إلى إلحاق الهزيمة بالأخيرة ، حيث أنه بحلول عام ١٨٢٦ ، وبالتحديد في بدايته نجحت القوات البريطانية في إلحاق الهزيمة بالجيش البورمي (١٧٦).

كما نجحت القوات البريطانية من خلال هذه الانتصارات التي كبدت الجيوش البورمية خسائر فادحة ، في ضم أركان وتيناساريم إلى الهند البريطانية ، بل والأكثر من ذلك وضح التفوق للجانب البريطاني خلال الشروط التي أملاها على الملك البورمي ، وذلك في معاهدة "باندابو" التي عقدت بين الطرفين في ٢٤ فبراير عام ١٨٢٦ ، والتي أجبرت فيها بريطانيا الملك البورمي على التخلي عن "أسام وماتيبور وإقليم أركان وتيناساريم ، كما وافق الملك البورمي أيضاً بمقتضى هذه المعاهدة على دفع تعويضات قدرها مليون جنيه استرليني ، كما أنه بمقتضى هذه المعاهدة أيضاً وضح التغلغل البريطاني في بورما نفسها ، حيث سمح الملك البورمي بحق البريطانيين في أن يكون لهم ممثلون معتمدون في بلاط بورما ، تصاحبهم حراسة عسكرية ، ولم تكن بورما قبل ذلك تسمح بوجود تمثيل بريطاني في بلاطهم الملكي (١٧٧).

على الرغم من الهزائم التي تعرضت لها بورما خلال الفترة الممتدة من ١٨٢٤ - ١٨٢٦ ، إلا أنها عادت مرة ثانية إلى معاملة البريطانيين وكل من يستعامل معهم في بورما معاملة سيئة ، وأعلنت ضرورة استمرار الحرب بينها وبين القوات البريطانية ، وقد جرت هذه السياسة بورما إلى حرب طاحنة أخرى في عام ١٨٥٢ (١٧٨) ولم تكن هذه الحرب وليدة أسباب حدثت في هذا العام ، فمع حلول عام ١٨٤٥ ساءت حالة البلاد في عهد الملك "باجان" الذي كان ضعيفاً ، مما أدى إلى أن تصبح الإمبراطورية البورمية على وشك الانهيار ، وفي ذلك الوقت عين "دالهورى" البريطاني حاكماً على الهند ، وكان من أنصار نظرية التوسع البريطاني ، وكانت العلاقات البريطانية البورمية قد قطعت ، وفرضت بورما الإتاوات على سفينة بريطانية في عام ١٨٥١ ، فأرسل حاكم الهند خطاباً إلى ملك بورما يطلب فيه من الملك معاملة البريطانيين الموجودين في بورما معاملة حسنة ، وأتى الخطاب بإرسال ست سفن حربية لانتظار الرد . وعلى الرغم من موافقة ملك بورما على دفع التعويض ومعالجة المسئولين ، فإن الحاكم البريطاني كان مصمماً على إلحاق هزيمة عسكرية أخرى بالقوات

البورمية ، فحاصر ميناء "رانجون" واستولى على بعض السفن البورمية ، وهكذا بدأت الحرب البورمية البريطانية مرة أخرى (١٧٩) ولاقت بورما في هذه الحرب هزيمة أخرى ، أسفرت عن عزل الملك البورمي عن عرشه ، وضم بقية مملكته إلى الهند البريطانية . ومن المرجح أن السبب الرئيسي في ذلك الأمر والإسراع في ضم هذه الممتلكات كان خوف بريطانيا من التحالف بين بورما ودولة أوروبية أخرى (١٨٠).

وعلى الرغم من ادعاء الصين أن بورما دولة تابعة لها ، لم تقدم الصين إلى بورما بعد ضمها إلى الهند البريطانية عام ١٨٨٥ ، بل الأكثر من ذلك وافقت على احتلال بريطانيا لبورما طبقاً لاتفاقية اعترفت فيها بريطانيا بأن بورما تابعة للصين ، وتموافقتها على قيام السلطة العليا في بورما بإرسال بعثة تحمل للجزية المعتادة إلى بكين (١٨١).

وبمجرد أن تهيئت الأمور لبريطانيا في بورما وأخضعت للحاكم العام للهند أنساب عنه في حكمها أحد قواده ، يعاونه مجلس تشريعي يتألف من تسعة أعضاء ، وعلى الرغم من أن بريطانيا حاولت إيهام الشعب البورمي بأن سياستها تجاهه كانت بوجه عام أقل تعسفاً من حكم ملوكها ، والادعاء باحترام تقاليد بورما في القرى والمدن ، واحتفاظها بالزعماء الوطنيين المحليين الذين قدمت لهم المساعدة من أجل إنجاز مهامهم في جمع الضرائب الخفيفة التي فرضها البريطانيون في بورما . لكن الواقع التاريخي أثبت أن بورما لم تسلم من استغلال ثرواتها وتحكم بريطانيا في ثروات وموارد البلاد على مدار فترة الاحتلال (١٨٢) حيث كانت الغايات في أيدي بريطانيا ، والأخشاب تقطع وتبشر بأيدي عمال هنود ، وتشحن إلى الخارج على سفن بريطانية ، وكانت مناجم الرصاص والزنك قد صارت بالفعل ذات أهمية دولية ، ولم يكن لأهل بورما دوراً في ذلك ، حيث كان العمال في المناجم من الهنود والفنيون هنوداً وبريطانيين ، أما سلطة الإدارة والمديرين فكانت في أيدي بريطانيين ، وأصحاب الموانئ والسكك الحديدية والسفن يقيمون

في لندن وكلكتا ، وعدد الهنود أزيد من عدد البورميين في رانجون ، رأس المال البريطاني هو الذي يشغل المصانع الثقيلة ومخارج الأرز ومنشر الخشب ، وظل البورمي فلاحاً صغيراً ، وكان الأرز البورمي يمثل من ٤-٥% من المحصول العالمي ، وكانت بورما بذلك أكبر مصدر للأرز في العالم ، وكان البريطانيون والصينيون والهنود باعتبارهم ملاك الأراضي ورجال البنوك وتجارهم الذين يجنون أرباح هائلة من هذا المصدر الاقتصادي ، في الوقت الذي لم يستفد فيه البورمي بأي عائد يذكر من هذا المحصول (١٨٣).

- الكفاح البورمي حتى الحصول على الاستقلال

أخذ المتعلمون في بورما يدعون إلى الانفصال عن الهند لتصبح بورما دولة مستقلة ، وعلى أثر تدمير البورميين أنشأ البريطانيون مجلساً تشريعياً منذ عشرينيات القرن العشرين ، مما أكسب المواطنين قدراً يسيراً من المشاركة في الحكم ، غير أن ذلك لم يضع حداً للمعارضة (١٨٤).

والواقع أن الحركة الوطنية في بورما لم تكن وليدة عشرينيات القرن العشرين ، بل أنها ظهرت مع نهاية القرن التاسع عشر ، حيث تكونت العديد من الجمعيات الوطنية من أجل تحقيق الاستقلال الوطني لبورما ، وأهمها " الجمعية البوذية " التي بدأت نشاطها بالدعوة إلى المحافظة على الدين البورمي وعقائده ، كما تكونت منظمة دينية في " ماندلاي " عام ١٨٩٧ ، ثم تشكلت " جمعية الشبان البوذيين " على شاكلة " جمعية الشبان المسيحيين " وكان قوادها من خرجى كلية رانجون ، وكانت صغيرة في بادئ الأمر ، وتتلقى التأييد من الصحف الوطنية التي كانت تعمل على تأليب الحرية والدعوة لها ، وقد نمت للجمعية وأصبح لها فروع في أماكن أخرى خاصة بعد أن عاد مؤسسها من لندن ، وحملوا الشهادات العليا وأخذوا ينشرون الآراء ، وكانت في بداية الأمر تناقش المسائل الدينية والاجتماعية ثم تطورت وأصبحت تناقش المسائل العامة (١٨٥).

وعندما أعلن الرئيس الأمريكى ولسن مبادئ حقوق الإنسان ، وأعلنت بريطانيا كذلك أن هدفها هو منح الهند الحكم الذاتى ، راود الحلم الشبان البوذيين فى بورما بشأن الاستقلال فأصدرت جمعيتهم قراراً بتشكيل وفد يذهب لعرض القضية على الوفد البريطانى ، وقابل هذا الوفد البعثة البريطانية فى كلكتا ، ثم عاد إلى بورما واتفا من أن بورما ستكفل نصيباً من هذه الإعلانات الخاصة بحق تقرير المصير واستقلال الدول ، غير أن بريطانيا لم تف بوعدها مما أثار الرأى العام (١٨٦).

ولما اتسع نطاق الجمعية وشمل القرى والمدن أصبحت تعقد مؤتمرات سنوية فى القرى والمدن الرئيسية ، وكانت تضم بين أعضائها موظفين حكوميين من المحاميلخ والصحفيين ، وبعض رجال الأعمال ، وكان المحامون فى ذلك الوقت قد احتكروا الزعامة السياسية ، وكانت المؤتمرات السنوية لا تشكل خطراً فى بداية الأمر ، وكانت بعض قراراتها توجه شكراً للسلطات البريطانية ، إلا أن المؤتمر الذى عقد فى "بينمانا" عام ١٩١٧ كان له شأن آخر ، فقد أصدر قراراً يعرب فيه عن عدم الموافقة على أن تكون هناك عربات خاصة للأوروبيين فى القطارات ، الأمر الذى يعنى التفريق العنصرية ، كما كان هناك قراراً يطالب بعدم دخول الأوروبيين المعابد بأحذيتهم ، وقرار آخر يطالب الحكومة بإصدار قانون يمنع تسرب الأراضى إلى أيدي الأوروبيين ، وكانت هناك قرارات خاصة بالنواحي الاجتماعية تطالب بعدم زواج البورميات من الأجانب (١٨٧).

كما ظهرت الحركة الوطنية البورمية بصورة واضحة حينما أرسلت جمعية الشبان البوذيين وفدين إلى لندن فى عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٠ بتقويض شعبى لعرض قضية بورما على الحكومة البريطانية والشعب البريطانى ، وبالرغم من جهود الوفد ، إلا أنها لم تلت بنتائج تذكر ، غير أنها لفتت النظر إلى القضية البورمية (١٨٨).

وعلى الرغم من ذلك لم ييأس الشعب البورمي فاستمر في حركته من أجل التحرر ونيل الاستقلال ، ولعب رجال الدين الدور الأكبر في تلك الفترة ، حيث ظهر "أوتاما" أحد رجال الدين البوذيين الذي عاد من دراسته من كلكتا ، وانضم إلى حركة المؤتمر الهندي الوطني ، وعند عودته إلى رانجون أخذ يحاضر ويكتب إلى الصحف مدافعاً بحماسة كبير عن القضية الوطنية لبورما ، وأطلق صيحة شهيرة كانت بمثابة مفاجأة للحاكم البريطاني وهي "عد إلى بلادك ياكرادوك" وأخذ البورميون يرددونها ، ونتيجة لجهوده تعرض للسجن عدة مرات ، إلا أنه كان يعود أقوى مما كان (١٨٩).

كما كان هناك رجل دين آخر يدعى "أوريزار" من أشد المعارضين لنظام الحكم المزدوج ، وقد تعرض للاعتقال والسجن ، وفي آخر مرة تعرض لها للسجن ، أعلن أنه سيقاوم حتى الموت احتجاجاً على معاملته كسجين عادي ، وأخذ الناس يبعثون ببرقيات ، طالبوا فيها بضرورة الموافقة على مطالبه ، لكن لم يحدث شيئاً من ذلك ، واستمر في صيامة وإضرابه عن الطعام ، حتى توفي وأصبح بطلاً من أبطال المقاومة ، حيث شيد له في رانجون تمثالاً في ميدان يحمل اسمه في منتصف شارع هام يحمل اسماً أيضاً (١٩٠).

ومع مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين قاد راهب بوذي يدعى "ساياسان" عدة آلاف من الثوار وعدة ثورات لم يكتب لها النجاح ، وفي الوقت نفسه أسس الطلاب الجامعيون "اتحاد طلاب بورما" للعمل من أجل الاستقلال ، كما نظم اتحاداً طلابياً آخر في عام ١٩٣٦ ، وعلى الرغم من أن البريطانيين قاموا بفصل بورما عن الهند عام ١٩٣٧ ، ومنحوا البورميين حكماً ذاتياً جزئياً ، فإن المقاومة استمرت من أجل تحقيق الاستقلال الكامل (١٩١).

وبحلول سنة ١٩٤٣ أعلنت حكومة بورما التي استندت إلى تأييد اليابان استقلال بورما ، لكن سرعان ما تبذرت أحلام الشعب البورمي بسبب سيطرة

اليابانيين على مرافق البلاد ، فبدأ جيش بورما قبل هزيمة اليابان التعاون سراً مع قوات الحلفاء (١٩٢٢).

وبمجرد هزيمة اليابان وانتصار الحلفاء عادت بريطانيا إلى بورما غير أن الرابطة التي كونها الشباب البورمي خلال الحرب العالمية الثانية ، أصبحت حزباً سياسياً قوياً يهدد سيطرة البريطانيين الذين لم يستطعوا حكم البلاد دون مساعدة منها (١٩٢٣).

ولدت الحركة الوطنية في بورما في نهاية الأمر إلى موافقة بريطانيا في مايو عام ١٩٤٥ ، بموجب الكتاب الأبيض الذي أصدرته على إعادة تنظيم حكومة بورما على ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى تضمن فيها الدولة تعيين حاكم للبلاد يحكمها حكماً مباشراً ، ويساعده مجلس معين وهيئة تشريعية . والمرحلة الثانية العودة إلى الوضع الذي كانت عليه حكومة البلاد طبقاً للقانون البورمي الصادر سنة ١٩٣٥ . أما المرحلة الثالثة فهي الحكم الذاتي الكامل في نطاق الكومنولث البريطاني . وكانت هناك ثلاثة آراء حول الاستقلال ، ففي الوقت الذي حيثت فيه طبقة الملاك بوجه عام إقامة حكومة قوية حتى يتم إنعاش البلاد ، فضل الزعماء السياسيين استقلال عاجل ولو على حساب النهضة الاقتصادية ، أما جماعة الحرب الشعبية المناهضة للفاشية والتي كونها أنصار الاستقلال لمقاومة اليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية طالبت بأن يكون لهم تمثيلاً قوياً في الحكومة الجديدة . لكن المناقشات التي أجريت بين الحكومة والجماعة فشلت في الوصول إلى اتفاق . وأخيراً أعلنت حكومة العمال البريطانية في يناير ١٩٤٧ أنها تنوى منح بورما استقلالها قريباً داخل نطاق الكومنولث أو خارجه (١٩٤٤) والأكثر من ذلك قامت بتعيين رئيس الرابطة " أونج سان " رئيساً للوزراء في الحكومة البورمية ، لكنه اغتيل ، فأصبح نائب رئيس الرابطة " نو- بور " رئيساً للحزب ، وتم تعيينه من قبل بريطانيا رئيساً للوزراء (١٩٥٠) وفي يناير ١٩٤٨ حققت البلاد استقلالها عن بريطانيا وصار اسمها بورما (١٩٦٦).

الفصل العاشر

تطور تاريخ نابليون المديح والمعاصر

تايلاند

هى إحدى دول جنوب شرق آسيا ذات العبق التاريخى والكثافة السكانية العالية . وتعد - شأنها شأن بقية دول جنوب شرق آسيا- من أغنى مناطق العالم بالمواد الخام وأكبر أسواق العالم الاستهلاكية ؛ مما جعلها محط أطماع الدول الاستعمارية خلال الفترة الحديثة والمعاصرة .

ترجع تسمية تايلاند بهذا الاسم إلى شعوب التاي التى قدمت من إقليم يونان جنوب الصين (١٩٧) ، وقد أصبح تايلاند الاسم الرسمى لهذه الدولة منذ عام ١٩٣٦ . أما الاسم الآخر وهو سيام فقد أطلقه الأجانب عليها ولا يزال مستعملاً حتى هذه الأونة (١٩٨) .

- تايلاند قبيل الوجود الأوروبي

يمكن التأريخ الفعلى لدولة تايلاند الحديثة منذ أن قام شعب خمير Khmer أو كمير بإنشاء أول ولاية فى سيامو وذلك منذ القرن السادس الميلادى (١٩٩) ، وقد ظهر تأثر هذا الشعب بالثقافة الهندية بصورة جلية (٢٠٠) . وقد استمرت حضارتهم - التى اتخذت من شيانج ماى مركزاً لمملكتهم التى عرفت باسم هاريبو نداجاجا - حتى القرن الثالث عشر (٢٠١)

وعلى الرغم من التوسع المغولى الذى دفع بأفواج من التاي نحو الجنوب استطاعت تأسيس ولايات جديدة فى الجنوب ، وحاولت جاهدة الاستيلاء على الممالك التى أسسها الخمير . فإنه بحلول القرن الرابع عشر اتحدت الولايات الجنوبية وكونت مملكة تايلاند التى تقدمت بصورة تدريجية صوب شبه جزيرة الملايو جنوباً وكمبوديا شرقاً ، لكنها اضطرت خلال الفترة التى امتدت من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر إلى خوض العديد من الحروب للمحافظة على استقلالها ضد "بيجو وبورما" وصدت غزو بورمي آخر لتايلاند سنة ١٧٥٧ على يد قائد تايلاندى من أسرة "شاكرى" التى ظلت تحكم تايلاند حتى القرن العشرين (٢٠٢) .

وكرر فعل للغزو اليورسي بدأت تايلاند في محاولة السيطرة على بورما" مينا نمار" ، وكانت مدينة "شينجماي" التي حاولت كل منهما السيطرة عليها سبباً محتملاً بين القطرين للنزاع ، وكان لدى بورما قوى عديدة تحت قيادة "الونجيبايا" الذي كان يمتلك ذريعة يستطيع من خلالها للتوغل صوب تايلاند ؛ ونعني بها هروب بعض الجنود الخارجين عليه والذين عرفوا بجيوش "مون" شرقاً صوب أراضي تايلاند ، وكان قد طردهم من "بيجو" ، وبدأ الونجيبايا عملية الغزو في أواخر عام ١٧٥٩ واتخذ قرار خطير بإقامة عاصمة جديدة بالقرب من البحر في "سانكوك" ، إلا أن تايلاند تمكنت من الاحتفاظ باستقلالها خلال السنوات التالية . وقبل عام ١٧٧٠ عندما واجهت بورما بنجاح الغزو الصيني ، وكان للتايلانديون فسي مركز يمكنهم من صد كل محاولة لإعادة سيطرة بورما عليها ، استطاعت تايلاند استرداد شينجماي ، وإفشال آخر محاولة بورمية لغزو تايلاند في عام ١٧٧٥ . وبذلك سيطرت تايلاند على شينجماي إحدى أهم المدن التي كانت بورما تدعى ملكيتها لها ، وضرورة اعتراف تايلاند بذلك الأمر (٢٠٣) .

ولم تكف تايلاند بالنفوذ في بعض مناطق بورما بل أنها استطاعت في عام ١٧٨٦ فرض حمايتها على كمبوديا ، لكن هذا الأمر قوبل بالتحدي عام ١٨٠٩ ، حينما أقدمت فيتنام "آنام" على غزو كمبوديا ، ونتيجة لذلك قُسمت أراضي كمبوديا، فُضِمت تايلاند إقليم "باتا ميانج" ، وجعلت فيتنام من الباقي ولاية تابعة لها (٢٠٤) .

- تايلاند والغرب الأوروبي

هناك حقيقة جديرة بالملاحظة حينما يتطرق الباحث إلى دراسة تاريخ تايلاند ، ونعني بها التأكيد على اختلاف تاريخ تايلاند إذا قورن بتاريخ الشرق الأقصى بصفة عامة ، وجنوب شرق آسيا خاصة ؛ حيث أن استقلال تايلاند وحدها من بين دول جنوب شرق آسيا في أواخر القرن التاسع عشر يعد ظاهرة

تاريخية تصور إلى حد كبير مقدرة ملوك تايلاند في الحفاظ على بلادهم ، مما أدى في نهاية الأمر إلى أنها لم تكن قط مستعمرة (٢٠٥).

بدأ البرتغاليون ينشئون علاقات مع تايلاند بعد استيلائهم على ملقا عام ١٥١١ ، غير أنه بحلول القرن السابع عشر ، حل محلهم الهولنديون ، لكن الواقع أثبت أن الوجود البرتغالي والهولندي والراحالة الذين أتوا من هذه البلاد ووصلوا إلى شواطئ تايلاند كانوا لا يهتمون بشئ سوى التجارة ، وكان نفوذهم ضعيفاً إذا قورن بالنفوذ الفرنسي والبريطاني (٢٠٦).

ولذا تعد فرنسا من أهم الدول الأوروبية التي قامت بإنشاء شبكة واسعة من العلاقات مع تايلاند ، فقد حاولت خلال النصف الأول من القرن السابع عشر العدوان على تايلاند ، إلا أنها فشلت ، ولم تعد تفكر في ذلك الأمر إلا بعد مدة طويلة . وعلى الرغم من أن فرنسا لم تعد لمضايقة تايلاند فإن البلاط الملكي في بانكوك ظل يراقب نشاطات عملائها مراقبة شديدة ودقيقة ، لكن المسألة أصبحت ذات أهمية مباشرة لدى تايلاند بعد تدخل نابليون الثالث في عام ١٨٦٨ واستقرار النفوذ الفرنسي في كمبوديا بمقتضى معاهدة ١٨٦٣ ، خاصة وأن تايلاند كانت تدعى لنفسها بعضاً من السيادة المبهمة على كمبوديا ، فلما شرع الفرنسيون في الضغط على الملك الكمبودي ، حول وجهه شطر ملك بانكوك كي يطلب منه المساعدة ومساندته ضد التطفل الفرنسي الذي أهدق بلاده في ذلك الوقت والذي كاد يقضى على نفوذه في البلاد . وقد أسفر ذلك في نهاية الأمر عن توقيع معاهدة مع تايلاند في أول ديسمبر عام ١٨٦٣ ، بخلافات دبلوماسية بين الطرفين الكمبودي والتايلندي من جهة والفرنسي من جهة أخرى ، انتهت بعقد اتفاقية بين فرنسا وتايلاند تنازلت فيها الأخيرة عن ادعائها في كمبوديا ، مقابل مقاطعتي "أنجكور" و"باتام بادج" ، وحصول فرنسا على حق الملاحة في نهر الميكونج ، وكان هذا التنازل الأخير من قبل تايلاند موضع منازعات فيما بعد (٢٠٧).

وعقب تهدئة الأمور بين فرنسا وتايلاند ، بدأت أولى الاتصالات الفرنسية التايلاندية الجادة عن طريق المنصرين ، وذلك في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وبخاصة خلال الفترة الممتدة من ١٦٦٠ إلى ١٦٨٠ . والواقع أن كثير من هؤلاء المنصرين قد نالوا حظوة عظيمة من قبل الأهالي في تايلاند ، لأنهم كانوا يولون التعليم المهني والفني والعسكري عناية خاصة بجانب التعليم الديني ، حيث أنهم قاموا بتدريس الهندسة العسكرية وكيفية بناء الحصون .. ونتيجة للسياسة التي اتبعتها فرنسا تجاه الأهالي ، عين أحد الأطباء الفرنسيين الذي كان يقوم بمهمة للتصوير حاكماً على جزيرة " بوك " ، كما لاقى عدداً من الأجانب ترحيباً من حكام تايلاند ، أبرزهم المفامر اليوناني " قسطنطين فولكون " الذي أتى إلى " أجوشيا " عام ١٦٧٥ ثم عمل في خدمة حكومة تايلاند ، ثم أصبح صاحب مكانة كبيرة باعتباره مشرفاً على التجارة الخارجية التابعة للفرنسيين الذين افتتحوا وكالة تجارية في أجوشيا سنة ١٦٨٠ . وقد ساعد قسطنطين فولكون في تقدم سير العلاقات السياسية بين فرنسا وتايلاند ، وذلك حينما أقتنع - بحماسة التي اشتهر بها آنذاك - حكام تايلاند على ضرورة توطيد العلاقات السياسية مع فرنسا ؛ لما في ذلك من مصلحة سوف تجني تايلاند من خلالها مكاسب عديدة ، خاصة وأن فرنسا في تلك الآونة كانت بمثابة الدولة الأوروبية التي تتمتع بمركز وثقل كبيرين إذا قورنت بالدول الأوروبية الأخرى (٢٠٨).

وقد أدت جهود قسطنطين فولكون في نهاية الأمر إلى سفر بعثة تايلاندية إلى فرنسا في عام ١٦٨٠ ، واصطحبت معها الكثير من الهدايا ، أهمها مجموعة من الأغصان الصغيرة ، وحيوان وحيد القرن لتقدمها إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان هناك خطاباً مكتوباً على صحيفة من الذهب ، غير أن الرياح قد أدت بما لا تشتهي السفن ، حيث تحطمت المركب التي كانت تقل البعثة . وبعد أربعة سنوات عاودت تايلاند الكرة مرة ثانية رغبة منها في إقامة علاقات طيبة مع فرنسا ، وظهر ذلك بحلول عام ١٦٨٤ ، حينما أرسلت بعثة أخرى ، وصلت إلى فرنسا سالمة . وعلى الجانب الآخر أرسلت فرنسا في

عام ١٦٨٥ بعثة في سفينتين حربيتين فرنسيتين نجحت في إقامة علاقات تجارية بين الطرفين ، حينما تم التوقيع على معاهدة تجارية سمح بمقتضاها للشركة الفرنسية بالقسيام بالتجارة الكاملة مع الوكلاء الملكيين التايلانديين ، كما حصلت الشركة أيضاً على حق احتكار صادرات القصدير في جزيرتي بوكوت ولونج وسيلانج . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل زادت تايلاند في كرمها تجاه فرنسا ، حيث تم التنازل لهذه الشركة عن "سيخورا" (٢٠٩).

على الرغم من تلك السياسة التايلاندية ، طمعت الشركات الفرنسية في المزيد ، وأدى ذلك إلى مجئ المزيد من الفرنسيين إلى أجوثيا ، حيث أنه بحلول عام ١٦٨٧ وصل نحو ستمائة جندي فرنسي ، وثلاثمائة من الصناع والفنيين المهرة ، وقد أدى ذلك بدوره إلى حدوث المناوشات بين الفرنسيين والأهالي والدوائر الحكومية في تايلاند ، كما أنه بحلول عام ١٦٨٨ تم إعدام قسطنطين فالكون الذي كان يفضل الشركات الفرنسية دائماً على غيرها من الشركات الأوروبية ، بل والأكثر من ذلك يعمل لحساب فرنسا على حساب تايلاند نفسها ، مما أدى إلى سوء العلاقات الفرنسية التايلاندية ، ووضح ذلك بصورة واسعة من خلال السياسة التي اتبعتها حكومة تايلاند تجاه رجال الدين الذين جابوا البلاد من أجل القيام بعملية تنصير بين أهالي تايلاند ، حيث قامت الحكومة بسجن عدد كبير من المنصرين ، وذبح كل من وصلت إليهم أيديهم من الذين اعتنقوا المسيحية . وعلى الرغم من سماح السلطات التايلاندية للجنود الفرنسيين الذين وجدوا في بانكوك بالانسحاب إلى الهند ، فإن كثيراً من الذين كانوا يعسكرون في النقاط الخارجية إما قتلوا أو سجنوا (٢١٠) .

ونتيجة لذلك بدأت فرنسا في محاولة إيجاد الفرص والنزاع من أجل إشعال نيران الحرب بينها وبين تايلاند ، ولم تلبث أن وجدت الذريعة التي تتعلل بها في حادث على حدود تايلاند عام ١٨٩٣ حين قُتل بعض الفرنسيين في حادث من نفس النوع الذي كانت الدول الاستعمارية تتخذ ذريعة لها أثناء تعاملها مع الدول

الضعيفة ، فهددت فرنسا بإطلاق نيران مدافعها على بانكوك ما لم تسلم إليها جميع الأراضي الواقعة إلى الشرق من نهر ميكونج ، فضلاً عن الأجزاء الواقعة على مجرى النهر ، وانسحاب رجال الشرطة والقوات العسكرية على الضفة الغربية إلى مسافة عشرة أميال ودفع تعويض باهظ . ولم تكف فرنسا بذلك بل حثمت على تايلاند منحها الحق في أن تفتح جيشاً تشاء قنصليات تتمتع بالامتيازات الأجنبية . وبمقتضى هذه المعاهدة سقت تايلاند من نفس الكأس التي شربته فيتنام ، خاصة أن الفرنسيين اشتطوا في تفسير الامتيازات القضائية الأجنبية ، التي طبقوها بصورة بشعة على الآسيويين الذين كانوا يقطنون تايلاند آنذاك (٢١١).

ولم تكف السياسة الفرنسية بذلك بل أنها عملت على إذلال تايلاند بصورة مهيبة ، فحينما شعرت فرنسا بالقلق خشية أن ينفرد الانجليز بالنفوذ في تايلاند ، عملت في العام نفسه على جعل لاوس التي كانت تابعة من قبل إلى نفوذ حكام تايلاند خضوعاً مباشراً محمية فرنسية (٢١٢).

أما بالنسبة للعلاقات التايلاندية - البريطانية ، فيجب الإشارة إلى أن علاقات تايلاند بالدول الغربية كانت مرضية من جميع النواحي حتى هزمت القوات الصينية واستقرت السيطرة الأوروبية في الشرق الأقصى وزاد نفوذها . وكانت المعاهدة التي عقدها الكايتن "بيرني" الإنجليزي عام ١٨٢٦ مع ملوك تايلاند ، تنص على أن الرعايا البريطانيين الذين يزورون قطراً تايلانديين ينبغي أن يكون مسلحهم وفق قوانين تايلاند . وكان معنى ذلك أن جميع الرعايا الانجليز عرضة للحكم عليهم بالإعدام في حالة قتلهم لأحد الأشخاص . وبالضرب بالسياط أو الغرامة أو الحبس على جرائم أخرى يرتكبوها ، أو الطرد المباشر من البلاد في حالة استعملهم لغة لا تنم عن الاحترام في خطابهم لأي موظف سياسي (٢١٣).

ونتيجة للسياسة التي قامت منذ عقد هذه المعاهدة بين الطرفين وعدم إثارة الفلاقل بين العناصر الانجليزية التي وجدت في ذلك الوقت بتايلاند وأهالي البلاد ، أصبحت الأمور هادئة ، وتوغل العناصر الانجليزية في ربوع البلاد . ومما دل على العلاقات الطيبة التي وجدت بين الطرفين في هذه الأونة ، تمكن السير"جون باورنج" خلال المعاهدة التي عقدت بين بريطانيا وتايلاند ، الحصول على مبدأ الامتيازات القضائية للرعايا البريطانيين ، وإذن ببناء الكنائس في البلاد (٢١٤) . وعلى الرغم من سياسة تايلاند تجاه بريطانيا فقد بدلت السياسة البريطانية الاستغلالية تظهر في الأفق بحلول عام ١٦٨٧ ، حينما أرسلت شركة الهند البريطانية بارجتيس إلى ميناء "مرجوى" التايلاندي ، وأدى ذلك الأمر إلى سوء التفاهم بين تايلاند وبريطانيا ، حيث وجهت السلطات التايلاندية التهم إلى العناصر الانجليزية التي كانت تقيم على النشاط ، كما ذبح التايلانديون نحو خمسين شخصاً من الانجليز . وأعلنت تايلاند الحرب رسمياً على الشركة الانجليزية (٢١٥)

على الرغم من رغبة كل من فرنسا وإنجلترا نتيجة السياسة التي تعرضا لها في تايلاند أن يحتفظا بتايلاند كدولة حاضرة ، فإنهما رغباً في الاستيلاء على بعض أراضيها ، وقد ظل النزاع على الحدود التي لم تكن واضحة بينهما إلى أن وقعت بريطانيا وتايلاند لتسوية مشاكل الحدود بينهما سلمياً . أما فرنسا فقد أثبتت أن لديها نيات عدوانية ، فاضافت "لوانج بريان" إلى الهند الصينية بعد هجمات متوالية فانفصلت بذلك تايلاند عن الصين ولاصمت الأملاك الفرنسية أرض بورما (٢١٦) .

والواقع أن الأطماع التي كانت تضمهرها الحكومة الفرنسية تتطوى على إدخال تايلاند بأكملها تحت حمايتها ، وإن لم يتيسر ذلك فلا أقل من الحصول على أكبر ما يمكن اقتطاعه من أراضي تايلاند ، لكن معارضة إنجلترا لذلك الأمر جعلت تنفيذ تلك السياسة عسيرة ، ثم كان تدهور الموقف في أوروبا (٢١٧) .

وفى ظل هذا المناخ بدأت المفاوضات البريطانية الفرنسية من أجل تقسيم تايلاند ، وقد اتضح ذلك عام ١٨٩٦ ، حينما عقد الطرفان اتفاقية قسمت تايلاند إلى ثلاث مناطق "فرنسية - بريطانية - محايدة " . ثم قامت فرنسا فى عام ١٩٠٤ ببسط نفوذها على منطقة فسيحة من الأراضى وإقامة منطقة محايدة . وفى عام ١٩٠٧ - بمساندة بريطانيا - أجبرت تايلاند على التنازل عن المنطقة المجاورة ، كما حصلت بريطانيا فى عام ١٩٠٩ على اعتراف كامل باستقلالها على ماليزيا " الملايو " ففقدت تايلاند بهذا الاعتراف ثلث أراضيها ، ولم يبق لها سوى كتلة متمسكة من السكان أغلبهم من التايلانديين (٢١٨).

- تايلاند والنهضة الإصلاحية

نتيجة لهذه الظروف وقبلها ، ظهرت ملامح النهضة التايلاندية منذ اعتلاء الملك "مونج كون" العرش عام ١٨٥١ ، ولما كان هذا الملك ذكياً ومحباً للاطلاع فقد فضل لبلاده سياسة تصطبغ بالصيغة الغربية بالتدريج ، وظهر فى أثناء حكمه التقدم فى إنشاء الطرق وشق القنوات وتشبيد السفن (٢١٩)

واستمر الملك "شولا لونج كورن" منذ اعتلائه العرش التايلاندى عام ١٨٦٨ فى الاقتباس من النظم الغربية الحديثة فى كافة المجالات ، وبدأ فى تطبيق ذلك من داخل بيته ، خاصة مع وجود مربية إنجليزية ومعلم إنجليزى لأولاده ، ونتيجة لتثقافته الواسعة ورحلاته إلى الخارج ، أدخل تعديلات جوهرية فى جميع المصالح الحيوية (٢٢٠) واقتبس هو ومن لى من بعده الكثير من النظم الأوروبية وقوانين التعليم والنظم القضائية ، وأدرك الملك بعين البصيرة مصادر قوة الدول الغربية التى زارها ، فأدخل مجموعة من الإصلاحات منها إلغاء الرق ورق الدين وإعادة تنظيم الحكومة والدولة وإنشاء جمعية تشريعية ومجلس وزراء عام ١٨٨٥ (٢٢١). وخلال العشر سنوات التالية صيغ دولته بالطابع العصرى ، فأنشأ خطوط السكك الحديدية والتلغراف والتليفونات ، كما أصلح نظام العملة وأنشأ

نظام عصري للبريد ، ثم وضع قانون جديد للعقوبات ، مع أنه لم ينفذ إلا في سنة ١٩٠٨ (٢٢٢).

وأدخلت النظم الحديثة في الجيش ووزارة العدل ونظام الضرائب ، وكان ذلك شرطاً لإقامة السلطة المركزية التي استلزمت الحد من سلطة النبلاء الذين كانوا في مختلف أنحاء البلاد يصدرون قوانينهم الخاصة ويتمردون على السلطة الحاكمة في بانكوك (٢٢٣).

ونتيجة لسيطرة الملكية المستبدة على الأمور فيما بعد ، بدأت الفئة القليلة من السياسيين الذين تعلموا العلوم الغربية وتطلعوا إلى نصيب من النفوذ السياسي إظهار أنفسهم باعتبارهم دعاة النظم الدستورية ومعارضة الحكم الاستبدادي . وبحلول يونيو ١٩٣٢ نجحوا بمساعدة ضباط الجيش والبحرية في إحداث انقلاب كان من أهم نتائجه رضاء الملك عن تحديد سلطاته بمقتضى دستور ديمقراطي (٢٢٤) ولم يكن من لثر - كبير - لهذه الثورة غير الدامية سوى قبول طيقات جديدة في الحكم بعدما كان ذلك مقتصرأ على أقرباء الأسرة المالكة (٢٢٥) ، ولذا لم تأت هذه الثورة في الواقع بالديمقراطية إلى تايلاند (٢٢٦).

وقد استمر الحال في تايلاند على هذه الشاكلة حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ولكن تايلاند كانت الدولة الوحيدة في جنوب شرق آسيا التي كانت معانيتها من هذه الحرب أقل بكثير مما عانته الأقطار الآسيوية الأخرى على يد اليابان عام ١٩٤١ (٢٢٧).

- تايلاند منذ الحرب العالمية الثانية

منذ الاحتلال الياباني لآسيا أثناء الحرب العالمية الثانية وجدت تايلاند نفسها في مأزق حرج فقد استسلمت لليابانيين بعد مقاومة صورية ، ثم أعلنت الحرب على الحلفاء ، ومع ذلك فقد تعاون في أثناء الحرب الكثير من الموظفين والمواطنين التايلانديين مع الحلفاء سرأ . وبعد هزيمة اليابان ادعى التايلانديون أن

إعلان الحرب لم يكن قانونياً . وبحلول عام ١٩٤٥ أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أن تايلاند لن تعامل كعدو مهزوم ، لكن الانجليز والفرنسيين لم يكونوا على استعداد لتسوية الماضي . وفي تلك الأونة أعادت تايلاند الأراضي التي اقتطعتها من ماليزيا بمقتضى معاهدة عقدت بينها وبين إنجلترا والهند عام ١٩٤٦ ، كما وافقت على عدم إنشاء قناة في جنوب تايلاند . أما علاقاتها بفرنسا فقد تعقدت بسبب ثورة فيتنام في الهند الصينية الفرنسية ، فلجأت تايلاند إلى الأمم المتحدة بعد أن وقعت عدة مصادمات على الحدود ، لكنها سوت النزاع بينها وبين فرنسا بعد ذلك بمفاوضات مباشرة ، وأعادت لها الأراضي التي استولت عليها مقابل عدم اعتراض فرنسا على انضمام تايلاند للأمم المتحدة (٢٢٨).

وفي العام نفسه أعادت تايلاند تنظيم حكومتها ، ومع أن دستورها الذي صدر عام ١٩٣٢ نص على إقامة نظام الملكية المقيدة ، فإن البلاد وقعت تحت حكم حزب سياسي واحد يرأسه " لسوانج برادت " . ولذا وضع دستور جديد عام ١٩٤٦ تنص على إنشاء برلمان مكون من مجلسين منتخبين ووزراء أكثر مسؤولية . وفي يونيو من نفس العام قتل الملك بطريقة خفية ، وتولى الملك من بعده أخوه " فوميون أدونيت " الذي كان يبلغ من العمر آنذاك تسعة عشر عاماً ، لكنه ظل يواصل دراسته في سويسرا ، مما أدى إلى سقوط الحكومة على أثر انقلاب عسكري تحت زعامة المرشال " فيبول سونجرام " الذي أقام ديكتاتورية عسكرية دون إحداث أي تغيير فعلي في شكل الحكومة ، ولم يتمكن من تولى الوزارة بنفسه إلا سنة ١٩٤٨ . واستطاع توطيد مركزه في الحكم رغم قيام العديد من المحاولات لإبعاده عن الحكم . ورغم عودة فوميون أدونيت لحضور حفلات التتويج في ٥ مايو ١٩٥٠ لم تضعف قبضة سونجرام على حكومة البلاد (٢٢٩).

وبعد أن انضمت تايلاند إلى " حلف جنوب شرق آسيا " أجبرت الولايات المتحدة الأمريكية حكومة " فيبول سونجرام " التايلاندية على القيام ببرنامج عسكري واسع النطاق وضعت خطته في واشنطن . وقد كانت أول نتيجة لاشتراك

تايلاند فى الحلف هى زيادة جيشها زيادة جوهرية ، ففي الوقت الذى كان يبلغ فيه فى مارس ١٩٥٤ نحو ٧٠.٠٠٠ ، وصل إلى ١٨٠.٠٠٠ ألف بحلول مارس ١٩٥٦ . وكان على تايلاند بمقتضى المادة السادسة فى الفقرة الثانية من اتفاقية المعونة العسكرية التى أبرمت عام ١٩٥٠ أن تنشى جميع الأسرار العسكرية للمستشارين الأمريكين ، وأن من شروط دخولها فى حلف جنوب شرق آسيا أن تضع أراضيها وبخاصة المنشآت العسكرية تحت تصرف الحلف . وقد أحدث تسليحها فى ظل الضغط الأمريكى اضطراباً فى الزراعة وأزمة فى الصناعة والتجارة ، كما أدى إلى إفلاس الخزائن وإغلاق عدد كبير من المشروعات وازدياد البطالة ووقوع طبقات تايلاند للعائلة تحت وطأة العوز والفقر (٢٣٠).

این کتاب در سال ۱۳۰۲ هجری قمری در شهر تهران و در مطبعه
 مطبوعه مطهریه چاپ شده است. این کتاب در ۱۰۰ صفحه
 مشتمل است و در ۱۰۰ نسخه چاپ شده است. این کتاب
 در ۱۰۰ نسخه چاپ شده است. این کتاب در ۱۰۰
 نسخه چاپ شده است. این کتاب در ۱۰۰ نسخه
 چاپ شده است. این کتاب در ۱۰۰ نسخه چاپ
 شده است. این کتاب در ۱۰۰ نسخه چاپ شده
 است. این کتاب در ۱۰۰ نسخه چاپ شده است.

فهرست

الحواشي

- ١- ك.م. بانينكار - آسيا والسيطرة الغربية ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد - مراجعة أحمد عكاكي - وزارة الثقافة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٢ ص ٧-١٠.
- ٢- المصدر السابق ص ١٩ - ٢٠.
- ٣- د. جاد طه - التاريخ الأوربي الحديث - جامعة عين شمس، ١٩٩٨ ص ٦٣ - ٦٧.
- ٤- لمزيد من التفاصيل - المصدر السابق ص ٦١ - ٧١.
- ٥- ك.م. بانينكار - المصدر السابق ص ٥٥ - ٥٩.
- ٦- المصدر السابق ص ٥٩ - ٦٧.
- ٧- د. عبد العزيز سليمان نوار - تاريخ الشعوب الإسلامية، مكتبة سعد وأفت - جامعة عين شمس د.ت - ص ٥٠٥ - ٥٠٩.
- ٨- د. جاد طه - تاريخ آسيا الحديث - جامعة عين شمس، ص ٢٢٤ - ٢٤٦.
- ٩- د. عبد العزيز سليمان نوار - تاريخ الشعوب الإسلامية - المصدر السابق ص ٥٤٥ - ٥٥٨.
- ١٠- د. جاد طه - تاريخ آسيا الحديث - المصدر السابق ص ٢٥٨ - ٢٦٥.
- ١١- د. عبد الحميد البطريق وآخر - باكستان ماضيها وحاضرها - دار المعارف - د.ت ص ١٠٣.
- ١٢- احسان حقى - مأساة كشمير المسلمة ط ٣ - القاهرة ١٩٩٣ ص ٦٧.
- ١٣- د. عبد الحميد البطريق - باكستان ماضيها وحاضرها المصدر السابق ص ١٠٤.
- ١٤- عبد المتعم النمر - كفاح المسلمين في تحرير الهند - دار المنشد الجديدة ١٩٥٩ ط ١ ص ١٣٧.

- ١٥- عمر فروخ - باكستان دولة متعيش - بيروت - دار الكشف ١٩٥١
ص ٨٣.
- ١٦- السياسة الدولية ع ١٤٦ أكتوبر ٢٠٠١ - أحمد إبراهيم محمود - الهند
والقدرات الوطنية والعلاقات الإقليمية ص ٥٧.
- ١٧- عمر فروخ - المصدر السابق ص ٨٣.
- ١٨- السياسة الدولية ع ١٤٦ أكتوبر ٢٠٠١ - المصدر السابق ص ٥٧.
- ١٩- د. محمد عبد المنعم الشرقاوي - د. محمد محمود الصياد - ملامح الهند
وباكستان - دار المعارف المصرية ١٩٥٢ ص ١٩٣.
- ٢٠- حان إلياس الحديثي - سياسة باكستان الإقليمية ١٩٧١ - ١٩٩٧ -
مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٨ ص ١٢١ - ١٢٢.
- ٢١- المصدر السابق ص ١٢٣-١٢٤.
- ٢٢- السياسة الدولية ع ١٤٦ أكتوبر ٢٠٠١ أحمد إبراهيم محمود - الهند
والقدرات الوطنية والعلاقات الإقليمية ص ٥٧-٥٩.
- ٢٣- سيد عيسى محمد - الحركة الوطنية في الصين ضد النفوذ الأجنبي ١٨٣٩ -
١٩١١ - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين
شمس، ٢٠٠١، ص ٤، ٥.
- ٢٤- المصدر السابق ص ١٧.
- ٢٥- ك.م. باتيكار - المصدر السابق ص ٦٨ ص ٦٩.
- ٢٦- المصدر السابق ص ١٣٩-١٤٣.
- انظر أيضا د. جاد طه - تاريخ آسيا الحديث - المصدر السابق ص ٢٧ -
٤٣.
- 27- Winfred Galbraith - The Chinese Penguin Books - New York 1945.
p. 95.
- أنظر سيد محمد عيسى - المصدر السابق ص ١٤٨.

- 28- John K. Fairbank - East Asia - Harvard - U.S.A. 1978 p.p. 214-216.
أنظر سيد محمد عيسى المصدر السابق ص ١٥٠.
- ٢٩- محمد العزب موسى - حرب الأفيون - دار المعارف ١٩٦٨ - ص ٩٦.
- 30- Franz H. Michael & George E. Taylor - The Far East in the Modern World - Washington 1956 p. 185.
سيد محمد عيسى - المصدر السابق ص ١٥١-١٥٩.
- ٣١- سيد محمد عيسى - المصدر السابق ص ١٦٤ - ١٧٦.
- 32- John K. Fairbank - Op. cit p. 476.
- 33- H.M. Vinache - A History of the Far East in Modern Times. New York 1978 p. 223.
- ٣٤- محمد نعمان جلال - الصراع بين اليابان والصين - القاهرة ١٩٨٩ ص ١٥.
- ٣٥- د. عبد الحميد البطريق - التيارات السياسية المعاصرة، القاهرة ١٩٨٢، ص ٣٠٧، ٣٠٨.
- ٣٦- د. محمد نعمان جلال - الصراع بين اليابان والصين - المصدر السابق ص ٢٢.
- ٣٧- د. ميلاد المقرحي - تاريخ آسيا الحديث والمعاصر (شرق آسيا - الصين - اليابان - كوريا) جامعة قاريونس بنغازي - ١٩٩٧ ص ٥٦.
- ٣٨- د. ميلاد المقرحي - المصدر السابق ص ٦٢-٦٣.
- ٣٩- المصدر السابق ص ٦٧-٧٣.
- ٤٠- د. جاد طه - تاريخ آسيا الحديث - المصدر السابق ص ٤٦-٤٧.
- ٤١- د. ميلاد المقرحي - المصدر السابق ص ٧٥ - ٨١.
- ٤٢- المصدر السابق ص ٨٢-٨٣.
- ٤٣- د. عبد الحميد البطريق - التيارات السياسية المعاصرة، المصدر السابق، ص ٣١٥.

- ٤٤- د. محمد نعمان جلال - الصراع بين اليابان والصين - المصدر السابق ص ٣٠-٣٦.
- ٤٥- د. ميلاد المقرجي - المصدر السابق - ص ٨٦-٨٨.
- ٤٦- د. محمد نعمان جلال - الصراع بين اليابان والصين ص ٣٨.
- ٤٧- د. عبد الحميد البطريق - التيارات السياسية المعاصرة - المصدر السابق ص ٣١٧-٣٢٠.
- ٤٨- د. ميلاد المقرجي - المصدر السابق. ص ١٠٩-١١١.
- ٤٩- د. محمد نعمان جلال - الصراع بين اليابان والصين - المصدر السابق ص ٧١، ٧٢.
- ٥٠- د. ميلاد المقرجي - المصدر السابق ص ١١٥، ١١٦.
- ٥١- المصدر السابق ص ١١٩-١٢٣.
- 52- John W, Hall - Japan From Pre-History to Modern Times (New York) 1970 p. 65.
- أنظر د. ميلاد المقرجي - المصدر السابق ص ١٦٨.
- ٥٣- د. ميلاد المقرجي - المصدر السابق ص ١٦٩-١٧٣.
- ٥٤- ك.م. بانيكار - المصدر السابق ص ٨٤، ٨٥.
- ٥٥- المصدر السابق ص ٨٦-٩١.
- ٥٦- د. جاد طه - تاريخ آسيا الحديث - المصدر السابق ص ٥٥-٦٤.
- ٥٧- ك.م. بانيكار - المصدر السابق ص ٢٢٤-٢٢٥.
- ٥٨- المصدر السابق ص ٣٠٤-٣٠٧.
- ٥٩- د. جاد طه - تاريخ آسيا الحديث - ص ٧٦-٨٧.
- ٦٠- د. عبد الحميد البطريق - التيارات السياسية المعاصرة - المصدر السابق ص ٤٢٧-٤٢٩.
- ٦١- المصدر السابق ص ٤٣٠-٤٣٣.

- ٦٢- د. ميلاد المقرجي - المصدر السابق ص ٢٢٢-٢٢٦.
- ٦٣- المصدر السابق ص ٢٣٧-٢٤٠.
- ٦٤- د. ميلاد المقرجي - المصدر السابق ص ٢٨٣-٢٨٥.
- 65- Dr. Kim Han Gil Modern History of Korea Foreign Languages Publishing House Pyongyang, Korea 1979 p. 10.
- 66- Annual Statistic Bulletin of The Government - General of Korea , 1929 p.p. 361-362.
- أنظر : Dr Kim Han Gil op. cit p. 10
- 67- Dr Kim Han Gil op cit p.p. 11, 15
- 68- Ibid p.p. 14-18.
- 69- Dr. Kim Han Gill op. cit p. 20-48.
- ٧٠- د. ميلاد المقرجي - المصدر السابق ص ٢٨٦-٢٨٨.
- ٧١- د. عبد الحميد البطريق - التيارات السياسية المعاصرة - المصدر السابق ص ٤٧٤.
- 72- Dr. Kim han Gil op. cit p.p. 287.
- ٧٣- د. ميلاد المقرجي - المصدر السابق ص ٢٩١.
- ٧٤- لمزيد من التفاصيل:
Dr. Kim han Gil op. cit p.p. 288-352.
- ٧٥- د. ميلاد المقرجي - المصدر السابق ص ٢٩٢.
- 76- <http://interknowledge.com> Indonesia.
- 77- <http://www.lonelyplanet.com/destinations/southEastAsia/Indonesia/history.htm>.
- ٧٨- ديتس سميت - اندونيسيا شعبها وأرضها ترجمة د. حسن محمود وحسن جلال العروسي مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ ص ٨١-٩٣.
- ٧٩- ك ل بانتيكار - المصدر السابق ص ١١٢-١١٤.
- ٨٠- د. جاد طه - تاريخ آسيا الحديث المصدر السابق ص ١٠-١٥.
- ٨١- ديتس سميت - المصدر السابق ص ٩٩-١٠٥.
- ٨٢- لمزيد من التفاصيل المصدر السابق ص ١١٨-١٤٨.
- 83- <http://www.gimonca.com/serjarah/serjarah/03.shtml>

٨٤- محمد جلال عباس - فيتنام - قصة كفاح شعب - دار المعارف. مصر - د.ت ص ١٣-٢٠.

85- Latourette, K. A Short History of The Far East U.S.A. 1946. P. 273.
أنظر د. إمام محمد ذهني - فرنسا والمهند الصينية - مقال في مجلة كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر ١٩٨٧/٧ ص ٩٤.
86- Gady, J. The Roots of French Imperialism in Eastern Asia. U.S.A. 1954 p. 10.

أنظر د. إمام محمد ذهني - المصدر السابق ص ٩٨.

٨٧- د. إمام محمد ذهني - المصدر السابق ص ١٠٩.

88- Hall D.G. - A History of South East Asia. London 1955 p. 573.

أنظر د. إمام محمد ذهني - المصدر السابق ص ١١٥.

٨٩- د. إمام محمد ذهني - المصدر السابق ص ١١٦-١٢٢.

٩٠- المصدر السابق ص ١٢٨-١٢٩.

91- <http://www.Spartacus.school.net.co.uk/2www.Vietnam.htm>.

92- Clyde Paul Hulbert - The Far East, New York 1958 p. 127.

أنظر أيضا محمد جلال عباس - المصدر السابق ص ٧٠-٧١.

٩٣- محمد جلال عباس - المصدر السابق ص ٧١-٧٦.

٩٤- محمد جلال عباس - المصدر السابق ص ٧٧.

95- <http://www.Spartacus.school.net.co.uk/2www.Vietnam.htm>.

96- Grozier, Brain - South East Asia in Turmoil, London p.36.

أنظر محمد جلال عباس - المصدر السابق ص ٨٠.

٩٧- محمد جلال عباس - المصدر السابق ص ٨١.

98- <http://www.historyplace.com/united states/Vietnam/Index-1945.htm>.

٩٩- محمد جلال عباس - المصدر السابق ص ٨٣-٨٧.

١٠٠- المصدر السابق ص ٩١.

101- <http://www.Historyplace.com/united states/Vietnam/index-1945.htm/>

- ١٠٢- محمد جلال عباس - المصدر السابق ص ٩٣.
 103- <http://www.historyplace.com/unitedstates/Vietnam/index-1945.htm/>
 ١٠٤- محمد جلال عباس - المصدر السابق ص ١٠٥.
 105- <http://www.historyplace.com/unitedstates/Vietnam/index/1945.htm>.
 ١٠٦- محمد جلال عباس - المصدر السابق ص ١٠٧-١١٠.
 107- <http://www.historyplace.com/unitedstate/Vietnam/index/1945.htm/>
 ١٠٨- محمد جلال عباس - المصدر السابق ص ١٣٣-١٣٤.
 ١٠٩- المصدر السابق ص ١٥٢-١٥٦.
 110- <http://www.historyplace.com/unitedstates/Vietnam/index-1969.html>

ولمزيد من التفصيلات أنظر أيضا:

- Vietnam War <http://www.multied.com/Vietnam/index.html> 2-
- Laguerre du Vietnam <http://perso.club-internet.fr/dazio/Histoire/HistoireGuerre-du-Vietnam.htm>
- The wars for Vietnam: 1945 to 1975 <http://vietnam.vassar.edu/overview.html> Ngo Dinh Diem < <http://www.spartacus.schoolnet.co.uk/VNngo.htm>>
- Ho Chi Minh <http://www.spartacus.schoolnet.co.uk/VNhochiminh.htm> 6-Vietnam <http://www.spartacus.schoolnet.co.uk/2WWvietnam.htm>
- Vietnamization <<http://www.spartacus.schoolnet.co.uk/VNvietnamization.htm>>

- (١١١) رجاء إبراهيم سليم : الأطلس الآسيوى ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٩٧ .
- (١١٢) رافت غنيمى الشيخ ، محمد رفعت : آسيا فى التاريخ الحديث والمعاصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٩٥ .
- (١١٣) محمد محمد زيتون : المسلمون فى الشرق الأقصى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ١٤١ .
- (١١٤) رافت غنيمى الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ٩٥ .
- (١١٥) رجاء إبراهيم سليم : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ .
- (١١٦) أحمد عطية : القاموس السياسى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١١١٤ .
- (١١٧) عبد الوهاب الكيلانى ، كامل زهيرى : الموسوعة السياسية ، الطبعة الأولى ، لبنان ، ١٩٧٤ ، ص ٤٨٠ .
- (١١٨) محمد محمد زيتون : المرجع السابق ، ص ١٤١ .
- (١١٩) نفسه .
- (١٢٠) مسعود الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، الجزء ١٨ ، الطبعة الأولى ، لبنان ، ٢٠٠٤ ، ص ١٥٨ .
- (١٢١) رافت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .
- (١٢٢) محمد محمد زيتون : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .
- (١٢٣) www.malaysia-arab.com
- (١٢٤) رجاء إبراهيم سليم : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ .
- (١٢٥) إسماعيل ياغى : تاريخ شرق آسيا ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٩٩٤ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .
- (١٢٦) بريان هاريسون : جنوب شرق آسيا ، ترجمة سعد أحمد ، مراجعة على أدهم ، القاهرة ، ب.ت ، ص ٦٧ ، ٦٨ .
- (١٢٧) مسعود الخوند : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .
- (١٢٨) سليمان مظهر ، مختار البويغى : النمر الصغيرة الزاحفة ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٨ ، ص ١٥٤ .

- (١٢٩) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ٩٨.
- (١٣٠) سليمان مظهر ، مختار السويفي : المرجع السابق ، ص ١٥٤.
- (١٣١) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ٩٩.
- (١٣٢) نفسه ، ص ٩٩.
- (١٣٣) سليمان مظهر ، مختار السويفي : المرجع السابق ، ص ١٥٤ ، ١٥٥.
- (١٣٤) نفسه.
- (١٣٥) نفسه ، ص ١٥٥.
- (١٣٦) نفسه ، ص ١٥٥ ، ١٥٦.
- (١٣٧) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ٩٦-٩٢.
- (١٣٨) سليمان مظهر ، مختار السويفي : المرجع السابق ، ص ١٥٦.
- (١٣٩) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ٩٩.
- (١٤٠) سليمان مظهر ، مختار السويفي : المرجع السابق ، ص ١٥٦.
- (١٤١) مسعود الخوند : المرجع السابق ، ص ١٦٠.
- (١٤٢) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ٩٩.
- (١٤٣) سليمان مظهر ، مختار السويفي : المرجع السابق ، ص ١٥٦.
- (١٤٤) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ١٠٠.
- (١٤٥) سليمان مظهر : المرجع السابق ، ص ١٥٧-١٥٨ ؛ رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ١٠١.
- (١٤٦) محمد محمد زيتونة : المرجع السابق ، ص ١٤٦.
- (١٤٧) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ١٠١.
- (١٤٨) نفسه ، ص ١٠١.
- (١٤٩) محمد محمد زيتونة : المرجع السابق ، ص ١٤٦.
- (١٥٠) رأفت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ١٠٢.
- (١٥١) محمد عبد الرؤوف : الملايو وصف وانطباعات ، من الشرق والغرب للدار القومية للطباعة والنشر ، ب.ت ، ص ٩٨.
- (١٥٢) مسعود الخوند : المرجع السابق ، ص ١٦١.

- (١٥٣) نفسه .
- (١٥٤) تشيستر بين : الشرق الأقصى ، ترجمة ، حسين الحوت ، مكتبة مصر ، بيروت ، ص ٢٦٦ .
- (١٥٥) محمد عبد الرعوف : المرجع السابق ، ص ٩٦ .
- (١٥٦) رافقت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .
- (١٥٧) محمد عبد الرعوف : المرجع السابق ، ص ٩٦ .
- (١٥٨) نفسه ، ص ٩٦ ، ٩٧ .
- (١٥٩) نفسه ، ص ١٠٢ .
- (١٦٠) نفسه .
- (١٦١) محمد محمد زيتونة : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .
- (١٦٢) محمد عبد الرعوف : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .
- (١٦٣) نفسه ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
- (١٦٤) نفسه ، ص ١٠٧ .
- (١٦٥) رافقت الشيخ ، محمد رفعت : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .
- (١٦٦) نفسه .
- (١٦٧) محمد محمد زيتونة : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .
- (١٦٨) رجاء إبراهيم سليم : المرجع السابق ، ص ٤٠١ .
- (١٦٩) محمد عتريس : معجم بلدان العالم ، دار الثقافة للنشر ، بيروت ، ص ٢٠٢ .
- (١٧٠) مجموعة من الباحثين : الموسوعة العربية العالمية ، الطبعة الثانية ، تعليق ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
- (١٧١) نفسه .
- (١٧٢) رومين : أسس المفارقة ، نقطة الغملاق ، ترجمة يوسف صبري ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣ .
- (١٧٣) محيي الدين فوزي : بورما بين الشرق والغرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٣ .
- (١٧٤) نفسه ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

- (١٧٥) نفسه ، ص ٢٤.
- (١٧٦) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ١١١.
- (١٧٧) محيي الدين فوزي : المرجع السابق ، ص ٢٤، ٢٥.
- (١٧٨) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ١١١.
- (١٧٩) محيي الدين فوزي : المرجع السابق ، ص ٢٦.
- (١٨٠) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ١١١.
- (١٨١) نفسه .
- (١٨٢) نفسه .
- (١٨٣) مجموعة من الباحثين : المرجع السابق ، ص ٢٥٩.
- (١٨٤) نفسه .
- (١٨٥) محيي الدين فوزي : المرجع السابق ، ص ٣٨.
- (١٨٦) نفسه ، ص ٣٩ .
- (١٨٧) رومين : المرجع السابق ، ص ١٣٣.
- (١٨٨) محيي الدين فوزي : المرجع السابق ، ص ٣٨.
- (١٨٩) نفسه ، ص ٤١ .
- (١٩٠) نفسه ، ص ٤٤ .
- (١٩١) مجموعة من الباحثين : المرجع السابق ، ص ٢٥٩.
- (١٩٢) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ٢٧٣.
- (١٩٣) ديمتري يفيموف: الحرب العالمية الثانية ... مصائر شعوب آسيا وأفريقيا ، ب.ت ، ص ١٣٥.
- (١٩٤) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ٣٧٣.
- (١٩٥) ديمتري يفيموف : المرجع السابق ، ص ١٣٥.
- (١٩٦) محمد عتريس : المرجع السابق ، ص ٢٠٤.
- (١٩٧) رومين : المرجع السابق ، ص ١٢٧.
- (١٩٨) فيكتور بورسل : الثورة في جنوب شرق آسيا ، ترجمة ،حسن فريد على بدوي ، مطابع الدار القومية ، ب.ت ، ص ٨٩.

- (١٩٩) رومين : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
 (٢٠٠) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ١١٥ .
 (٢٠١) رومين : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
 (٢٠٢) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ١١٥ .
 (٢٠٣) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ٢٠٩-٢٠٩ .
 (٢٠٤) نفسه ، ص ٢٠٩ .
 (٢٠٥) جاي ونست : أضواء على آسيا ، ترجمة ، روفائيل جرجس ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ب.ت ، ص ١٧٩ ؛ تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ١١٦ .
 (٢٠٦) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ١١٥ ؛ بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ١٧٨ ، رومين : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .
 (٢٠٧) ك. م. بانتيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢ .
 (٢٠٨) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .
 (٢٠٩) نفسه ، ص ١٧٦ .
 (٢١٠) نفسه ، ص ١٧٧ .
 (٢١١) ك. م. بانتيكار : المرجع السابق ، ص ٢٣٧-٢٣٩ .
 (٢١٢) نفسه ، ص ٢٣٩ .
 (٢١٣) نفسه ، ص ٢٣٧ .
 (٢١٤) نفسه ؛ بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .
 (٢١٥) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .
 (٢١٦) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ١١٦ .
 (٢١٧) رومين : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .
 (٢١٨) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ١١٦ .
 (٢١٩) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .
 (٢٢٠) فيكتور بورسل : المرجع السابق ، ص ٩٠ ، ٩١ .
 (٢٢١) ك. م. بانتيكار : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٢٢٢) ك.م. - بليكار : المرجع السابق ، ص٢٣٩.

(٢٢٣) رومين : المرجع السابق ، ١٢٩.

(٢٢٤) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٢٢٥) جاى وند : المرجع السابق ، ص١٧٩ .

(٢٢٦) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص٣٤٦.

(٢٢٧) نفسه ، ص٣٥٣.

(٢٢٨) تشيستر بين : المرجع السابق ، ص ٢٦٨.

(٢٢٩) نفسه ، ٢٦٩.

(٢٣٠) بريان هاريسون : المرجع السابق ، ص٣٥٣.

[1974] *Journal of the Royal Society of Medicine*, 67, 100.

[1975] *Journal of the Royal Society of Medicine*, 68, 100.

[1976] *Journal of the Royal Society of Medicine*, 69, 100.

[1977] *Journal of the Royal Society of Medicine*, 70, 100.

[1978] *Journal of the Royal Society of Medicine*, 71, 100.

[1979] *Journal of the Royal Society of Medicine*, 72, 100.

[1980] *Journal of the Royal Society of Medicine*, 73, 100.

[1981] *Journal of the Royal Society of Medicine*, 74, 100.

[1982] *Journal of the Royal Society of Medicine*, 75, 100.